



جامعة غرداية

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

جهود الشيخ عدون في التربية والإصلاح بوادي مزاب ما بين

(1343 . 1425 هـ / 1925 . 2004 م).

مذكرة مُقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: حديث ومعاصر

إشراف: الدكتور طاهر بن علي

إعداد الطالب:

سليمان الزعبي

اللجنة المناقشة:

أ/ الشافعي درويش:..... رئيسا

د/ طاهر بن علي:..... مُشرفا ومُقررا

أ/ محمد السعيد بوبكر:..... عُضوا مُناقشا

الموسم الجامعي: 1435-1436 هـ/2014-2015 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

{...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...}

سورة الرعد: الآية 12

الإهداء

إلى من علمني كيف أكون عظيما، إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى روح الشيخ سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون) الذي جاهد سبيل إصلاح الأمة الجزائرية و
الإسلامية.

إلى أرواح العلماء والمصلحين والشهداء الجزائريين تغمدهم الله برحمته الواسعة.

إلى جميع علماء وعظماء وزعماء الأمة المزابية الإباضية الجزائرية.

إلى الوالدين بارك الله في عمرهما وأمدهما بالصحة والعافية.

إلى إخوتي وأحبائي : صالح، حمو، منير، محمد، بية، عائشة، منونة، لالة، حنان،....

إلى منية القلب ياسمين.

إلى جميع أفراد عائلة الزعبي صغيرا وكبيرا.

إلى معهد الشيخ عمي سعيد الذي رباني وعلمني، وجعل مني طالبا ناجحا.

وإلى جميع أساتذتي الذين تتلمذت على يدهم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

وإلى زملائي في الدراسة بوسعدة محمد، نصر الدين، رضوان، حمو، أيوب، لقمان، يوسف، عبد الوهاب، سعيدة،

مصطفى، محمد، عبد السلام،

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي لهم إنجاز هذا البحث العلمي المتواضع.

الطالب: سليمان بن داود الزعبي

شكر وتقدير

أول من أبتدىء به الشكر الله سبحانه وتعالى أن يَسِّرَ لي إنجاز هذا البحث ووقفني في إنجازهِ.

وأَتقدم بعد ذلك بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور الطاهر بن علي الذي ساندني ووقف معي في إنجاز هذا البحث وقدم لي التوجيهات العلمية والمنهجية فكان له الفضل الكبير في إخراج هذا العمل على هذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد صالح ناصر، والدكتور صالح بوساليم اللذين أرشداني إلى اختيار الموضوع.

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور مصطفى بن صالح باجو الذي ساعدني في وضع عنوان و خطة المذكرة، و الأستاذ أ.د بحاز إبراهيم وبوبكر محمد السعيد الذين ساعدني بتوجيهاتهما في المنهجية.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ حمو بن سليمان بوسعدة الذي صحح لي المذكرة لغويا ونقديا كما استفدت من توجيهاته في الموضوع.

كما أتقدم بالشكر إلى أبناء الشيخ عدون الذين ساعدوني في جمع المادة العلمية ، خاصة الشيخ بالحاج، والأستاذ بكير، كما ساعدني في جمع المادة الأستاذ محمد جهلان، ومؤسسة دار الإمام بالقرارة، ومكتبة الشيخ عمي سعيد ومكتبة الإصلاح بغرداية .

كما أتقدم بالشكر في الأخير إلى جميع أساتذة التاريخ الذين علموني في مرحلة الليسانس و الماستر، وإلى كل من قدموا لي مساعدة أو ملاحظة في علمي وفي إنجازي لهذا البحث.

الطالب: سليمان بن داود الزعبي

قائمة المختصرات

مختصر الكلمة	الكلمة كاملة
ج م ج	جمعية علماء المسلمين الجزائريين
ش	الشيخ
تر	ترجمة
تح	تحقيق
مخ	مخطوط
بد	بدون
ط	طبعة
تق	تقديم
مر	مراجعة
تع	تعليق
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
حل	حلقة
ت	توفي
د	الدكتور
أ	الأستاذ
ع	عدد
ص	صفحة
ص ص	صفحتين
page	p

مقدمة

بيان أهمية الموضوع:

التاريخ هو تلك الظاهرة المتكونة من ثنائية منسجمة الإيقاع بين الإنسان والزمان في إطار جغرافي معين، فهو ذاكرة البشرية، ويتحدث عن الحياة التي لم تكتمل فصولها. فاليوم نحن أمام فصل من فصول التاريخ الجزائري وهو تاريخ الحركة الإصلاحية، التي لمع من خلالها مشايخ وعلماء أدركوا اللحظة التي يعيشونها، فمنحوا للجزائر استقلالها بفضل مجهوداتهم التي خلدها التاريخ.

حيث عملوا على تطهير الروح وتحرير العقل من قيد أغلال المستعمر الفرنسي ، الذي سعا جاهدا إلى تجهيل المجتمع الجزائري، وطمس الهوية الإسلامية العربية، وأمام هذه الظروف المأساوية التي يعيشها المجتمع الجزائري، برز ثلة من المصلحين نادوا بتدارك الوضع وإصلاح النفوس، والنهوض بالهمم، فظهرت بوادر الحركة الإصلاحية في الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر (19م)، ولكن كانت هذه الجهود متفرقة، ولم تتوحد إلى غاية سنة 1931م بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

ولقد كان وادي مزاب له السبق في الحركة الإصلاحية العلمية في الجزائر، حيث تعود بوادر نهضته إلى منتصف القرن (18م)، وبلغت مرحلة النضج الفكر الإصلاحية على عهد الشيخ "سعيد بن بالحاج شريفي" ، الملقب بالشيخ "عدون" - رحمه الله -، حيث انطلقت إشعاعاته من القرارة مع مشروعه التاريخي الذي تمثل في معهد الحياة الذي كان صاحب فكرته وأحد مؤسسه والقائم على تسييره، فهذه المنارة التي أنارت جنوب الجزائر بل أنارت الجزائر بكاملها، وصلت آثاره المشرق العربي .

فلقد كانت إسهامات الشيخ "عدون" في بناء الشخصية الوطنية كبيرة جدا، ويعتبر مجدد الأمة المزايبة وذلك من خلال أفكاره التنويرية، ولعل أبرزها دعوته إلى تطوير مناهج التربية والتعليم ، ومواكبة المشرق في مسيرتهم الحضارية، كما كان أول من دعا إلى تعليم المرأة في مدارس نظامية وفق مناهج تربوية معاصرة، حتى تكون النهضة شاملة، تمس جميع فئات المجتمع.

ولقد أدرك أنه لا مناص لاسترجاع الشخصية الإسلامية العربية، إلا بالاسترجاع وعائها الحضاري وهي اللغة العربية، فكان مغرما باللغة العربية، وجعلها أساس نهضته، وحببها لتلاميذه ومكنها في نفوسهم، فخرج من معهد الحياة شعراء وأدباء بلغت شهرتهم العالم الإسلامي ، وصار البعض منهم شعراء للثورة التحريرية المباركة.

فالشيخ "عدون" لم يكن مريبا مصلحا فحسب، بل كان قائدا، فترأس مجموعة من الهيئات العرفية وغير العرفية، وأسس جمعيات ثقافية ورياضية، جعلها منبرا ينشر من خلالها أفكاره الحية، ويدعو المجتمع بجميع شرائحه للنهوض بالحضارة الإسلامية، واسترجاع المجتمع المحمدي.

لذلك كان لزاما علينا نحن طلبة التاريخ أن نبين دور هؤلاء المشايخ في صناعة التاريخ الجزائري وتوجه مساره نحو الأفضل ، كما أن شخصية الشيخ "إبراهيم بيوض" النضالية الإصلاحية غطت على إنجازات الشيخ "عدون" الذي كان العضد الأيمن ، لذلك أجد أن كثيرا من الباحثين لا يعرفون الشيخ "عدون" ، كما أن كثيرا من الإنجازات يعود الفضل فيها لشيخ "عدون"، إلا أنه نسبت للشيخ "بيوض" رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري وذلك تجاوزا.

فعمدت إلا دراسة هذه الشخصية وأخذها كعمل أكاديمي لنيل شهادة الماستر ، كون أن شخصية الشيخ "عدون"، لم تأخذ كعمل أكاديمي من قبل ، رغم ما قدمه من إنجازات، وقد اخترت هذا الإطار الزمني (1925 - 2004م) وهو الإطار الذي تجلت فيه إصلاحات ش "عدون" في وادي مزاب، وأما الإطار الجغرافي فهو وادي مزاب بقصوره السبعة التاريخية.

ولعلي من خلال عملي هذا أستطيع أن أبين دور هذا الشيخ في بناء الشخصية الجزائرية، ودوره في استرجاع الذات الجزائرية التي هي ضائعة في التاريخ العالمي، فبناءً على ذلك وسمت عملي هذا تحت عنوان : جهود الشيخ عدون في التربية والإصلاح بوادي مزاب ما بين (1343 - 1425هـ / 1925 - 2004م) .

دوافع اختيار الموضوع:

لقد كان اختياري لهذا الموضوع والخوض في ثناياه يعود إلى جملة من الدوافع، الذاتية و الموضوعية، وهي كالآتي:

أولاً: الدوافع الذاتية

1. اهتمامي بالتاريخ المحلي المزابي الإباضي وإبرازه .
2. تأثيري بشخصية الشيخ "عدون" التي كانت وراء الحركة العلمية في وادي مزاب ، والذي كان له الفضل في إنشاء مدارس لتعليم البنات.
3. محاولة الاستفادة من شخصية الشيخ "عدون" في بناء شخصيتي.

4. اهتمامي بمواضيع التغيير و التربية والتعليم، والتي ركز عليها "مالك بن نبي" في كتاباته.

5. ميولي لدراسة الحركات الإصلاحية وتطوراتها عبر التاريخ.

الأسباب الموضوعية :

1. معظم الدراسات التي تناولت الحركة الإصلاحية في وادي مزاب كانت تخص الشيخ "بيوض"

وتنسب معظم الإنجازات إلا هذا العظيم تجاوزا، ولكن من خلال دراسة هذه سألين بأن هناك

مشايخ لولاهم لما كان الشيخ "بيوض"، ولعل أبرزهم هو الشيخ "عدون".

2. معظم الدراسات السابقة التي تناولت سيرة الشيخ "عدون" تناولته في جانب دون جانب، فمن

خلال هذه الدراسة سأحاول أن نحيط بجهوده المختلفة، خاصة مجال التربية والتعليم .

3. لم تنجز دراسة أكاديمية حول شخصية الشيخ "عدون" وجهوده العلمية والإصلاحية.

4. توصية الدكتور محمد صالح ناصر في كتابه مشايخي كما عرفتهم، و الدكتور بوساليم صالح ، بأخذ

شخصية الشيخ عدون كعمل أكاديمي .

5. حضور الشيخ "عدون" في جميع المؤسسات العرفية و الأعمال الخيرية.

الهدف من هذه الدراسة:

1) يعتبر القرن العشرين قرن الانجازات الحضارية بالنسبة للمجتمع الجزائري، حيث برز فيه قادة

وعلماء غيروا واقع المجتمع الجزائري، فكان لزاما دراسة كل عالم على حدا وإبراز دوره الحضاري.

(2) إن الشيخ "عدون" رغم ما قدمه من الإنجازات في إصلاح التعليم ، إلا أنه يبقى مجهولا لدى كثير من الجزائريين، فمن خلال دراستي هذه سأبين جهوده الحقيقية، التي كانت وراء استرجاع المجتمع الجزائري والمزابي خاصة، لملامح شخصيته العربية الإسلامية.

(3) إبراز الدور الحضاري الكبير للشيخ "عدون"، من خلال إحيائه للغة العربية، واسترجاع مكانتها في نفوس الجزائريين، واسترجاع هبة الجزائر في محافل الدول الإسلامية و العربية، من خلال ما أنتج من شعراء وأدباء .

(4) إبراز المشروع الحضاري المتكامل المعالم الذي أسسه الشيخ "عدون"، عبر معهد الحياة والجمعيات الثقافية و الرياضية، و المجالات العلمية، ومقالاته الإصلاحية، ورسائله التاريخية للحركة الإصلاحية التي شهدها وادي مزاب والجزائر.

إشكالية البحث:

أما الإشكالية التي حاولت الإجابة عنها من خلال عملي هذا المتواضع هي : هل تعد جهود و إنجازات الشيخ عدون في وادي مزاب ما بين (1343 - 1425 هـ / 1925 - 2004 م.) مسارا إصلاحيا تربويا ؟، وللإجابة عن هذه الإشكالية قسمتها إلى تساؤلات، حتى ألم بالموضع ، وهي كالتالي:

1. ما هي بؤادر الحركة الإصلاحية في الجزائر؟

2. ما هي مراحل الحركة الإصلاحية بوادي مزاب؟

3. ما هي ملامح شخصية الشيخ عدون؟.

4. فيما تمثلت جهوده في حركة التربية والتعليم؟ .

5. ما هي أبرز أدواره القيادية؟.

6. فيما يتجلى إنتاجه الفكري؟.

الدراسات السابقة:

وأما عن الدراسات السابقة فهي نوعان: دراسات أكاديمية، ودراسات عامة .

أولاً: الدراسات الأكاديمية

1. كتاب: معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر(1157 هـ 1744م إلى 1382 هـ

1962م) لصاحبه قاسم بن احمد الشيخ بالحاج الذي تحصل به على درجة الدكتوراه.

2. مذكرة ليسانس في اللغة العربية وآدابها بجامعة غرداية تحت عنوان: أدب الرسالة لدى أعلام الحركة

الإصلاحية بميزاب (الشيخ أبي اليقظان و الشيخ عدون) نموذجاً ، سنة 2010 - 2011م.

لصاحبها بن قريدة نورة النعامي كلثوم.

ثانياً: الكتابات العامة

1. كتابات محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر في أجزائه الخمسة ونهضة الجزائر الحديثة

وثورتها المباركة في أجزائه الثلاثة.

2. كتابات محمد صالح ناصر ، من بينها كتابه: مشايخي كما عرفتهم، ومقالين نشرتا في مجلة الحياة تحت عنوان: من رسائل الشيخ عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، الشيخ عدون الأستاذ المري.
3. كتابات محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، من بينها كتابه: الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه، ومقال نشر ضمن مجلة الحياة تحت عنوان : الشيخ عدون معدن التجديد والتطوير.
4. كتابات مصطفى بن صالح باجو ، من بينها كتابه: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، ومقال نشر ضمن مجلة الحياة تحت عنوان : الشيخ سعيد بن بلحاج شرفي (الشيخ عدون) في الخالدين .
5. كتاب عمر إسماعيل آل الحكيم: تحت عنوان: مقابلة مع شاهد القرن . عضو جمعية علماء المسلمين الشيخ عدون(سعيد بن بلحاج شرفي)1902-2004م

المنهج المعتمد:

وأما عن المنهج المتبع فهناك عدة مناهج وهي:

- (1) المنهج التاريخي الوصفي: لقد اعتمدت على هذا المنهج في وصف الأحداث و الوقائع التي عاشها الشيخ "عدون"، ومحاوله إعادة تركيبها وذلك حسب التسلسل الزمني والموضعي للمذكرة ، وذلك بعد جمع المادة التاريخية.
- (2) المنهج النقدي التحليلي: الذي يعتمد على الملاحظة والتقويم والتحليل، ولقد اعتمدته في تحليل بعض الوقائع والنصوص، خاصة في الفصل الثالث .

3) المنهج المقارن: لقد اعتمدت عليه في المقارنة بين النصوص التاريخية، وتأكد من المادة الخبرية في

جميع فصول البحث.

خطة البحث:

وأما عن الخطة المتبعة في هذا البحث هي كالتالي:

الفصل الأول عنونته ب: الحركة الإصلاحية في الجزائر، قسمته إلى ثلاث مباحث وكل مبحث

يضم مجموعة من العناصر، وعناوين المباحث هي على الترتيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،

تناولت فيه عوامل ظهور جمعية علماء المسلمين الجزائريين، ثم تأسيسها وأهدافها ومبادئها، وتناولت فيه

وسائل وآليات التي اعتمدها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشر أفكارها. وأما المبحث الثاني

أخذه تحت عنوان: جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب، وتناولت فيه مراحل الحركة الإصلاحية في

وادي مزاب وهي: مرحلة الشيخين "الأفضلي" و"الثميني"، ومرحلة الشيخ "محمد أطفيش"، ومرحلة

تلاميذ الشيخ "أطفيش". وأما المبحث الثالث الذي وسمته بعنوان: معالم شخصية الشيخ عدون،

فتناولت فيه، مولده ونشأته، ثم دعوته إلى تغيير مناهج التعليم، ثم أبرز صفاته.

الفصل الثاني عنونته ب: جهود الشيخ عدون في التربية والتعليم، قسمته إلى ثلاث مباحث وكل

مبحث يضم عدة عناصر، وعناوين المباحث هي على الترتيب هي: الشيخ عدون ومعهد الحياة، وتناولت

فيه: نظام التعليم في وادي مزاب قبل ظهور معهد الحياة، ثم دور المشرق في النهضة العلمية بوادي مزاب،

ثم معهد الحياة تأسيسه وأهدافه وشروط الانضمام إليه، ثم نظام المعهد ومناهجه، ثم علاقة الشيخ

عدون بالأساتذة والتلاميذ داخل المعهد، وأما المبحث الثاني فأخذته تحت عنوان: الشيخ عدون وتأسيسه للجمعيات الثقافية التربوية، وتناولت فيه: تأسيس شيخ عدون لجمعية الحياة، وجريدة الشباب (مجلة الحياة)، وداخلية الحياة، و مكتبة معهد الحياة، و جمعية قدماء التلاميذ، وجمعية الكشافة، و جمعية حفظ التراث. وأما المبحث الثالث فأخذته تحت عنوان: الشيخ عدون ودعوته لتعليم المرأة، وتناولت فيه: واقع تعليم المرأة في الجزائر، مكانة المرأة في المجتمع المزاجي الإباضي، ثم واقع التعليم لدى المرأة المزاجية، ثم دعوة الشيخ "عدون" لإقامة مدارس نظامية لتعليم البنات، ثم الأهداف التي أسس من أجلها المدارس الحرة.

وفي الفصل الثالث والأخير عنونته ب: الشيخ عدون أدواره وإنتاجه الفكري، وقسمته إلى ثلاث مباحث وكل مبحث يضم مجموعة من العناصر، وعناوينها على الترتيب هي: الشيخ عدون أدواره القيادية، وتناولت فيه : ترأسه حلقة العزابة ومجلس عمي سعيد والكثري، ثم رئاسة الشيخ عدون للوحدة التعليمية والتفتيش للمدارس الحرة المزاجية على مستوى الجزائر، ثم رئاسة الشيخ عدون الشرفية لجمعية علماء المسلمين الجزائريين، ثم قيادة العمل الفدائي بالقرارة أثناء الثورة، ثم حملاته لجمع التبرعات. وأما المبحث الثاني فأخذته تحت عنوان: الكتابات الصحفية للشيخ عدون، وتناولت فيه : كتاباته في جانب التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي والديني، ثم دور كتاباته الصحفية في تأريخ أحداث المحلية والجزائرية، ثم أهمية العقل من خلال كتابات الشيخ عدون. وأما المبحث الثالث فأخذته تحت عنوان: الشيخ عدون اهتمامه باللغة العربية و مراسلاته ، وقد تناولت فيه، اهتمامه وغرامه باللغة العربية،

ثم الجنب المعرفي من مراسلاته ، ومن بينها الجانب التاريخي والتربوي والإصلاحي، و جانب الأدب والنقد، وجانب الصداقة والمودة.

وخاتمة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها من خلال الملاحظة والتحليل.

الصعوبات التي واجهتني:

لكل بحث مجموعة من الصعوبات تعترى الباحث ومن بين الصعوبات التي واجهتها:

1. ضيق الإطار الزمني الذي منح لنا لإنجاز المذكرة .
 2. صعوبة الحصول على رسائل ومقالات الصحفية للشيخ عدون.
 3. عدم إمكانية لقاء بعض المشايخ المقربين من الشيخ عدون لأسباب مرضية تمنعهم.
 4. صعوبة ظروف التنقل بين القرارة والجزائر وغرداية أثناء جمع المادة.
 5. صعوبة الإمام بالمادة التاريخية خاصة مقالته الصحفية.
- ولقد حاولت بذل جهدي لتغلب على هذه الصعوبات.

عرض أهم مصادر ومراجع الموضوع ونقدها:

أولاً: من بين أبرز المصادر التي اعتمدت عليها في موضوع .

1. المقابلات التي أجريتها مع من عاصر الشيخ "عدون"، ومن بينها مقابلة مع ابنه "الشيخ بالحاج"، ومقابلة مع الشيخ "صالح باجو" ومقابلة مع الشيخ "صالح حدبون"، وغيرها.

2. كتاب معهد الحياة نشأته وتطوره لصاحبه سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون)، يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما جدا، لأنه الكتاب الوحيد الذي ألفه الشيخ "عدون" عن مسار جهاده في تغيير مناهج التربية والتعليم، وقد اعتمدت عليه في المبحث الثالث من الفصل الأول ، وفي جميع مباحث الفصل الثاني والثالث.

3. كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبوز، بأجزائه الثلاثة، وقد اعتمدت عليه في جميع الفصول خاصة الفصل الأول والثاني، حيث يتناول هذا الكتاب مراحل تطور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب، خاصة مرحلة الشيخ "بيوض" والشيخ "عدون" وتأسيس معهد الحياة وذلك في الجزء الثالث، إلا أن كتابات الشيخ دبوز تتميز بالوصف والأسلوب الأدبي، إلا أنه يعتبر مصدرا هام لأنه عايش جميع الأحداث، كما أنه شارك في صناعة الكثير منها.

4. كتاب الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص لصاحبه باجو مصطفى بن صالح، لقد اعتمدت على هذا المؤلف في جميع فصول البحث ، حيث تميز بالاختصار والدقة في الطرح، وكان ملما بجميع مراحل حياة الشيخ "عدون" وجهاده في الحركة الإصلاحية، وتغيير مناهج التربية والتعليم.

5. كتاب مقابلة مع شاهد القرن . عضو جمعية علماء المسلمين الشيخ عدون(سعيد بن بلحاج شرفي) 1902 - 2004م . لصاحبه: آل الحكيم عمر إسماعيل، لقد اعتمدت عليه في الفصل الأول في المبحث الثالث، وفي الفصل الثاني والثالث في المبحث الأول، ويعد مصدرا مهما لكونه مقابلة مع الشيخ "عدون" يتحدث فيها عن جوانب من حياته .

6. مقالات الصحفية التي شارك بها الشيخ "عدون" في صحف الشيخ "أبي اليقظان" وقد اعتمدت عليها في الفصل الثالث في المبحث الثاني والثالث، وتتميز بالبيان وعمق الأفكار.

7. كتاب **مشايخي كما عرفتهم** لصاحبه محمد صالح ناصر ، لقد اعتمدت عليه في الفصل الأول في المبحث الثالث والفصل الثالث في مبحث الثالث بدرجة كبيرة، وفي الفصل الثاني أقل، يعتبر من أهم المصادر كون صاحبه مُقرب جدا من الشيخ "عدون" ، وهو أحب تلاميذه، كما يشير بعض أولاده على أنه أمين سره.

ثانيا: ومن بين أبرز المراجع .

1. كتاب **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1157 هـ 1744م إلى 1382 هـ**

1962م) لصاحبه: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، ولقد اعتمدت عليه في جميع الفصول خاصة الفصل الأول في المبحث الثاني والثالث، والفصل الثاني في جميع مباحثه، كان لهذا الكتاب دور بارز في تحديد مجال البحث عندي، حيث اختصر لي بعض المسافات وساقني إلى مراجع مهمة أثريت بها بحثي.

2. كتاب **جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية**

1931-1945. لصاحبه عبد الكريم بوصفصاف، ولقد اعتمدت عليه في المبحث الأول من

الفصل الأول، وهو عبارة عن دراسة أكاديمية، ولقد أفادي في مراحل تشكل الحركة الإصلاحية في الجزائر.

3. كتاب معجم أعلام الإباضية لصاحبه إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، وقد اعتمدت عليه في جميع الفصول في ترجمة الشخصيات .

4. مجلة الحياة، لقد اعتمدت على جميع المقالات التي نشرت في مجلة الحياة والتي تتناول شخصية الشيخ عدون خاصة العددين التاسع والعاشر، إلا أن المادة العلمية تعتبر مصدرا ، ولكن الوعاء يعتبر مرجعا، كون جميع المقالات التي نشرت كُتِبَتْها باحثون عاصروا الشيخ "عدون"، وجلهم كانوا تلامذته ومن المقربين منه ويوجد البعض منهم شارك في صناعة بعض الأحداث رفقة الشيخ "عدون".

وفي الأخير تعتبر هذه الدراسة مجرد عمل بشري معرض لكثير من الأخطاء والنقص، وإنما أنا بذلت جهدي لكي أخرجها على الشكل التي هي عليه، محاولا من خلالها إبراز شخصية تاريخية لم تستوفي حقها من أقلام الباحثين، ولم ينصفها التاريخ رغم ما قدمت من إنجازات.

كما أتقدم بالشكر لأستاذ المشرف على جميع المجهودات التي بذلها في توجيهي، والأستاذ "حمو بن سليمان بوسعدة" على مساعدته في تصحيح المذكرة لغويا ونقديا، وإلا جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة غرداية كل بسمه. و أشكر الله سبحانه جل في علاه وأُثني عليه الخير كله على توفيقه لي، ومِنِّه علي بهذه المسيرة الجامعية وبهذا البحث المتواضع وأسأله التوفيق و المزيد إنه سميع مجيد.

الفصل الأول: الحركة الإصلاحية في الجزائر.

● المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

● المبحث الثاني: جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب.

● المبحث الثالث: معالم شخصية الشيخ عدون.

الفصل الأول: الحركة الإصلاحية في الجزائر.

سأتناول في الفصل الأول، الذي هو عبارة عن فصل مدخلي للموضوع، الحركة الإصلاحية في الجزائر في إطارها العام، والتي ظهرت نتيجة للسياسة الفرنسية التجهيلية التي انتهجتها منذ وطئت أقدامها الجزائر، واتبعت في ذلك كل السبل، فصادرت الأوقاف وهجرت المعلمين وأغلقت المدارس، وشجعت الطرقيين، ونشرت الخرافات، وجندت من الجزائريين أئمة موالون للمنظومة الفرنسية، ينشرون العقيدة الزائفة، من بينها: (أن الاحتلال الفرنسي قضاء وقدر).

ونتيجة لهذه الأوضاع السائدة، برزة ثلة من العلماء يدعون إلى إصلاح المجتمع وتنقية الدين من الشوائب، مع نهاية القرن التاسع عشر (19م) وبداية القرن العشرين (20م)، وكانت جهودهم متفرقة، ولكن استطاعوا أن يوحدوا جهوده بحلول 1931م، فأسسوا جمعية علماء المسلمين الجزائريين. إذن ما هي ظروف تأسيس هذه الجمعية؟ وما هي أبرز أهدافها؟ وما هي أبرز الوسائل والآليات التي اعتمدها في نشر أفكارها؟

فقبل ظهور جمعية علماء المسلمين، كانت جهود المصلحين متفرقة، في جميع مناطق الوطن الجزائري، ولعل أبرز هذه المناطق وادي مزاب، إذن ما هي جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب؟ وما هي أبرز مراحلها؟ ومن هم روادها؟

ومن أبرز رواد الحركة الإصلاحية ش "عدون"، الذي نادى بتغيير مناهج التعليم، فما هي معالم شخصية ش "عدون"؟، وفيما تمثلت بداياته الأولى التغييرية؟، وما هي ملامحه وصفاته؟.

المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

يعود ظهور ملامح الحركة الإصلاحية بالجزائر إلى بدايات القرن العشرين وذلك بعد بروزها كاتجاه في العالم العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر، حيث عقد العزم مفكروها على تحرير عقل المسلمين من الجمود الذي أصابه، و تحريره من التبعية للعالم الغربي المستعمر و التقاليد البالية⁽¹⁾، وكان من أبرز رواده ش"جمال الدين الأفغاني"⁽²⁾ وش"محمد عبده"⁽³⁾.

أولاً: عوامل ظهور جمعية علماء المسلمين الجزائريين .

إن الحركة الإصلاحية في الجزائر قبل أن تتوج بمؤسسة . أي جمعية علماء المسلمين الجزائريين، تحمل

⁽¹⁾أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، بد ط، الجزائر، سنة 1985، ص 91.

⁽²⁾جمال الدين الأفغاني: (1838 . 1897م) ولد بمدينة أباد بأفغانستان، تلقى تعليمه في المرحلة الأولى بمدينته، ثم ارتحل في عمر الثالث عشر إلى النجف لكي يكمل تعليمه، وبعد مرور أربع سنوات شرع في سلسلة من الرحلات ينشر أفكاره التجديدية انطلاقاً من الهند مروراً بالحجاز واستقر بمصر لمدة ثماني سنوات، أين تخرجت على يده ثلة من العلماء أبرزهم الشيخ " محمد عبده" و"سعد زغلول" و" محمود سامي البارودي" وغيرهم، ثم رحل إلى أوروبا وأصدر هناك جريدة (العروة الوثقى)، وقد توفي بالأسيتانة بعد مرض عضال سنة 1897، وقد خلف تراثاً فكرياً ومن بن مقولاته الشهيرة (قيد الأغلال أهون من قيد العقول بالأوهام)، ويعد جمال الدين الأفغاني رائد الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي ومجدد الفكر والداعي إلى تحرير العقل ونبذ التفرقة بين المسلمين والعمل على الوحدة. ينظر: توفيق محمد مقبل : من أعلام الحضارة العربية والإسلامية رؤى ثقافية وفكرية، بدون دار نشر، بدن ط، السعودية، بدون سنة، ص ص 87 . 94. و ينظر: عبد القادر تومي: وجوه الفلسفة، كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، سنة 2009، ص ص 60 . 61.

⁽³⁾الشيخ محمد عبده: (1849 . 1905م) رائد الحركة الإصلاحية بالعالم العربي ، ولد بمحافظة البحيرة بمصر، ختم القرآن في سن السبعة ثم انتقل إلى جامع الأحمدى بطنطا ثم الأزهر الذي التقى فيه بجمال الدين الأفغاني ولازمه كظله، تخرج بشهادة العليا من الأزهر، وأصبح أستاذاً به خلف 23 كتاباً و25 مقالا عبر جريدة (الأهرام) و(العروة الوثقى) وغيرها، نفي إلى لبنان بعد الثورة في مصر من طرف الانجليز، عاد إليها سنة 1889م وعمل على إصلاح مؤسسات التعليم والأوقاف والمحاكم واعتزل السياسة، عين كمفتٍ أعلى لديار المصرية سنة 1899م مما حوّل به عدة رحلات نحو أوروبا وبلاد الشام وإفريقيا (تونس والجزائر وغيرها). ينظر: : توفيق محمد مقبل : المرجع السابق، ص ص 95 . 102. وينظر كذلك: عبد القادر تومي: المرجع السابق، ص ص 62 . 63 .

أفكارها وإيديولوجيتها عرفت إرهاصات ساعدت في ظهورها ومن بين هذه العوامل التي بلورت الفكرة:

1. إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقا لقوله تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }⁽¹⁾، ولكون الفكرة الإصلاحية تستمد

شرعيتها من القرآن كان لزاما على الجزائريين أن يحيوها في أنفسهم، ويغيروا ما بأنفسهم حتى يغيروا

من تاريخهم ويطردوا الاحتلال الفرنسي⁽²⁾.

2. رواد الحركة الإصلاحية الأوائل : لقد شهدت الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(19

ثلة من العلماء ساهمت في توعية الناس ومحاربة الخرافات والعمل على إصلاح المجتمع، لكن جهودهم

كانت متفرقة غير موحدة ونذكر من بين هؤلاء العلماء ش "صالح بن مهنا"⁽³⁾ وش "عبد القادر

المجاوي"⁽⁴⁾ وش "عبد الحليم بن سماية"⁽⁵⁾ وش "محمد بن يوسف أطفيش"⁽¹⁾ وش "محمد بن

(1) سورة آل عمران: الآية 104.

(2) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931.1945، نشر دار البعث، ط1، الجزائر، سنة 1981، ص ص 52. 53.

(3) الشيخ صالح بن مهنا: هو أحد أبرز أعلام الحركة الإصلاحية بقسنطينة في القرن التاسع عشر، حيث عملت الإدارة الفرنسية على محاصرته ومصادرة مكتبته وله مؤلفات كثيرة، وقد توفي سنة 1907م. لمزيد ينظر: عمار الطالبي: آثار بن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، ط3، ج1، الجزائر، سنة 1997، ص 19. و مالك بن نبي: شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، ط1، سوريا، سنة 1986، ص 23.

(4) الشيخ عبد القادر المجاوي: (1848 - 1913) ولد بتلمسان حفظ القرآن في صغره ولقد واصل تعليمه في كل من تونس والمغرب ، وقد اهتم بإصلاح التربية وألف العديد من الكتب في هذا المجال نذكر منها (إرشاد المتعلمين) و(المرصاد في مسائل الاقتصاد)، ويعد من أبرز الذين حاربوا الفساد الاجتماعي وقد اهتم بالتعليم واشتغل فيه كما أنه دعا إلى تعليم المرأة ورأى أنه أساس الحركة الإصلاحية. لمزيد ينظر : عمار الطالبي: المرجع السابق، ص ص 19. 21. وينظر: مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 23.

(5) الشيخ عبد الحليم بن سماية : (1866 . 1933) حفظ القرآن في صغره وتلمذ على مشايخ كبار أمثال "أبي القاسم الحفناوي" و"ابن عيس الجزائري" وغيرهم، وهو من أبرز الطلاب المتخرجين في المدرسة الثعالبية بتونس، وكان له اتصال برواد الحركة الإصلاحية=

خوجة" (2) وهذا الأخير الذي قد التقى بالشيخ "محمد عبده" وتقرّب منه ، كما أن ش "محمد عبده"

زار الجزائر سنة 1905، واجتمع به علماء الحركة الإصلاحية بالجزائر .

3. تأثيرات الصحافة العربية والوطنية على القارئ الجزائري الذي بدأ يتأثر بأفكار الإصلاح التجديدية،

ونذكر من بين هذه الجرائد، جريدة (العروة الوثقى) (3)، و(المنار) للشيخ "محمد عبده" وجريدة

(الإقدام) للأمير "خالد" (4)، وجريدة (المنتقد) و(الشهاب) للشيخ "ابن باديس" (5) ، وجريدة (وادي

ميزاب) و(ميزاب) و(المغرب) (6) للشيخ "أبي اليقظان" (7).

= في العالم الإسلامي أمثال ش "محمد عبده" وغيرهم ، كما شغل منصب التدريس بمدرسة الثعالبية، ومن كتبه (فلسفة الإسلام) للمزيد ينظر: عمار الطالبي: المرجع السابق، ص ص 28. 34.

(1) يأتي ذكره في المبحث الثاني من الفصل الأول .

(2) الشيخ محمد بن مصطفى بن خوجة: (1867 . 1917م) اشتهر هذا المصلح بكثرة مطالعته خاصة كتب الشيخ "محمد عبده" إضافة إلا أن له اتصالاتٍ معه ، كما عرف عنه أنه شاعر وأعلم علماء الجزائر بتراجم الرجال ن واهتم بالمرأة الجزائرية وألف كتاب (الاكتراث في حقوق الإناث) وكتاب (اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب) وغيرها من الكتب، ويعتبر أحد أكبر رواد النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر. لمزيد ينظر : عمار الطالبي المرجع نفسه، ص ص 34. 39.

(3) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 63.

(4) الأمير خالد: (1875 - 1936م) هو الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر ولد بدمشق ، وتابع داسته في المرحلة الابتدائية والمتوسطة في الجزائر ، ثم هاجر إلى باريس وانضم إلى المدرسة العسكرية سان سير 1892 مرغما وقد جند في الحرب العالمية مرغما كذلك ثم نال الإعفاء 1915، يعتبر أحد أكبر المصلحين والسياسيين فهو أبو الحركة الوطنية وأحد مؤسسي نجم شمال إفريقيا ومن رواد الصحافة الوطنية، أنشأ عدة جرائد من بينها "الإقدام" 1920 ، توفي بسوريا بعد نفيه سنة 1923. للمزيد ينظر: محمد علي دبور: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ط 1، ج 2 ، الجزائر، سنة 2013، ص ص 29 . 30.

(5) الشيخ عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن باديس الصنهاجي: (1889 . 1940م) من أسرة أمازغية عريقة بقسنطينة ، حفظ القرآن في السن الثالثة عشر، ثم تابع تعليمه في الزيتونة وتخرج فيها وتوجه نحو المشرق في رحلة إلى الحج ومنابع الحركة الإصلاحية في المشرق خاصة في مصر، كان طموحا يريد محاربة الآفات الاجتماعية والبدع، فأسس سنة 1925 جريدة (المنتقد) ردا على مبدأ بعض الروايا (اعتقد ولا تنتقد) وقد تحولت هذه الجريدة إلى صحيفة (الشهاب)، ويعتبر ش "عبد الحميد" أول من فكر في تأسيس جمعية توحد جهود المصلحين والطلاب وتمكن من ذلك سنة 1931 رفقة ثلة من العلماء، ويعد الشيخ رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر والمغرب الإسلامي. للمزيد ينظر: محمد المليي: ابن باديس وعروبة الجزائر، إصدار وزارة الثقافة، بد ط، الجزائر، سنة 2007، ص ص 9 . 15

(6) محمد صالح الناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، إصدار وزارة الثقافة، ط 2، الجزائر، سنة 2006 ، ص 265، 305، 304.

(7) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

4. النهضة التعليمية التي قادها الشيخ "ابن باديس" في قسنطينة منذ سنة 1913م، فتخرج على يده جمع غفير من الطلبة يحملون الفكر التنويري (1)، وقد سبقه في هذا المسلك علماء كثيرون، أمثال ش "محمد أطفيش" بوادي مزاب (1818 . 1914م) (2)، وش "عبد القادر مجاوي" بالعاصمة (1842 . 1913م) (3)، وغيرهم.

5. عودة الطلبة الجزائريين من المشرق بعدما أنهوا دراستهم في كل من تونس ومصر والحجاز، ومن بينهم نذكر ش "البشير الإبراهيمي" (4) و ش "الطيب العقبي" (5) و ش "مبارك الملي" (6) وش "أبي اليقظان"

(1) محمد الملي، المرجع السابق، ص 10.

(2) عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1236 . 1332 هـ / 1818 . 1914م، جمعية التراث، بدن ط، الجزائر، بدن سنة، ص ص 107 - 109.

(3) عمار الطالبي: المرجع السابق، ص ص 19 - 21 . وينظر: مالك بن بي: المرجع السابق، ص 23.

(4) الشيخ البشير بن السعدي الإبراهيمي: (1889 . 1965م) ولد بقرية الوادي (وهي قرية الإبراهيمية حاليا) بناحية سطيف، حفظ القرآن في صغره على يد عمه "المكي الإبراهيمي الذي جعل منه مساعدا له في تعليم الطلبة، وفي 1911م هاجر إلى المشرق لاحقا أباه نحو الحجاز، فستقر في مصر بضعة شهور وجلس لعلماء الأزهر وأخذ منهم، ثم استقر في المدينة المنورة وجلس لمجالس كبار العلماء، والتقى في أثناء إقامته بالمدينة المنورة بالشيخ "ابن باديس" في موسم الحج 1913م وطرح فكرة تأسيس ج ع م ج لأول مرة، وفي 1920م عاد نحو الجزائر وكل همه إصلاح الأوضاع، فأسس مدرسة بسطيف، واتصل "بابن باديس" لتوحيد الجهود، وبالفعل توصل إلى تأسيس جمعية العلماء سنة 1931م فعين نائبا للرئيس ثم أصبح الرئيس المباشر بعد وفاة "ابن باديس" 1940م وقاد الحركة الإصلاحية إلى غاية الاستقلال. لمزيد ينظر: أحمد طلب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، ج 1، لبنان، سنة 1997م، ص ص 9 - 13.

(5) الشيخ الطيب بن محمد العقبي: (1890 . 1960م) ولد بسدي عقبة بيسكرة، انتقلت عائلته نحو الحجاز 1895م وتعلم في المدينة المنورة، وسرعان ما أصبح أحد رواد الحركة الإصلاحية في الحجاز، فاتحه الباب العالي بالتواطؤ ضده فنفي إلى اسطنبول ولحقت به أسرته وبقي عامين في المنفى ثم عاد إلى الحجاز سنة 1919م، وعاد إلى الجزائر 1920م وشرع في نشر دعوته الإصلاحية بيسكرة فنارت عليه أذنانا فرنسا من الطرق الصوفية وكفروه، وقد كان صحفيا لامعا حيث ساهم في إنشاء جريدة (صدى الصحراء) 1925م وأنشأ جريدة خاصة به وهي (الإصلاح) 1927م، وكما شارك بمقالات في جريدة (المنتقد) و(الشهاب)، كما يعتبر من مؤسسين ج ع م ج، وشغل منصب مساعد الأمين العام، و يعتبر أحد معالم الحركة الإصلاحية في الجزائر للمزيد ينظر: محمد علي دبور: المصدر السابق، ج 2، ص ص 111 - 130.

(6) الشيخ مبارك بن محمد الملي: (1898 . 1945م) ولد بميلة ولقد التحق بمعهد ش "ابن باديس"، ثم قصد الزيتونة 1919م وتخرج بعد أربع سنوات بشهادة عليا، أرسله ش "ابن باديس" إلى الأغواط حتى يؤسس هناك مدرسة ويعلم فيها وينشر الحركة الإصلاحية=

وغيرهم، حيث أسس كل واحد من هؤلاء مدرسة ليعلم فيها، فكانوا للشيخ "ابن باديس" العون والسند(1) .

6. انعكاسات الحرب العالمية الأولى على الجزائريين وتأثرهم بالأفكار الجديدة خاصة بعد مشاركة الجزائريين فيها، ودعا البعض منهم إلى تحرير العقل واسترجاع الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية ومن بين الذين رفعوا هذا الشعار "الأمير خالد"(2) .

7. تمادي الزوايا المنحرفة في تضليل الجزائريين عن الحق واستحداث البدع، مثل: التوسل لغير الله وأخذ البركة(3)، وعصمة الأولياء من الخطأ، ودخول المريرين الجنة دون حساب، وما إلا ذلك من الخرافات(4).

8. بروز التيار الاندماجي بقيادة "ابن التهامي"(5) ورفقائه(6)، وهم مثقفون مفرنسون يدعون إلى الذوبان في الشخصية الفرنسية، والتخلي عن الشخصية الجزائرية الإسلامية، فكان لهما على رواد

=بطلب من أهلها، يعد من مؤسسي ج م ع ج وشغل منصب أمين المال فيها، يعتبر من الأوائل الذين ألفوا في التاريخ الجزائري وأشهر كتبه (تاريخ الجزائر في القديم والحديث). للمزيد ينظر: محمد علي دبوب: المصدر السابق، ج3، ص 253 - 265.

(1) أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص93.

(2) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 . 1930، دار الغرب الإسلامي، ط4، ج2، لبنان، سنة 1992، ص362.

(3) أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص 94.

(4) نقلا عن " عبد الكريم بوصفصاف" في هذا الموضوع: (إذا كانت بعض الزوايا - كما سبق الذكر- رمز للعلم والدين والجهاد ضد الغزاة الأجانب، فإن بعضها سرعان ما انحرف عن مبادئها وأهدافها، وانضم إلى الزوايا الفاسدة مع سقوط البلاد في وطأة الاستعمار، وأضحى عميلا لاحتلال ومعينا على الجزائريين، وتحول جهلها إلى إفساد العقائد ونشر الخرافات و الأباطيل، ففرقت وحدة الأمة وتماسكها الاجتماعي، حتى أصبحت الجماهير الجاهلة تعتقد في شيوخ الطرق الصوفية بأنهم القابضون لأرواح البشر...) ينظر: عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص188

(5) أبو القاسم ابن التهامي: (1873 . 1937م) ولد بمستغانم وتلقى بها تعليمه في المراحل الأولى، ثم انتقل إلى فرنسا وتخصص في الطب، يعتبر من رواد الحركة الوطنية أنشأ جريدة (التقدم)، ولقد اصطدم مع الأمير "خالد" في توجهاته حيث كان يدعو هذا الأخير إلى المحافظة على شخصية الجزائرية أما ابن التهامي فكان يدعو إلى الذوبان في الشخصية الفرنسية، ولقد انسحب من الحياة السياسية سنة 1931. للمزيد ينظر: نور الهدى لوصيف: الشيخ أحمد حماني وإسهاماته الإصلاحية (1915 . 1998م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ معاصر، شعبة التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013 - 2014، ص 12

(6) وأقصد برفقائه الدكتور "ابن جلول"، و"فرحات عباس" وغيرهم.

الحركة الإصلاحية أن يقفوا أمام هذا التيار(1).

9. السياسة الفرنسية التي عملت على تضليل المجتمع الجزائري، ومحو شخصيته وتجهيله وفرنست طبقةً لكي تكون موالية لهم، لأن أي مجتمع يجرر جغرافية عقله(2) يستطيع أن يجرر جغرافية أرضه، وهذا ما كانت تخشاه الإدارة الفرنسية(3).

إذن لقد كانت هذه بعض العوامل التي ساهمت في ظهور جمعية علماء المسلمين الجزائريين التي ستحمل شعار إصلاح المجتمع وتحرير العقل قبل الأرض.

ثانيا :جمعية علماء المسلمين الجزائريين تأسيسها وأهدافها

تعود فكرة تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين (ج ع م ج) إلى ش "ابن باديس"(4) حيث زار ش "البشير الإبراهيمي" سنة 1924م بسطيف وأقنعه بفكرة الجمعية ووضع قانونا لها، وقد اقترح اسم (جمعية الإخاء العلمي) ويكون مركزها بقسنطينة، وتكون مجمعا للعلماء والطلبة وتوحد جهودهم وآراءهم(5).

وفي سنة 1925م تم إنشاء جريدة (الشهاب) التي عملت على دعوة جميع العلماء والطلبة من أجل الالتفاف حول فكرة تأسيس جمعية دينية، ولقد لقي هذا النداء استجابة كثير من العلماء والطلبة واستحسنوا الفكرة، إلا أنه لم يتم تأسيس الجمعية إلى غاية 1931م ، وذلك بعد الاحتفالات المؤوية

(1)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ص ص 351 . 352.

(2)علي شرعاتي: العودة إلى الذات، تر إبراهيم الدسوقي شتا، الزهراء للإعلام العربي، ط1 ، مصر، سنة 1987، ص260.

(3)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ص 351.

(4)توجد رواية مفادها أن فكرة تأسيس منظمة أو جمعية تجمع العلماء المسلمين الجزائريين تعود إلى ما قبل ح ع 1 وذلك في عهد ش"ابن موهوب" وش" المجاوي" وغيرهم. للمزيد ينظر: المرجع نفسه،ص 385.

(5)نفسه،ص 387.

التي قامت بها فرنسا احتفالاً على مضي قرن من تواجدها في الجزائر، وكان هذه الاحتفالات تأثيرها في نفوس الجزائريين، مما سبّب في تسريع تأسيس الجمعية⁽¹⁾.

يخبرنا "أحمد توفيق المدني"⁽²⁾ عن مجريات تأسيس الجمعية بأنه تم بالعاصمة بعيداً عن ش "ابن باديس" وش "البشير الإبراهيمي"⁽³⁾، حيث كان يجتمع رفقة ثلاثة⁽⁴⁾ مصلحين في نادي الترقى بالعاصمة لتدارس أوضاع الجزائر خاصة بعد الاحتفال بالذكرى المئوية وأثارها على المسلمين وذلك في جويلية 1930، وأجمعوا في الأخير على تأسيس جمعية للعلماء توحد شملهم .

وقد أطلق النداء في جريدتي (الشهاب) و(النجاح) وكان موجهاً للعلماء مفاده: (أن من يؤسس ((جمعية للعلماء المسلمين الجزائريين)) له جائزة قيمتها ألف فرنك..⁽⁵⁾، كما يضيف "أحمد توفيق المدني" في رواية له: (أنه كتب بخط يده مائة وعشرين دعوة لعلماء القطر الجزائري بغية عقد اجتماع في

(1) أحمد الخطيب : المرجع السابق ، ص 99.

(2) "أحمد توفيق المدني" : (1889 . 1983م) تعلم في الكتاتيب في المرحلة الابتدائية ، ثم انتقل إلى الزيتونة 1913م ، وقد سجن لمشاركته في مظاهرات تحريضية ضد فرنسا 1915م وأطلق سراحه 1918م ، من مؤسسي نادي الترقى 1927م وج م ع م ج سنة 1931م كما كان من أكبر المناضلين في الحركة الوطنية والثورة المباركة بعد انضمامه سنة 1956 ، ومن مؤلفاته : (حرب الثلاثمائة سنة 1492 . 1792م ، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، هذه هي الجزائر، كفاحي في ثلاث أجزاء) وغيرها من المؤلفات . للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني : حياتي كفاح، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، بد ط، ج1، الجزائر، بد سنة ، ص13. و ينظر: بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة، دار النفائس، ط2، لبنان، سنة 1983م، ص ص 167. 183 . ينظر: محمد بسكر: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة، بد ط، الجزائر، سنة 2013، ص ص 161 - 168.

(3) للعلم أن هذين الشيخين هما أول من فكر وسعى في تأسيس جمعية تجمع العلماء والمصلحين والطلبة الجزائريين بعد نهاية ح ع1، ووجهوا دعوة للعلماء عبر جريدة الشهاب 1925م، إلا أن علماء العاصمة هم من عملوا على تأسيس هذه الجمعية بعيداً عن علماء الشرق الجزائري بمعنى أنهم هم من أخذوا المبادرة رغم دعوة الشيخين للمشاركة في التأسيس يبقى أنه لم تكن منهم المبادرة هذه المرة. للمزيد ينظر : عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق ، ص ص 91 . 95.

(4) هؤلاء العلماء الثلاثة هم : (عمر إسماعيل ، محمد العاصمي ، محمد عباس) ينظر : المرجع نفسه، ص93.

(5) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق ، ص ص 93. 94 .

العاصمة بنادي الترقى لتأسيس جمعية العلماء فلي الدعوة اثنان وسبعون عالما بالحضور واعتذر بالكتابة والقبول خمسون عالما آخرين (1)، وفي يوم 5 ماي 1931م اجتمع العلماء بنادي الترقى، وأقرا القانون الأساسي للجمعية وتم انتخاب الهيئة الإدارية(2) والتي تشكلت من ش "عبد الحميد ابن باديس" رئيسا(3)، و ش "البشير الإبراهيمي" نائبا له، الكاتب العام ش "الأمين العمودي"(4) ومساعدته ش "الطيب العقبي"، وأمين المال ش "مبارك الملي"، و نائبه ش "إبراهيم بيوض"(5)، و بقية الأعضاء فكانوا على شكل هيئة مستشارين(6). إن ج ع م ج كانت نتيجة إرهابات الحركة الإصلاحية طوال نصف قرن من الزمن وليست ردا على الاحتفالات المتويدة كما يشير البعض وإنما هذا أحد الأسباب الذي سرع في عملية تأسيس الجمعية وترويج جهود العلماء والمصلحين السابقين(7).

(1) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 94.

(2) وتتكون اللجنة الإدارية من ثلاثة عشر عضوا وهم: (عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الملي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، ملاي بن شريف، الطيب المهاجي، السعيد البحري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل اليراتي). ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 71

(3) لقد غاب ش "ابن باديس" عن هذا الاجتماع وتم انتخابه رئيسا غيايبا. ينظر: عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 96.

(4) محمد الأمين العمودي: (1890 . 1957م) ولد بوادي سوف، تعلم المرحلة الابتدائية بالمدراس الفرنسية والكتاتيب، اشتغل عدة مناصب منها كاتب العدالة، ومساعد ترجمان وغيرها، أصدر سنة 1934م جريدة الدفاع وجريدة الجحيم، كما نشر عدة قصائد في الجرائد الوطنية الأخرى، ومن مؤسسين ج ع م ج سنة 1931م، شغل فيها منصب كاتب عام، يعتبر شاعرا وصحفيًا وأديبا لامعا، من شهداء الثورة التحريرية اغتالته فرنسا سنة 1957م. للمزيد ينظر: صالح الخريفي: من أعماق الصحراء، دار الغرب الإسلامي، بدط، لبنان، 1991م، ص 97. وينظر: الأخضر عبد القادر السائحي: محمد الأمين العمودي، درا هومة، بدط، الجزائر، سنة 2001م، ص ص 25. 103. وينظر: أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدط، الجزائر، سنة 1989م، ص ص 45 . 59. وينظر: إبراهيم بن ساسي: من أعلام الجنوب الجزائري، نشر وزارة الثقافة، بدط، الجزائر، سنة 2011م، ص ص 81 . 85.

(5) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

(6) أحمد طالب الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 72.

(7) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 82.

1. إن أول مبدأ تبناه مصلحو جمعية علماء المسلمين هو قوله تعالى: {...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...} (1)، إذ أن الإنسان حين يغير نفسه يغير مسار تاريخه ومجتمعه وهذا ما

يؤكدّه " مالك بن نبي " حين قال: (... نرى أن كل ما يغير النفس، يغير المجتمع، ومن المعلوم أن

أعظم التغيرات وأعمقها في النفس قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية) (2) وبالفعل

هذا ما قامت به ج م ج ع م ج في حركية التغيير لنمطية التفكير لدى الجزائريين وتصويب نظرهم للقرآن

والسنة. ،يقول ش "ابن باديس" متحدثا عن أحد أهداف تأسيس ج م ج ع م ج، قائلا: (إن الغرض

من تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين، هو محاربة الخرافات والشعوذة التي عمت البلاد بسبب

الطرقية والطرقين) (3)، فمحاربة الخرافات أهم الأهداف التي تبنتها الحركة الإصلاحية .

2. إحياء الدين الإسلامي وذلك ببعث الروح الإصلاحية من خلال هذا الدين الذي ألبس لباس

بعض الزوايا الذي مبدؤه اتباع ولا تبتدع، أي غير مسموح لك بإعمال العقل وتبني أي فكرة تقدم

لك وإن كانت خاطئة، وعمل هؤلاء المصلحون على إحياء هذا التراث الإسلامي وتنقيته من

الشوائب (4)، ويقول في هذا الصدد ش "البشير الإبراهيمي": (فأما إحياء مجد الدين الإسلامي

(1) سورة الرعد: الآية 12.

(2) مالك بن نبي: ميلاد المجتمع، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط6، سوريا، سنة 2006م، ص 80.

(3) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق،، ص 106.

(4) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 106.

فبإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق، فكلكم يعلم

أن هذه الأركان أصبحت مختلفة، وأن اختلافها أوقعنا فيما ترون من مصائب وبلايا وآفات⁽¹⁾.

3. إحياء اللغة العربية واسترجاع مكانتها كونها هي لغة القرآن والدين والعلم، ومن خلالها يستطيعون

التنقيب في أمهات كتب الحضارة العربية ونشر المعرفة ومحاربة الاندماجين و المتفرنسين، وذلك عبر

إنشاء مدارس حرة تكون تابعة لجمعية علماء المسلمين الجزائريين⁽²⁾.

4. استرجاع استقلال الجزائر من نير الاحتلال الفرنسي ، وذلك بتحرير العقل الجزائري، من خلال

إصلاح منظومة التعليم والتفكير ، التي زيفت معالمها من طرف الاحتلال الفرنسي وعن طريق بعض

الزوايا والمتقفين الجزائريين المتفرنسين⁽³⁾.

5. تصحيح التاريخ الإسلامي والجزائري خاصة من التزييف الذي تعرض له على يد الاحتلال الفرنسي

، ولعل تلك المحاولات التي قام بها ش "مبارك الميلي" وش "أحمد توفيق المدني" وغيرهم في إعادة

كتابة التاريخ الجزائري لأكبر دليل على جهود الجمعية وصدق أهدافها⁽⁴⁾.

6. محاربة الآفات الاجتماعية من جهل وخرم وبطالة، والتي قد استفحلت في الأوساط الجزائرية⁽⁵⁾.

7. محاربة التبشير و التمسيح الذي قاده الكنيسة الفرنسية منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830⁽⁶⁾.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي: المرجع السابق، ص 132.

(2) محمد بجمي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، ط1 ، الجزائر ، 1999، ص 24.

(3) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 108.

(4) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق ، ص 108.

(5) أحمد الخطيب : المرجع السابق، ص 114.

(6) نفسه، ص 114.

لقد اعتمدت ج م ع ج مجموعة من الوسائل لكي تبلغ أهدافها وتنشر أفكارها التجديدية وتحيي الإسلام وتنتشله من بواعث الشرك والخرافات وتأسيس حركة إصلاحية هدفها نشر الوعي لدى الشعب الجزائري وتحرير عقله الذي يقود لتحرير جغرافيته، ومن بين هذه الوسائل :

1. الاجتماعات: تعد الاجتماعات إحدى الوسائل التي اعتمدها علماء ج م ع ج في تمكين

أفكارهم، حيث أن من خلال هذه الاجتماعات يخططون ويضعون الخطوط العريضة لمشاريعهم

الإصلاحية، كما أنه من خلال هذه الاجتماعات يقومون مسيرتهم ونشطاتهم كل سنة⁽¹⁾.

2. الصحافة: تعد الصحافة أحد أبرز الوسائل التي اعتمدها ج م ع ج في نشر الوعي وتثقيف

الشعب الجزائري، وحاولت تخليصه من مستنقع الجهل والفرنسة، كما أن للصحافة دوراً كبيراً في

بلورة الوعي الوطني من خلال ما كان ينشره العلماء والمصلحون عبر جرائدهم⁽²⁾، ومن بين هذه

الجرائد نذكر: (الشهاب)، (النبراس)⁽³⁾، وغيرها.

3. المساجد: لقد كان للمسجد دور مهم في نشر الدين الصحيح وإحيائه في نفوس الضعفاء، خاصة

الطبقة التي لا يسعها الدخول في المدارس لكبرها في العمر ولا يمكنها أن تقرأ الجرائد لأميته، فكان

المسجد المنارة التي من خلالها يرشد المصلح الضائعين وينقذ المستضعفين من المنظومة الفرنسية⁽⁴⁾.

(1) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 125.

(2) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 139.

(3) محمد صالح الناصر: المرجع السابق، ص 350.

(4) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 145 . 149.

4. المدارس: لقد انطلق العلماء والمصلحون من مبدأ أن الشعب الجاهل لا يمكنه أن يحصل على استقلاله ولا المحافظة عليه في حالة حصوله عليه، لذلك شرعت في إنشاء سلسلة من المدارس، على مستوى القطر الجزائري، يؤسسون من خلالها لجيل واع لمفردات عصره ومدركا للاستعمار الواقع عليه وذلك باسترجاع الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها من دين الإسلام واللغة العربية وغيرها، وأستشهد في هذا الصدد بما قاله ش البشير الإبراهيمي: (... وهذه المدارس التي أربت على المائة العشرات كلها من آثار جمعية العلماء، ومن ثمرات إرشادها وإعدادها للأمة...) (1).

5. النوادي: النوادي إحدى الوسائل التي اعتمدها علماء ج ع م ج في نشر الوعي بين الشباب، كما كانت إحدى آليات التواصل بينهم، وتبادل الآراء، كما كان النوادي مقرا لاجتماع العلماء، ومن أبرز النوادي نذكر نادي الترقى الذي بني بالعاصمة، وتم فيه تأسيس الجمعية في 5 ماي 1931م (2).

6. الاحتجاجات: ومن بين الوسائل والآليات التي اعتمدت عليها الجمعية في نشر أفكارها والدفاع عن مبادئها الاحتجاجات، و كثيراً ما احتج علماء ج ع م ج على الإجراءات التعسفية التي تمارسها فرنسا ضد نشاطهم الذي يتزايد سنة بعد سنة مثل مصادرة بعض الصحف ومنعهم من الخطابة في بعض المساجد وغيرها من الإجراءات التعسفية، واعتبرت ج ع م ج مدرسة تتفاعل من خلالها الحركة الوطنية (3).

(1) محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، دار المعارف، بد ط، مصر، سنة 1963، ص 278.

(2) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 162 . 163.

(3) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 167 . 169.

كما أنه تبنت الجمعية عدة وسائل أخرى لا يسع المقام للتفصيل فيها مثل الرحلات والزيارات التفقدية للمدارس وغيرها.

إذن ج ع م ج كانت معلما بارزا في تاريخ الحركة الوطنية، وذلك بحركتها الإصلاحية المتمثلة في توحيد جهود العلماء والمصلحين في دائرة واحدة، حيث رفعت شعارا والذي عرف عن ش "ابن باديس" (الإسلام ديننا، و العربية لغتنا، والجزائر وطننا) وبفضل هذه المقومات استطاع علماء ج ع م ج أن يحرروا جزءا من جغرافية قلوب وعقول الجزائريين، والتي قادتهم إلى تحرير جغرافية أرضهم في جويلية 1962م.

المبحث الثاني : جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب⁽¹⁾.

لقد مرت الحركة الإصلاحية بوادي مزاب بعدة مراحل حتى بلغت النضج، واكتملت معالم نهضتها في عهد ش"إبراهيم بيوض"⁽²⁾، وقد قاد كل مرحلة من هذه المراحل أحد العلماء وهذا ما يشير إليه ش"محمد علي دبوز"⁽³⁾ قائلاً: (لقد اجتازت النهضة الحديثة بوادي ميزاب منذ نشأتها في القرن الثاني عشر الهجري إلى يومنا هذا خمسة أدوار. قادها في كل دور زعيم مخلص من العلماء والكبار، أو جماعة العلماء المخلصين، ففي دور الميلاد قادها وكفلها الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح، وفي دور الطفولة قادها وحماها الشيخ عبد العزيز الثميني ومعه الشيخ أبو زكرياء وفي صدر الشباب النهضة وهو الدور الثالث قادها ودخل بها شبابها وقوتها الشيخ الحاج محمد أطفيش، ثم بلغت قنة الشباب والنضوج على

(1) ينظر قائمة المصطلحات الملحق رقم 1.

(2) الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض: (1899 - 1980م) ولد بالقرارة، واستظهر القرآن في سن 12، تتلمذ في معهد ش" إبراهيم البريكي" و ش" الحاج عمر بن يحيى المليكي" الذي خصه بمكانة لنبوغه فكان مرافقا له في جميع جلساته مع أعيان البلد، خلف شيخه في رئاسة الحركة الإصلاحية بالقرارة بعد وفاته 1921، وفي 1925 أشرف على تأسيس معهد الحياة بالقرارة، كما عن رئيسا لحلقة العزابة 1940، ساهم في تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين 1931، وشغل فيها منصب نائب أمين المال، 1937 أسس جمعية الحياة صاحبة النهضة العلمية بالجنوب، ومنذ 1954 إلى غاية 1962 أشرف على العمل الثوري بغرداية والقرارة خاصة وذلك فيما يتعلق بالمزابين، وكان له دور أكبر في قضية فصل الصحراء عن الشمال، للمزيد ينظر: إبراهيم بن عمر بيوض: أعماله في الثورة، نشر جمعية التراث، ط 1، الجزائر، بد سنة ، ص ص 13 . 18، وينظر: محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا و زعيما ، مكتبة الريام ، ط1، الجزائر ، بدون سنة، ص12.

(3) الشيخ محمد علي دبوز: (1919 . 1981م) ولد بمدينة بريان بوادي مزاب، زاول دراسته في المرحلة الابتدائية على يد ش" صالح بن يوسف ابسيس" ثم انتق إلى معهد الحياة في الثلاثينات ودرس على يدين ش" بيوض" وش" عدون" وغيرهم، ثم انتقل إلى تونس ودرس في الزيتونة ثم انتقل إلى مصر ودرس بالأزهر وتخرج فيها في تخصص التاريخ، اشتغل في معهد الحياة أستاذاً للتاريخ وتخرج على يديه العديد من الطلبة، عرف بقلمه السيل فآلف عدة كتب من بينها ، (نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في 3 أجزاء، تاريخ المغرب الكبير في 3 أجزاء، أعلام الإصلاح في الجزائر في 5 أجزاء) كما شارك بعدة مقالات في جريدة البصائر. ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحمام: مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث، ط1، الجزائر، سنة 2011، ص ص 15 - 27.

يد تلاميذه المنبثقين في وادي ميزاب كله سيما أبنائه في القرارة العلماء المجاهدين....⁽¹⁾ وهذا هو الدور الرابع، وأما الدور الخامس فيقول: (وقادها في المرحلة الخامسة وبلغ تمامها أستاذنا الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ومعه الأساتذة الأجلاء الشيخ أبو اليقظان،... والشيخ عدون بن الحاج وغيرهم،...)⁽²⁾.

وفي دراسة هذه ساقسم مراحل تطور مسار النهضة الإصلاحية بوادي مزاب إلى ثلاث مراحل ، وهي كالتالي:

أولاً: مرحلة الشيخين "الأفضلي" و"الشميني".

1. مرحلة الشيخ "أبو زكرياء الأفضلي" ⁽³⁾: لقد أجمع ثلة من الباحثين والمؤرخين على أن "أبو زكرياء

يحيى الأفضلي" هو مؤسس الحركة الإصلاحية في العهد الحديث، ويعود إليه الفضل في إدخال بني مزاب في دورة حضارية جديدة⁽⁴⁾، وهذا ما أستشفه من قول تلميذه ش "الشميني" وهو يتحدث عنه

قائلاً: (شيخنا الأستاذ الناشر للعلوم في الإخوان من سائر البلاد، قاضي القضاة، ضياء الملة

(1) محمد علي دبور: المصدر السابق، ج1، ص 283.

(2) نفسه، ص 283.

(3) الشيخ يحيى بن صالح ابن يحيى الأفضلي الملقب بي أبو زكرياء: (1714 - 1788م) ولد بمدينة بني يسجن بمزاب، تلقى المرحلة الأولى من تعليمه بيسجن ثم انتقل إلى جربة بتونس ، واعتكف للعلم 12 سنة ومن بين المشايخ الذين تتلمذ على يدهم ش " أبو يعقوب بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي"، وانتقل بعد ذلك إلى مصر ودرس في المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس، وقد اغتنم فرصة تواجده بمصر باستنساخ نفايس الكتب والتي جلبها معه إلى مزاب بعد عودته 1744، اشتغل بالتعليم والإصلاح الاجتماعي ومن بين مؤلفاته أذكر (شرح قصائد بن زياد العماني في الأحكام والعيوب والشفاعة مخ، وغيرها)، كما ترك ما لا يقل عن 20 نصا بين رسالة وحاشية، للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية ، نشر جمعية التراث، ط1، ج4، الجزائر، سنة1999، ص 968. 965. وينظر : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض لثقافة، ط2، لبنان، سنة 1980، ص 22.

(4) مالك بن نبي: شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 50، 70.

والدين، الآتي في بلادنا بالفتح المبين، الرفع لواء العلم في المدارس،..⁽¹⁾ فألاحظ هنا استعمل ش " الثميني" جملة تدل على أن " أبو زكرياء" باعث النهضة في وادي ميزاب وهي : (الآتي في بلادنا بالفتح المبين)⁽²⁾ بمعنى أن واد مزاب كان غائبا في بحر من الظلام والجهل والفساد الاجتماعي، وبفضل "أبي زكرياء" الذي فتحه بالعلم وأزال عنه الانصياع للتقاليد البالية⁽³⁾، والأفكار الميتة⁽⁴⁾، مثل فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة وإزالته للأوثان من حول الكعبة.

إذن "أبو زكرياء" مجدد الأمة المزابية وهو الذي انتشلها مما كانت تعانيه من تحبط ، وذلك بعد عودته من المهجر حيث اغترب لمدة اثني عشرة سنة، في رحلة بحث عن مصادر العلم ومنابعه متوجها نحو المشرق، ابتداء من جزيرة جربة بتونس ثم مصر⁽⁵⁾، وكانت عودته إلى وادي ميزاب سنة 1744م، حاملا معه لواء التجديد والعلم عازما على أن ينقذ مجتمعه من مأساة الأمية والابتداع والجهل، واستشهد في هذا المقام بما قاله ش "عبد الرحمان بكلي"⁽⁶⁾: (فلما تم تكوينه العلمي وامتلأ

(1) عمر إسماعيل قلاعضروس، الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه: المعالم في أصول الدين، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، المعهد الوطني لأصول الدين، خروبة جامعة الجزائر، الجزائر، سنة 1996 . 1997، ص 30.

(2) المرجع نفسه، ص 30

(3) ينظر قائمة المصطلحات في الملاحق.

(4) مالك بن نبي: في مهب المعركة، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، ط4، سورية، سنة 2002، ص ص 129 . 130. وينظر: مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، ط2، سورية، سنة 2002، ص ص 146 . 152.

(5) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، نشر جمعية التراث، ط1، الجزائر، سنة 2011، ص 122.

(6) الشيخ عبد الرحمان بكلي: (1901 . 1986) ولد بالعطف بوادي ميزاب، ختم القرآن وتعلم الفرنسية بالعطف، وفي 1922 التحق بالبعثة العلمية المزابية بتونس، فأزر ش " أبي اليقظان" كما أنه نشط في الحزب الدستوري التونسي، فدرس في الزيتونة و المدرسة الخلدونية، ثم انتقل إلى بريان فأسس معهدا ثم جمعية الفتح، كما شارك في تأسيس ج ع م ج سنة 1931م، وعين في حلقة العزابة 1934 بالعطف، كما شارك في الثورة وتم إلقاء القبض عليه، كما عين 1966 بالمجلس الإسلامي الأعلى وعضوا في لجنة الإفتاء، =

وطابه، قفل راجعا إلى وطنه لتحقيق الهدف الذي لأجله اغترب، وكان التوفيق يحدو ركابه فعلم وأرشد، ووجه وسدد، ونهى وأمر، وظل يكافح فساد مجتمعه ويقوم اعوجاجه طورا عراكا، وأحيانا مياسرة، حتى أذعنت النفوس إلى رئاسته، وكان جديرا أن يلقب بمجدد النهضة العلمية الإصلاحية بميزاب⁽¹⁾.

فبعد عودته من المهجر تفرغ للتعليم وتدريس، وأسس حلقة علم، فركز جهوده في اتجاهين: إصلاح أوضاع المجتمع: وذلك عن طريق الوعظ وإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحل مشاكل الناس وإصلاح شبكة العلاقات الاجتماعية⁽²⁾ التي قد تمزقت أوصالها بسبب الجهل والتقاليد البالية⁽³⁾.

تربية وتنقيف وتعليم الأجيال الناشئة: لقد راهن ش"أبو زكرياء" على أن الكبار لا يمكن تغييرهم ولكن الصغار يمكن تعليمهم وذلك بإنشاء حلقات للعلم ودارا للتعليم، زرع فيهم الأفكار الحية⁽⁴⁾ التي تبني المجتمع وتؤسس لحضارة قوامها إنسان مسلم يعمل عقله ويعبد الله وفق إسلام صحيح⁽⁵⁾.

لقد عانى ش"أبو زكرياء" في توجيه مجتمعه رغم ما عرف عنه من دهاء في مواجهة الأزمات

=وزاد عدد مؤلفاته على 48 مؤلفا، من بينها (ديوان البكري) و(فتاوى البكري) ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 521 - 529 .

(1) ضياء الدين عبد العزيز الثميني: النيل وشفاء العليل، تع بكلي عبد الرحمان بن عمر، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، ط2، ج1، الجزائر، سنة1968، ص 10.

(2) مالك بن نبي: ميلاد المجتمع، المرجع السابق، ص82.

(3) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص122.

(4) مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، بد ط، سورية، سنة 1981، ص 16.

(5) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص122.

الاجتماعية إذ أنه لم يصطدم مع معارضييه، بل يتتبع أسلوب التدرج في التغيير⁽¹⁾، موقنا في نفسه انه لا يمكن تغير ثقافة مجتمع بين ليلة وضحاها، بل يلزم لتغيير بعض القناعات أجيال والزمان جزء من العلاج، فأسس لقاعدة أساسها العلم، وخلف جيلا من المصلحين لكي يكملوا مشوار نهضته المباركة، ومن بينهم ش "الثميني" و ش "موسى بن يحيى"⁽²⁾ و ش "إبراهيم بن بحمان"⁽³⁾ وغيرهم.

2. مرحلة الشيخ عبد العزيز الثميني⁽⁴⁾: لقد كان ش "الثميني" معاصرا لشيخه "أبي زكرياء" حيث يكبره شيخه بأربع سنوات فملاحج جهادها متماثلة، كما أن ش "الثميني" كان يكمل شيخه "أبو زكرياء" وذلك بما حباه الله من مال فسخره في خدمة العلم فاشترى دارا للعلم بجانب المسجد ليدرس فيها

(1) محمد علي ديبوز: المصدر السابق، ج1، ص ص 257 . 258.

(2) الشيخ موسى بن يحيى بن صالح بن أبي الفضل المصعبي اليسجني: (حي 1790) يعتبر من أبرز تلاميذ ش "أبو زكرياء الأفضلي" لديه مجموعة من المراسلات مخطوطة مع الإمام "سليمان بن ناصر العماني"، وهو أحد أعضاء حلقة العزابة ببني يسجن، وقد اشتهر باهتمامه بجمع الكتب. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج4، ص 903.

(3) الشيخ إبراهيم بن يبحمان بن أبي محمد بن عبد العزيز الثميني اليسجني: (ت 1817) من العلماء البارزين لمدينة بني يسجن أخذ العلم عن خاله ش "الثميني" وش "الأفضلي" وهو من دعاة النهضة الإصلاحية واصل مشوار شيوخه بعد وفاتهم، كما انه راسل الداوي "الحسن الدولاتي" 1791 كما يعد شاعرا وخلف الكثير من الكتب من بينها: (الرحلة الحجازية) و(أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر) وغيرها. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 22 . 24.

(4) عبد العزيز بن إبراهيم ابن عبد الله بن عبد العزيز الثميني، الملقب بـ (ضياء الدين): (1718 - 1808م) من أعظم علماء مزاب شغل في بداية حياته بالتجارة، وبعد عودة ش "الأفضلي" من المشرق 1744 انضم إلى حركته وأسس معه أول حركة إصلاحية علمية بوادي مزاب، والتي ثمارها نقطتها اليوم. اشتغل في بادئ الأمر بالتدريس ثم اعتكف للتأليف. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص ص 532 . 536، وينظر: عمر إسماعيل: الشيخ عبد العزيز بن الحاج إبراهيم الثميني حياته وآثاره، مطبعة الواحات، بد ط، الجزائر، سنة 1990، ص ص 10 . 73.

شيخه وأسس مكتبة ينتقى إليها أنفس المخطوطات ويستأجر الناسخين من اجل استنساخ الكتب والمصادر النفيسة⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى كان ش "الثميني" يتمتع بمواهب كبيرة حيث استوعب كل دروس شيخه، وأخذ يستزيد من الكتب والمصادر حتى صار عالما بارزا يساعد شيخه في التدريس، ولقد لمح فيه شيخه النبوغ والدهاء، فقدمه لكي يكون معلما في معهده كما أنه شجعه على التأليف و الوعظ والإرشاد⁽²⁾، ويقول في هذا الصدد "دبوز": (وقد سر أبو زكرياء بنبوغ تلميذه في العلم وبفصاحته وبراعته في التعبير فوجهه إلى التأليف ... وكان مثالا في الصفاء فخلا من الحسد الذي يجعل كثيرا من العلماء يضغطون على تلاميذهم لكي لا يتفوقوا عليهم ... فقدم تلميذه للتدريس والفتوى، ثم ألفت إليه أنظار الخاصة والعامة ودعاهم إلى الاستزادة منه، وعرفهم فضله وعبقريته وسبقه...)⁽³⁾، فألاحظ هنا أن الشيخ "أبو زكرياء" زكى تلميذه على نفسه، حين لمس فيه النبوغ ولم يكتبه كعادة بعض العلماء، ووضع يده بيده لمحاربة الجمود والفساد الاجتماعي بكل أنواعه.

لقد واصل ش "الثميني" المسيرة الحضارية التي بدأها شيخه "أبو زكرياء" ، وذلك عبر ترئسه لحلقات العلم والتدريس، ومحاربة الفساد الاجتماعي والأفكار الميتة، إلا أنه تميز عن شيخه في مجابهة الفاسدين و المتعنتين وذلك بقول الحق والمجاهرة به، دون أسلوب المداهنة و المراوغة والتدرج الذي تميز به شيخه وذلك حتى لا تقتلع حركته الإصلاحية، لكن ش "الثميني" بإصراره وحبه

(1) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص130.

(2) محمد علي دبوز: المصدر السابق، ج1، ص 266.

(3) نفسه، ص 266.

لرؤية النور يعم مجتمعه جعله يسرع في حركية وعملية الإصلاح مما سيقوده إلى الاصطدام برؤوس الجمود الذين صار يعنفهم بشده ويتقدمهم بقوة، مما جعلهم يرونه خارجا عن التقاليد والعرف والسبب التي خلفها الأجداد، والتي في الحقيقة بعضها بالية لا يصلح لذلك الزمان أو بعضها تم تحريفها وأصبحت تشكل خطرا على المجتمع وسلامة دينه⁽¹⁾.

وبعد مدة من الزمن تيقن ش " الثميني " من عدم سلامة منهجه وحتمية تغييره، وذلك حين تأكد بأن أصحاب التقاليد البالية لهم خلفية كبيرة في مجتمعهم، وأن شوكتهم لا زالت قوية، فعزم على تغيير منهجه، من إصلاح المجتمع إلى التأليف والتععيد الشرعي وإعادة صياغة بعض العلوم حسب متطلبات العصر، إذ أنه وجد أن المشايخ الذين سبقوه أهملوا هذا الجانب، وذلك في أثناء تدريسه للمذهب الإباضي⁽²⁾ وجد بأنه تنقصه المصادر و الكتب التي يمكن أن يعتمد عليها كمقررات لطلبة⁽³⁾.

وشمر على ساعده واعتزل المجتمع لمدة خمسة عشر سنة، شرع يؤلف فيها فخلف تراثا علميا ضخما ، ومن بين أبرز مؤلفاته: (النيل وشفاء العليل، التاج على المنهاج، تعاضم الموجهين، شرح مروج البحرين، التكميل لما أخل به كتاب النيل، الأسرار النورانية، أرجوزة في الفلك ومنازل

(1) محمد علي دبوز: المصدر السابق ، ص ص 272 - 273.

(2) المذهب الإباضي: هو مذهب إسلامي ظهر في المنتصف القرن الأول الهجري، وكان يطلق عليهم أهل الدعوة أو أهل الاستقامة أو أهل الحق، وقد أطلق عليه غيرهم تسمية الإباضية نسبة إلى أحد علماء المذهب الأوائل وهو "عبد الله بن إباض"، وقد رضي أتباع المذهب بهذه التسمية إلا أن الإباضية ينسبون أنفسهم إلى الفكرة وليس الشخص أو زعيم، والمؤسس الأول لهذا المذهب الإمام الكبير "جابر بن زيد" رحمه الله . للمزيد ينظر : محمد بن موسى باباعمي وآخرون: معجم مصطلحات الإباضية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، ج1، عمان ، سنة2008 ، ص ص 2 . 8 . ينظر: صالح بن داود يسوف بافولولو: من لا يعرف الإباضية ، مطبعة الواحات ، ط2، الجزائر، سنة2009، ص ص 26 . 28 .

(3) محمد علي دبوز: المصدر السابق، ج1، ص ص 269 - 271.

البروج، معالم الدين، النور، الورد البسام في رياض الأحكام، مختصر الحواشي ترتيب مسند الربيع بن

حبيب، عشرات الفتاوى، مراسلات عديدة مع مشايخ وعلماء داخل الجزائر وخارجها⁽¹⁾

تعد مرحلة ش " الثميني " مرحلة الطفولة ومرحلة ظهور الثمار الأولى ، فقبل أن يعتزل إلى مجال

التأليف عهد بقيادة الحركة العلمية إلا رفقاءه⁽²⁾ وتلاميذه لكي يواصلوا المشوار، وهم الثمار الأولى

لحلقة العلم التي أسسها ش " أبو زكرياء " وواصل قيادتها تلمذه ش "الثميني " .

كما أن مرحلة ش " الثميني " تتميز بمظهر جديد للنهضة العلمية وهو مظهر البحث العلمي

والتأليف والإنتاج المعرفي، الذي لم نعهده في المشايخ السابقين، ولا في عهد شيخه " أبو زكرياء "⁽³⁾.

أما على الصعيد الاجتماعي فلم يتغير إلا بعض المظاهر، ولا زال المجتمع يرتع تحت أقدام الجامدين

وأصحاب الأفكار البالية، وهذه المرحلة إنما أسست للجيل الذي سيعمل على تقويم المجتمع

وتحوير مساره نحو حياة أفضل⁽⁴⁾.

(1) عمر إسماعيل قلاعضروس ، رسالة السابقة، ص 44.

(2) رفقاؤه أقصد بهم الذين كانوا يتتلمذون معه في معهد ش " أبو زكرياء "، ثم تتلمذوا على يده أي ش " الثميني " بعد أن عهد إليه شيخه برئاسة حلقات العلم ثم بعد وفاتهم فكان ش " الثميني " أكثرهم نباهة وعلماء. محمد علي دبوز: المصدر السابق، ج1، ص 267 - 268.

(3) نفسه، ص 267 - 268.

(4) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 138.

ثانيا : مرحلة الشيخ محمد أطفيش⁽¹⁾

تعد مرحلة ش "محمد أطفيش" مرحلة الشباب للنهضة الإصلاحية بوادي مزاب ولا يمكن لأي باحث أن يلم حياة وجهود هذا الرجل بسهولة لكثرة وعظمة إجازاته المتعددة المجالات⁽²⁾ ، ذلك فإن دائرته الإصلاحية لم تشمل فقط وادي مزاب بل تعدتها إلى العالم الإسلامي بأسره، كما أنه لا يمكن حصر الدراسات التي تناولت حياة وإنتاجه الفكري لكثرتها، فلم يحضأ أي عالم إباضي بهذا القدر الكبير من الاهتمام، وكل دارسيه أكدوا على تبحره في العلم⁽³⁾.

ولقد تباينت جهوده وكثرت وشملت جميع المجالات لذا في دراسة هذه أنوه بإسهاماته في مجال التعليم والتأليف والإصلاح الاجتماعي:

1. إسهاماته في التربية والتعليم: لقد أسس ش "محمد أطفيش" حلقة خاصة به منذ أن كان في التاسع عشر(19م) من عمره يعلم فيها، وتحولت هذه الحلقة بمرور الزمن إلى معهد، وأصبح يتوافد إليها

(1) الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الشهير (بقطب الأئمة): (1818 - 1914م)، أعظم عالم إباضي بالمغرب الإسلامي، ولد بغرداية ولكن عائلته من بني يسجن، ختم القرآن في السن 8، تتلمذ على يد أخيه الأكبر ش "إبراهيم بن يوسف" وش "سعيد بن يوسف ونن" وغيرهم، نشأ عصاميا ولم يسافر خارج وادي مزاب واعتكف على قراءة نفائس الكتب، وعند بلوغه 19 جلس لتدريس والتأليف، وأنشأ معهدا لتدريس في بني يسجن جاءوه التلاميذ من كل الأصقاع من داخل الجزائر وخارجها، خلف تراثا ضخما جدا بلغت ثلاث مئة مؤلف بين كتاب ورسالة، وكان له مواقف مشرفة جدا ضد المستعمر الفرنسي، وقد تخرج على يده كبار العلماء المصلحين الذين قادوا الحركة النهضوية في القرن العشرين. للمزيد ينظر: محمد بن يوسف أطفيش: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، تح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مكتبة الضامري لنشر والتوزيع، ط2، عمان، سنة1998م، ص ص 7 - 17. ينظر كذلك: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص ص 835-849.

(2) عبد الرحمان بن عمر بكلي: محاضرات البكري في العلم والعلماء، تق مصطفى صالح باجو، نشر مكتبة البكري، بدط، الجزائر، سنة2002م، ص118.

(3) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 140.

طلبة من كل قصور وادي مزاب لما ذاع صيته، وبلغ سمعته الآفاق ، صار يتوافد عليه الطلبة من خارج الجزائر من تونس وليبيا وغيرها.

لقد كان معهده يشمل على جميع المستويات فقد قسمه إلى ثلاث مستويات: (ابتدائي، متوسط، عالي) وذلك حسب الأعمار والرصيد العلمي، كما أنه حدد جملة من الشروط لمن أراد الانضمام إلى معهده، من بينها (الاستقامة في الدين والتحلي بالخلق القويم، استظهار القرآن الكريم، حفظ مجموعة من المتون في الفقه و العقيدة واللغة والتي يعتمد عليها في التدريس)⁽¹⁾.

وقد تخرج من معهده علماء كبار، كانوا من صانعي التاريخ، وقائدي النهضة الإصلاحية العلمية في القرن العشرين في المغرب الإسلامي ومن بينهم أذكر: ش "سليمان الباروني"⁽²⁾، وش "أبو إسحاق إبراهيم أطفيش"⁽³⁾، وش "إبراهيم أبي اليقظان"⁽¹⁾، وغيرهم كثير لا يسع المقام لذكرهم.

-
- (1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ، ط6، ج3 ، الجزائر، سنة 2009م، ص ص 271 . 272.
- (2) سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني (باشا) : (1870.1940م) ولد بجبل نفوسة بليبيا تتلمذ على يد أبيه ثم انتقل إلى الزيتونة ثم الأزهر ثم معهد القطب "محمد أطفيش" 1895، ويعد أحد أكبر زعماء وعلماء المسلمين في القرن العشرين له مواقف مشرفة، قاد الثورة ضد الاحتلال الإيطالي 1916، ومناصبه ومناقبه كثيرة جدا منها رئيس جمهورية طرابلس، وآثاره الفكرية عظيمة نذكر منها (الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية). للمزيد ينظر إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص ص 426 . 432. وينظر : سليمان بن سعيد الشباني النافوسي: سليمان باشا البروني أئمة في رجل، أشرف واعتنى بطبعه إبراهيم بن يوسف بازين، دار الطيف لطباعة ، ط 2، ليبيا، بد سنة، ص ص 19. 137.
- (3) الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفيش (لقبه أبو إسحاق): (1886 . 1965) ولد بي يسجن بوادي مزاب، أخذ العلم على عم أبيه قطب الأئمة، ثم جلس لشيخ "عبد القادر المجاوي" بالعاصمة، ثم انتقل إلى تونس ودرس فيها، كان من مؤسسي الحزب الدستوري مع " النعالي"، ثم نفي من طرف فرنسا 1923، فانتقل إلى مصر ، فأسندت إليه وزارة الداخلية المصرية مهمة التصحيح بدار الكتب المصرية، له عدة مواقف سياسية عالمية، شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس، كما عينته سلطنة عمان ممثلا عنها في الأمم المتحدة ، كما خلف تراثا فكريا كبيرا من بينها مجلة (المناهج) ، كما حقق العديد من الكتب الإباضية، وألف العديد من =الكتب، يعتبر أحد أكبر العلماء الجزائريين في القرن العشرين. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 44 . 48. ينظر: صالح خرفي: المصدر السابق، ص ص 54 . 55.

2. إسهاماته في التأليف : لقد تأكد لدى ش "محمد أطفيش" أن أي نهضة علمية يلزمها مصادر

تشرّب منها الأفكار، وهذا ما أدركه قبله ش "الثميني"، فواصل المشوار في مضمار التأليف إلا أنه تميز عن المشايخ الآخرين، في تأليفه في شتى العلوم والفنون. ألف في التفسير والفقہ والعقيدة والحديث والتجويد والسيره وأصول الفقہ والتاريخ والنحو واللغة والعروض والشعر والبلاغة والمنطق الفلك والطب والرسم وأذكر بعض مؤلفاته: (في التفسير: هيمان الزاد إلى دار المعاد، تيسير التفسير، في الفقہ: شرح كتاب النيل، شامل الأصل و الفرع، في الطب: تحفة الحب في أصل الطب، في الفلك: مسلك الفلك، مطلع الملك في فن الفلك)⁽²⁾

ولقد عدد أسباب التأليف لدى ش "محمد أطفيش" فيما يلي :

❖ الرد على تساؤلات الناس في مجال دينهم، أو جواباته التي تكون بينه وبين علماء آخرين أو أحد تلاميذه المغتربين.

❖ تحمل المسؤولية لغياب المصادر والكتب ، ولانشغال كثير من العلماء في الإصلاح الاجتماعي.

(1) إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان: (1888 . 1973م) ولد بالقرارة بوادي مزاب، ختم القرآن وتعلم في معهد ش "الحاج عمر بن يحيى" ، ثم انتقل إلى معهد القطب 1907، ثم انتقل إلى الزيتونة على رأس أول بعثة علمية 1912 ، أسس سلسلة من جرائد وبلغ عددها ثمانية كلما صادرت فرنسا مجلته أعاد تأسيسها تحت عنوان جديد من بينها (ميزاب، الأمة، النبراس،...) يعتبر عميد الصحافة الجزائرية، كما ساهم في تأسيس ج ع م ج 1931 وشغل مناصب عدة في هذه الجمعية، له العديد من المؤلفات بلغة 60 مؤلف من بينها ((ملخص تاريخ الجزائر))، (ديوان أبي اليقظان). للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 52 . 57. وينظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص268.

(2) عدون جهلان، المرجع السابق، ص 111 . 117.

❖ موهبته ونبوغه على سائر العلماء المعاصرين له، والمتعة التي يشعر بها ش "محمد أطفيش" أثناء

التأليف⁽¹⁾.

3. إسهاماته في إصلاح المجتمع: لقد كرس ش "محمد أطفيش" جهدا كبيرا لإصلاح المجتمع و محاربة

الفساد بكل أنواعه، كون وادي مزاب يئن تحت أفكار ميتة بعضها يمس بالعقيدة كتقديس الأموات، وتبرك بأولياء وهي حالة المجتمع الجزائري بأسره، فتجند مع تلاميذه لمحاربة هذه الخرافات، ويقول في هذا الصدد ش "دبوز" (لقد دعا القطب مجتمعه إلى ترك البدع الدينية التي يتمسك بها، ويراهنا من الدين، وهي مخالفة للدين، تضره وتفتك به كل نواحيه، وتسبب له النوم و الخمول والضعف في كل جهاته، وتمنعه من النهوض والتقدم، وهذه البدع كثيرة، منها ما يصل بالعقائد، ومنها ما يصل بالأعمال والتقاليد)⁽²⁾.

إلا أنه اصطدم بجدار الجمود والتمسك بالأفكار البالية التي ستكون سببا في اعتزاله عن بلده بني يسجن⁽³⁾ إلى البلدة المجاورة بونورة⁽⁴⁾، فراجع في مدة اعتزاله منهجه في التغيير فوجد نفسه قد أخطأ حين اعتمد أسلوب القوة في التغيير، وأنه لم يستطع أن يكسب قلوب عزابة⁽⁵⁾ قصره، مما يجعله يعود إلى منهج المسايرة الذي تميز به ش "الأفضلي"، فتفرغ إلى تنشئة الأجيال وتربيتهم⁽¹⁾.

(1) محمد علي دبوز: المصدر السابق، ج1، ص 305.

(2) نفسه، ص 322.

(3) ينظر قائمة المصطلحات الملحق رقم 1.

(4) نفسه.

(5) العزابة: نظام ديني وتربوي واجتماعي وحضاري ظهر بمناطق الإباضية بالجنوب الجزائري على يد "أبي عبد الله محمد بن بكر الفرستائي" عام 409هـ، والعزابة مفردة عزابي مشتقة من عزب عن الشيء أي تركه، وعرف الدرجميني العزابي قائلا: (كل من لازم الطريق وطلب العلم وصاحب أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، ولهذا الصنف سمات انفردوا بها، وأحوال عرفوا بها...، وعندهم في=

لقد تعدد تلاميذ ش"محمد أطفيش" في الأمصار، إلا أنه وفق دراستي التي تتناول شخصية ش"عدون" و الذي بدأت نهضته العلمية بالقرارة، ركزت على تلاميذ القطب الذين برزوا في جيل ما قبل ش"عدون" في القرارة، والذين أطلق عليهم ش" دبوز " بالدور الرابع أو المرحلة الرابعة، وسأحاول أن أبين ملامح حركتهم الإصلاحية وفيما تمثلت جهودهم، وقد لخصتها في نقاط وهي كالتالي :

1. لقد تعددت تلكم الجبهات التي تصدى لها العلماء والمصلحون، إلا أنهم ركزوا جهودهم نحو التعليم وتطوير مناهجه، وذلك إدراكاً منهم أنه بالعلم يتم التغيير و القضاء على الجهل، فأسس كل عالم أو مجموعة من العلماء حلقات علم ينشرون من خلالها أفكارهم الإصلاحية، وتعد هذه الحلقات أو المدارس القاعدة المتينة التي سيؤسس عليها معهد الحياة فيما بعد على يد الجيل الخامس من الحركة الإصلاحية بقيادة ش"إبراهيم بيوض" وش"عدون" وغيرهم.

ومن أبرز الذين أسسوا حلقات علمية، وتصدروا مجالس الوعظ والإرشاد ش"الحاج محمد بن الشيخ الحاج قاسم"(3)، وش"الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي"(1)، وش"عبد الله أبو العلاء"(2)،

= ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتجاوزونها). فالعزاب من العزوب أو العزوف عن مشاغل الحياة للتفرغ لأمر الدين والعلم والتضحية في سبيل الله والوطن وخدمة الصالح العام للمزيد ينظر: محمد بن موسى باباعمي وآخرون: المصدر السابق، ص ص 700 . 703. وينظر: محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، دار النصر لطباعة الإسلامية، بد ط، مصر، سنة 1989، ص ص 45. 3.

(1)قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 155 . 156.

(2) ينظر قائمة المصطلحات الملحق 1.

(3) الشيخ محمد بن الشيخ الحاج قاسم بن بلحاج بن كاسي: (ت 1901) من علماء القرارة ولد بها وتتملذ على يد والده ثم أرسله إلى معهد القطب لكي يستزيد، ثم عاد إلى القرارة ، واعتكف على التدريس ورئاسة حلقة العزابة، تخرج على يده كل من ش"الإبريكي" وش"عمر بن يحيى" للمزيد ينظر: ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج4، ص ص 823. 824.

و ش "الحاج عمر بن يحيى المليلكي" (3)، و ش "إبراهيم بن بكير حفار" (4)، و ش "أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى" وغيرهم.

2. الإصلاح الاجتماعي ومحاربة الفساد والأفكار الهدامة، وذلك عبر الوعظ والإرشاد عن طريق المساجد ودور العشائر (5).

(1) الشيخ إبراهيم بن عيسى الإبريكي: (1857 . 1911) تعلم في مرحلته الأولى بمدينة الجلفة، ثم رجع إلى القرارة والتحق بمعهد ش "الحاج محمد بن الحاج قاسم الشيخ بالحاج" ثم التحق بمعهد القطب ببني يسجن، ثم عاد إلى القرارة وفتح معهدا، وتخرج من بين يديه عدد كبير من التلاميذ منهم ش "أبو اليقظان" وش "إبراهيم بيوض" وغيرهم. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، ط1، ج2، الجزائر، سنة 2012م، ص ص 101 . 113 . ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها = المباركة، المرجع السابق، ج2، ص ص 165 . 167 . ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 50 . 51. ينظر: محمد ناصر بوحجام: الحاج إبراهيم الإبريكي الحاج عمر بن يحيى رحمهما الله، منشورات جمعية شباب القدماء . القرارة، بد ط، الجزائر، سنة 1979، ص 17.

(2) الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء: (1882 . 1960م) ولد بالقرارة، درس في معهد ش "الإبريكي" وش "الحاج عمر بن يحيى" ثم انتقل إلى معهد القطب 1910، خلف ش "الإبريكي" وش "الحاج عمر بن يحيى" بعد وفاتهما في التدريس وتسيير المعهد، ساند ش "بيوض" في حركته الإصلاحية إلى غاية وفاته، ومن إنتاجاته الفكرية قصائد شعرية في مختلف المجالات. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، المصدر السابق، ج2، ص ص 145 . 149 . ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص ص 553 . 555.

(3) الشيخ عمر بن يحيى المليلكي القراري ويرو الشهير بي ((نور القلب)): ولد بالقرارة، ختم القرآن في صغره واخذ علومه الأولى بالقرارة قبل أن يلتحق بمعهد القطب الذي تخرج فيه 1896، ثم فتح معهد لتدريس في القرارة ويعتبر معهد الحياة امتدادا لمعهد ن تخرج على يده أعلام الإصلاح و الحركة الوطنية من بينهم ش "أبي اليقظان" وش "بيوض" وش "عدون" وغيرهم. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص ص 154 . 156 . ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج2، ص ص 169 . 193 . ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص ص 654 . 655 . ينظر: محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص ص 17 . 43.

(4) الشيخ إبراهيم بن بكير حفار: (1890 . 1954م) ولد بالقرارة، وتعلم على يد ش "عمر بن يحيى المليلكي"، ثم انتقل إلى معهد ش "محمد أطفيش" سنة 1905 ودرس فيه خمس سنوات، ثم انتقل إلى تونس لمداواة عينيه فاغتتم الفرصة والتحق بالزيتونة واستزاد منها، فأصبح بحرا في العلم، وعند عودته إلى القرارة 1915 أسس مدرسة لتعليم القرآن فقصدتها الطلبة من جميع قصور وادي مزاب لكنها لم تدم إلا خمس سنوات، ثم أغلقها وأصبح ينتقل بين غرداية وبني يسجن حتى استقر بهذه الأخيرة وساهم فيها مدرسا وفقهيا حتى وفاته ومن مؤلفاته (السلاسل الذهبية بالشمال الطفيشية) و(منظومة الصيام) وغيرها. لمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 12 . 15.

(5) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 168 .

3. محاربة الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد احتلاله الفعلي لغرداية سنة 1882م، حيث عمل على إشعال الفتنة ونشر الرذيلة، والتضييق على حلقات العلم، وفرض القوانين التعسفية كالتجنيد الإجباري وغيرها⁽¹⁾.

4. مساندة المقاومات الشعبية، التي تظهر من حين إلى آخر ودعمها معنويا وماديا، ودخول المعتزك السياسي والصحفي وذلك لمجابهة المحتل الفرنسي، وفضح مشاريعه ومخططاته الجهنمية⁽²⁾.

5. إرسال بعثات علمية نحو تونس، وذلك من أجل التبحر في العلوم ومواكبة العصر، وكان ش "أبي اليقظان" أول من ترأس بعثة نحو تونس سنة 1914م⁽³⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 169.

(2) المرجع نفسه، ص 169.

(3) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 273.

المبحث الثالث: معالم شخصية الشيخ عدون.

أولاً: مولده ونشأته

الاسم الكامل للشيخ عدون⁽¹⁾ هو سعيد بن الحاج بن عدون بن الحاج عمر، وأما لقبه فهو "شريفى"، إلا أن شهرته هي ش عدون⁽²⁾.

ولد ش "عدون" بالقرارة في 1319هـ / 1902م بوادي مزاب بولاية غرداية جنوب الجزائر، في أسرة فقيرة، زاول تعليمه الابتدائي في الكتاتيب وهو ابن السادسة ودخل بالتوازي المدارس الفرنسية وتلمذ لسنتين⁽³⁾.

إلا أن الظروف لم تسعفه لكي يواصل تعلمه، كان محبا للعلم وشغوفا بتحصيله، ولكن وفاة أبيه سنة 1912م في سنه العاشرة، وهو كبير إخوته، جعلته يتحمل المسؤولية ويتخلى عن ركب الدراسة، وقد خلف له أبوه ديونا على عكس العادة، ويقول في هذا الصدد ش "عدون" متحدثا عن نفسه: (بعد ذلك في العاشرة من عمري توفي أبي وتركني فقيرا، بقيت الوالدة ومعها خمسة أولاد، بنتان صغيرتان تزوجتا...، وبقينا نحن الأربعة الأم وثلاثة أطفال يتامى. أبي توفي كما يقال عندنا: غارق في ذمة، كان تاجرا وظروف قاسية مرت به فمات مدانا،..)⁽⁴⁾.

(1) ينظر الملحق رقم 6 صور للشيخ عدون.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المطبعة العربية، بدط، الجزائر، سنة 2009، ص3.

(3) عمر إسماعيل آل الحكيم: مقابلة مع شاهد القرن، بد دار نشر، ط1، الجزائر، سنة 2006، ص13.

(4) المصدر نفسه، ص ص 13. 14.

وإثر هذه الظروف القاسية تم بيع منزل ش "عدون" للتسديد مغارم أبيه، وانتقلت عائلته لكي تعيش مع خاله " أحمد بن سعيد جهلان"⁽¹⁾، وأما هو توجه نحو حياة العمل من أجل الكسب الحلال وإعانة عائلته وتسديد ديون أبيه، فانتقل نحو قرية سريانة بولاية باتنة لكي يعمل في التجارة وعمره لا يتجاوز العاشرة . فاشتغل في دكان وكان العمل متواضع يستطيع القيام به أي طفل صغير⁽²⁾، فسنحت له الفرصة أن يواصل تعليمه الابتدائي في المدارس الفرنسية، حيث يعمل لمدة ثلاث أيام في الأسبوع ويدرس لمدة أربعة أيام، وبقي وضعه على هذا الحال مدة ثلاث سنوات متتالية، إلا أن ظروف العمل في الدكان كانت غالبا ما تمنعه من إجراء الامتحانات فكانت سببا في انقطاعه عن الدراسة⁽³⁾.

وفي سنة 1915م عاد إلى القرارة وانضم من جديد إلى حلقات العلم وحفظ القرآن، فانضم إلى حلقة ش "الطرابلسي"⁽⁴⁾، واجتهد في حفظ القرآن فحفظ الربع الأخير من كتاب الله⁽⁵⁾، ثم قفل راجعا مرة أخرى إلى سريانة عاملا لمدة أربع سنوات، ولكن دون أن يلتحق بمؤسسة تعليمية، بل تفرغ للعمل فقط.

(1) لم أجد له تعريفا سوى أنه خال ش "عدون"

(2) عمر إسماعيل آل الحكيم ، المصدر السابق، ص14.

(3) مصطفى بن صالح باجو: المصدر السابق، ص7.

(4) الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم قرقر الطرابلسي : (1885 . 1945م) ولد بجبل نفوسة بليبيا من أم نفوسية وأب مزابي من بريان، تميز بحفظه للقرآن الكريم وتجويده وقرأته بقرآته السبع، وقد تتلمذ في طرابلس ثم انتقل إلى تونس ودرس في الزيتونة ، وقد تعلم اللغة التركية، كما حضر دروسا للقطب بوادي مزاب، كما حضر دروسا لشيخ "المجاوي" بالجزائر العاصمة، انتقل إلى وادي مزاب بعد الاحتلال الإيطالي لليبيا 1911، وقد دعوه في القرارة للتعليم فاستجاب ، وساند ش"بيوض" في حركته الإصلاحية، للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون:المرجع السابق، ج 4، ص ص 755 . 757. وينظر: عادل نويهض:المرجع السابق، ص 204.

(5) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: الشيخ عدون في سطور، مجلة الحياة، نشر جمعية التراث، العدد 10 ، 1، الجزائر، سنة 2006، ص 184.

وفي سنة 1919م عاد مرة أخرى إلى القرارة من أجل أن يؤسس أسرة و عمره آنذاك سبع عشرة سنة⁽¹⁾، تزوج بسيدة "عائشة بنت الحاج سعيد بن كاسي"، وأنجب منها ثلاث ذكور وبتان، وبعد وفاة زوجته 1956م عاود الزواج بسيدة "صفية بنت صالح خياط" وأنجب منها طفلا وبتنا⁽²⁾.

إلا أن نفسه كانت تواقّة لكي ترجع إلى مضمار التعليم، انخرط مرة أخرى في معهد ش "الطرابلسي" وبعد مدة سبعة أشهر أتم حفظ القرآن بكامله، وانخرط في هيئة إروان⁽³⁾، ويقول في هذا الصدد ش "عدون": "... رجعت إلى البلد وعكفت على حفظ القرآن في إحدى الكتاتيب الموجودة في القرارة، عكفت حتى حفظت القرآن في شهر، فالتحقت بجماعة (إروان)⁽⁴⁾.

بعد انخراطه في هيئة إروان 1920م انضم إلى معهد ش "الحاج عمر بن يحيى المليكي"، الذي سُر بدوره بانضمامه لهذا المعهد كعضو جديد في حلقة العلم ورافع لراية الإصلاح الاجتماعي في جميع جوانبه وذلك انطلاقاً من التعليم، وفي هذا المعهد بدأ يزاول تعليمه في علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية⁽⁵⁾، إلا أن الدروس التي يأخذونها غير مطبقة أي لا توجد فيها تمارين، كما أنه لا تجرى الامتحانات عادة، وذلك وفق النظام القديم، مما جعل ش "عدون" ترتسم في ذهنه بعض ملامح التغيير والبحث عن

(1) مصطفى بن صالح باجو: المصدر السابق، ص8.

(2) مقابلة مع الشيخ بلحاج بن سعيد (الشيخ عدون) شرفي، حول حياة الشيخ عدون في منزله بالقرارة ولاية غرداية، يوم: 2014/6/24، من الساعة 9:00 إلى 11:00 صباحاً. نسخة فيديو موجودة عندي.

(3) هيئة إروان: هيئة ينخرط فيها الطلبة المستظهرون للقرآن الكريم، ومفرد إروان هو إرو، واختلف في أصل كلمة، فمنهم من قال بأنها أصلها من اللغة العربية بمعنى يروون العلم، ومنهم من قال بأنها أصلها أمازيغي بمعنى فتيان. للمزيد ينظر: صالح بن عمر أسماوي: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الحلقة الثالثة، ط1، الجزائر، سنة 2008، ص ص 458 . 459.

(4) مصطفى بن صالح باجو، الشيخ بن سعيد شرفي (الشيخ عدون) في الخالدين، مجلة الحياة، طبع المطبعة العربية، ع10، ط1، الجزائر، سنة 2006، ص 234. وينظر كذلك: عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص15.

(5) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص15.

نظام جديد لتعليم يكون عصريا، غير الذي يدرس في هذا المعهد وغيره من المعاهد المتواجدة بالقرارة، ويتحدث عن نفسه ش "عدون" في مرحلة تتلمذه في معهد ش "الحاج عمر بن يحيى الملكي" قائلا: (كان هذا التلميذ في سنتيه الأوليين - كغيره من التلاميذ - لا يتصور العلم إلا دروسا دينية، من فقه يحفظ، ونحو تضبط قواعده دون تطبيق، ومحفوظات في مختلف الفنون تكدّس في الحافظة دون فهم)⁽¹⁾. إن في هذه المرحلة بدأ يدرك ش "عدون" أن مناهج التعليم المتداول بها في هذه المرحلة بالقرارة بل كل وادي مزاب، مناهج غير صالحة ولا تساهم في التطور العلمي، بل تعمل على إنتاج أنصاف مثقفين أي ذاكرة ممتلئة وعقل لا يعمل⁽²⁾.

ثانيا: الشيخ عدون ودعوته لتغيير مناهج التعليم

بدأت بواعث التغيير في نفسه تحدّثه من أجل نهضة علمية يكون منطلقها إصلاح مناهج التعليم ونظام التمدّس في المعاهد والكتاتيب، وقد كانت بواعث هذه التصورات وهذه الأفكار الجديدة هي اتساع مدارك ش "عدون" من خلال الدروس التي يحضرها للشيخ "بيوض" الذي التقى به في معهد ش "الحاج عمر بن يحيى الملكي"، إضافة إلى مطالعته للجرائد والكتب الحديثة التي تستقدم من تونس، من بينها كتاب (إرشاد الحائرین) للشيخ "أبو اليقظان" وكتاب (الدعاية إلى سبيل المؤمنين) لشيخ "أبي إسحاق إبراهيم أطفيش"⁽¹⁾.

(1) سعيد بن الحاج شريفی (الشيخ عدون): معهد الحياة نشأته وتطوره، تق محمد صالح ناصر، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، ط2، الجزائر، سنة 2009، ص 34.

(2) الحاج موسى بن عمر: أضواء على إسهامات الشيخ عدون (1901 - 2004) في الحركة الوطنية الجزائرية، ع20، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر 1954، بد ط، الجزائر، سنة 2009، ص 162 - 163.

كما أن احتكاك ش "عدون" بالطبقة الكبيرة من الطلبة القدامى الذين خلفهم ش "الحاج عمر بن يحيى المليكى" بعد وفاته سنة 1921م، وأصبحوا هم قادة الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية وعلى رأسهم ش "بيوض" الذي كان ش "عدون" يلازمه كثيرا بل يعد أحد أصدقائه المقربون منذ أن تعرف به في المعهد، فحضوره لهذه الجلسات العلمية والمناقشات الفكرية حول واقع التعليم بالقرارة ومناهجه جعله يأخذ فكرة عن الأوضاع وعن التوجهات التي تتعارض بين المشايخ والطلبة⁽²⁾.

ومنذ سنة 1923م بدأ الصراع يشتد بين طلبة ش "الحاج عمر بن يحيى المليكى" حول تغيير مناهج التعليم السائدة آنذاك و التي عرفت بالتقليد وعدم إعمال العقل، فقسم أصر على الإبقاء على هذه المناهج ، وقسم آخر أصر على تغيير المناهج وهم المشايخ المتأثرون بالبعثات العلمية التونسية وكانوا طلبة قد درسوا في تونس، أو من الذين يقرؤون الجرائد والكتب التي يرسلها ش "أبي اليقظان" من تونس⁽³⁾، وأما موقف ش "بيوض"⁽⁴⁾ فكان موقفا وسطا ولم يتبنّ أي اتجاه في بادئ الأمر بل كان متحفظا، وأما ش "عدون" تأكدت لديه حتمية تغيير المناهج حتى تكمل النهضة مسيرتها⁽⁵⁾.

(1) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 35.

(2) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص 16.

(3) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 36.

(4) لقد كان موقف ش "بيوض" يتأرجح بين حبه للتجديد والتغيير المناهج ، وبين محاولته على الحفاظ على الجماعة من الانشقاق والمحافظة على معهد أستاذه "الحاج عمر بن يحيى المليكى" لذلك لم يستطع ش "بيوض" أن يحسم موقفه في بداية الأمر، رغم الضغوط التي مارسها عليها تلامذته الذين نادوا بتغيير الذي أرشدهم إليه ش "أبو اليقظان". للمزيد ينظر: سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 35.

(5) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 35.

وبعد عودة ش "أبي اليقظان" 1923م إلى القرارة وبعد إصداره كتاب (إرشاد الحائرين) الذي أطلق فيه حملة قوية ضد مناهج التعليم بمعهد القرارة حيث عاب عليهم عدم مواكبتهم لمناهج العصر وعدم تعليمهم بعض العلوم مثل الرياضيات والهندسة وغيرها، كما كانت اجتماعاته بالطلبة المتحمسين للعلم وبث فيهم روح التجديد جعلتهم يفكرون في التغيير و يلحون عليه ، ويقول في هذا الصدد ش " دبوذ": (وكان هؤلاء الطلبة النابھون هم : الشيخ عدون بن الحاج، والشيخ قاسم بن عيسى ،.... وكان الشيخ عدون أصغرهم سنا، ولكن أكثرهم حماسا، وكان ذكيا حازما مخلصا، صافي الطوية، شديد الغرام بالعلم، فبرزت شخصيته بالمعهد فجعل ناظره، وكان ممن قاد معركة الإصلاح في المعهد، وأكبر من طالب بإنشاء معهد الحياة)⁽¹⁾.

لقد أدرك ش "عدون" المناهج المتبعة في معهده الذي يشغل فيه ناظرا أنها مناهج بالية، فحمل على عاتقه أن يقنع أساتذته ومشايخ المعهد على تغيير المناهج واستبدالها بمناهج عصرية تواكب الحضارة والنهضة العلمية، وبعد جلسات طويلة عقدها مع شيخ المعهد "الحاج عمر بن الحاج مسود"⁽²⁾ ومن معه إلا أنهم أصروا على مواقفهم، وكان ش "بيوض" يقف إلى جانبهم و يدعم طرحهم فكثيرا ما قال للشيخ "عدون" أن المعهد يسير سيرا حسنا فلماذا الإصرار على تغيير المناهج، لكن المناهج المعمول بها

(1) محمد علي دبوذ: نھضة الجزائر الحديثة وثورتھا المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 21.

(2) الحاج عمر بن الحاج مسعود: (1893 . 1938م) ولد بالقرارة تعلم على يد ش "عمر بن يحيى المليكى" ، وأصبح مدرسا في معهد شيخه، وخلفه في رئاسة المعهد بعد وفاته 1921م، كما أسس مدرسة قرآنية 1924م، وخلف مكتبة من المخطوطات النفيسة. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 3، ص 652.

في هذا المعهد لا تنتج متمرسين للعلم بل تنتج حاملين للعلم وحافظين للمتون لا مكانة لإعمال العقل، ولا مكانة للعلوم العقلية، بل يجب الاقتصار على بعض العلوم النقلية فقط⁽¹⁾.

فموقف ش"بيوض" زاده هما وحيرة لشيخ "عدون"، رغم علمه أنه متطلع لإصلاح الأوضاع لكنه يقدم احترام أساتذته على أن يغير الخطأ، وهذا هو الخطأ بعينه، كما أن موقف بعض الطلبة الذي يوحي بعدم اهتمامهم لتغيير المناهج وقصور طموحهم، جعل ش"عدون" يصاب بالقنوط من وضع التعليم في القرارة⁽²⁾.

وفي سنة 1924م وبعد سلسلة من الجلسات كان ش"عدون" هو الذي ينظمها، من اجل الوصول إلى حل يفضي إلى تغيير مناهج التعليم المتبعة في المعهد، وبعد أن تم إقناع ش"بيوض" بحضور إحدى الجلسات و التي تم في منزله بحضور ش"عدون" وش"قاسم بن الحاج عيسى"⁽³⁾ وآخرون، حيث عاتبوا فيها ش"بيوض" على مواقفه ولم يخرجوا بنتيجة مرضية ، ولكن بعد اجتماع آخر مع ش"الحاج عمر بن الحاج مسعود" توصلوا إلى اتفاق مفاده أنه يتم إدخال تعديل في بعض الدروس⁽⁴⁾، شريطة أن تنقل جمع

(1) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 38 - 41.

(2) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 37.

(3) قاسم بن الحاج عيسى بن الشيخ بلحاج: (ت 1942) ولد بالقرارة ، تتلمذ على يد ش"إبراهيم بن عيسى" وش"الحاج عمر بن يحيى"، ثم انتقل إلى تونس ودرس في الزيتونة، يعد أحد ركائز الحركة الإصلاحية بمزاب، كما ساعد ش"أبي اليقظان" في تأسيس مجلته، وله عدة مقالات نشرت فيها. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 4، ص 723 . 724.

(4) لقد تحدث ش"عدون" عن هذه الإصلاحات التي تمت قائلًا: (وقع الاتفاق على إدخال إصلاحات مبدئية منها: درس في التفسير يلقيه الشيخ بيوض على الجميع، ما عدا الصغار. ويتولى أيضا درسا في الفقه في كتاب النيل لشيخ عبد العزيز الثميني (رحمه الله) . ودرسا في النحو في كتاب ابن عقيل للمتوسطين. ودرسا في الأخلاق في كتاب عظة الناشئين للشيخ مصطفى الغلاييني للصغار والمتوسطين. ويتولى الشيخ الحاج عمر بقية الدروس من أصول الدين وفقه ونحو وصرف لبقية التلاميذ ومختلف الطبقات) للمزيد ينظر: سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 44 . 45.

الدروس إلى منزل ش"الحاج عمر بن الحاج مسعود"، وتم الاتفاق، وقد رأى ش"عدون" أنها أول خطوة نحو الإصلاح.

لكن بعد الرحلة التي قام بها "الحاج عمر بن الحاج مسعود" نحو مزاب جعلته يعدل عن بعض آرائه، وذلك نتيجة تأثره بآراء بعض مشايخ مزاب الذين يدعون للمحافظة على المناهج القديمة، فشرع ش"الحاج عمر" ينتقد الحركة الإصلاحية التي يقودها ش"عدون" في المعهد، في محاولة منه على تأليب التلاميذ ضده خاصة عندما رأى أن التلاميذ أصبحوا يعملون عقلم في جميع المسائل الفقهية وأصبحت لديهم ملكة النقد⁽¹⁾.

وقد كان ش"بيوض" غائبا عن القرارة فراسله ش"عدون" حتى يعود وينقذ الأوضاع قبل فوات الأوان وهذا بعض ما جاء في الرسالة: (... ولا تسأل عن أحوال التعليم فإنها تبكي، وبالأخص بعد عودة الشيخين من ميزاب، فإنهما ومن معهما شرعوا ينشرون آراءهم في غير محضرتنا، ويقابلوننا نحن بشيء من الفتور لم يكن معهودا منهم، ويبدون إشارات وتلميحات تدل على ما يضمرون....، فالمطلوب منك أن تعجل بالرجوع فقد طال مكثك....، فإن فعلت فقد أدت الواجب، وإلا فسلام على العلم والقرارة و ميزاب والجزائر)⁽²⁾.

فهنا ألاحظ أن ش"عدون" أدرك الخطر الذي هو فيه وأنه لا يستطيع وحده أن يواجه هؤلاء المشايخ كلهم خاصة بعد إصرارهم على الحفاظ على المناهج القديمة، ووجد أن ش"بيوض" هو الذي سيؤازره في مشروعه الكبير والذي بدأت ملامحه ترسم، فراسله للرجوع إلى القرارة قبل فوات الأوان، ولكن الحقيقة

(1) سعيد بن الحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص ص 45 . 46.

(2) نفسه، ص 46.

التي يجب أن أشير إليها هي أن ش "عدون" كان المحرك والدافع لعجلة تغيير مناهج التعليم واستبدالها بمناهج عصرية تساهم في تطوير النهضة العلمية، وجعل حياته هي تغيير مناهج التعليم.

كان أول لقاء يجمع ش "عدون" وش "أبي اليقظان" سنة 1924م حيث ربط بينهم روابط محبة وعلم ومنذ ذلك الحين أصبح ش "عدون" يجالس شيخه ويبحث إليه برسائل في سفره، كما أعطى هذا اللقاء دفعا قويا لأفكار ش "عدون" التي تدعو إلى تغيير مناهج التعليم والتي استقاها من شيخه "أبي اليقظان" والبعثة التونسية⁽¹⁾ والمناهج المعمول بها في الخلدونية⁽²⁾ والزيتونة⁽³⁾.

وبعد عودة ش "بيوض" شرع في متابعة دروسه ولكن بطريقة جديدة حيث غير طريقة طرحه وأصبح يدعو في دروسه إلى إصلاح المنظومة التعليمية الاقتصادية والاجتماعية، و تعلم اللغات الأجنبية، فأحدث ثورة في المفاهيم والأفكار، وأستشهد بما قاله ش "عدون": (كانت هذه الدروس في أعلى طراز، لم يكن للقرارة عهد بها، دروس حية تبعث الحياة في القلوب الميتة، تدعو إلى الدين الصحيح والخلق المتين، وإلى الإصلاح العلمي والاجتماعي والاقتصادي، من إنشاء المدارس، وتعلم اللغات الأجنبية، والمشاركة في الوظائف العامة، وإنشاء الشركات... فأحدثت ثورة في الأفكار ويقظة في النفوس...)⁽⁴⁾.

وبعد أن جاء وفد من مزاب محاولا أن يثني الشباب عن عزيمتهم، و أن يحافظوا على المناهج القديمة في محاولة لدعم المشايخ المعارضين على هذه النهضة، نشب نزاع بين المشايخ وانقسمت الكتلة الطلابية

(1) سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص ص 47 - 49.

(2) ينظر قائمة المصطلحات الملحق 1.

(3) نفسه.

(4) سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 50.

إلى قسمين بين مدعم لطرح وبين معارض له، وبعد اجتماعات مطولة دامت لأيام نتج عنه انقطاع للدروس في المعهد، ولم يصلوا إلى حل في الأخير مما تسبب في تشتت الطلاب في الأمصار، فكان الحل في الأخير هو الانقسام، فتحول المعهد من منزل ش" الحاج عمر بن الحاج مسعود" إلى منزل ش" بيوض"⁽¹⁾. وكانت هذه الحادثة إيذانا ببداية مرحلة جديدة في حياة الحركة العلمية بالقرارة ووادي مزاب والجزائر.

ثالثا: صفات الشيخ عدون

لقد تميز ش" عدون" بمجموعة من الخصال كانت جزء من شخصته تميزت ذاته بها عن الآخرين، وقد استقاهها من القرآن وسنة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن مجتمعه الإباضي المزابي، ومن أبرزها أذكر:

1. الإخلاص: لقد اتفق جميع من عاشر ش" عدون" سواء تلاميذه أو أصدقائه أو أقرباءه أن أبرز صفة تحلى بها ش" عدون" هي صفة الإخلاص حتى قال في حقه ش" عبد الرحمان بكلي" (إنه الإخلاص يمشي على رجلين)⁽²⁾، فشيخ "عدون" تميز عن غيره بنكران ذاته وإخلاص عمله لوجه الله وحده لا شريك له، والدليل على ذلك هو أن كل من تسأله عن أسس معهد الحياة وسعى جاهدا في إقامته سيقول لك بأنه هو ش" بيوض" وذلك في حياة ش" عدون"، فتجده يُثَبِّتُ القول على ذلك ويؤكدده للناس، لكن الحقيقة هي أن ش" عدون" هو الذي سعى في حركية تغيير مناهج

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 51 . 56.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، ط2، الجزائر، سنة 2008، ص 307.

التعليم وفي تأسيس معهد الحياة في حين كان ش"بيوض" يقف موقفا وسطا⁽¹⁾، فهل يوجد إخلاص أكبر من هذا، حقا لو أراد الله أن يجسد قيمة الإخلاص في شخص ما، لاختار الإخلاص أن يجسد في شخص ش"عدون".

لقد كان ش"عدون" دائما يحث طلبته والمجتمع عموما على الإخلاص وكان يقول: (الإخلاص كما قلت مرارا: ليس معناه أن تتقن عملك فحسب، الإخلاص أن يكون العمل لوجه الله تعالى، تتحمل الأذى وتصبر عليه، وتشكر النعمة كذلك، وأن تعمل لوجه الله لا تريد جزاء ولا شكورا كما قال تعالى)⁽²⁾، لقد تلمس ش"عدون" القرآن بقيمه وحوله إلى حركة علمية ونهضة ثقافية، فكان يلتزم قبل أن يأمر أو ينهى. ويعتبر "محمد صالح ناصر"⁽³⁾ أن صفة الإخلاص هي مفتاح لشخصية ش"عدون" وأن الصفات الأخرى تدور حولها⁽⁴⁾، فبفضل إخلاصه استطاع أن يؤسس لمعهد كان منارة للعلم في الجنوب الجزائري.

2. الاستقامة: لقد أدرك ش"عدون" منذ بلوغه أن أحسن أسلوب في النصح والتربية هو أسلوب القدوة وفقا لقوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 37.

(2) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص 5.

(3) محمد صالح ناصر: ولد بالقرارة سنة 1938 استظهر القرآن 1954، تخرج في معهد الحياة سنة 1959، تحصل على شهادة اللسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة 1966، وشهادة الدكتوراه حلقة ثالثة 1972، وشهادة دكتوراه دولة في الجزائر 1983، ووسام العالم الجزائري 2008 ، وله أزيد من مئة مؤلف للمزيد: ينظر محمد صالح ناصر : ذكرياتي ومذكراتي ، دار ناصر، ج1 وج2 ، ط1، سنة 2014، ص ص 16 . 425 17، 525

(4) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 306.

الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا⁽¹⁾، فشرع ش "عدون" يصلح نفسه ويلزمها على الاستقامة مقتديا بهدي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حتى أصبح تلاميذه يتبعونه ويتخلقون بأخلاق القرآن ويلتزمون بنصائحه حتى إن لم يقلها يكفي أنه يلتزم، فأسس لمنهج جديد مفاده هو أن الفعل أبلغ من القول وانتقل من جغرافية الكلمة إلى تأريخ الفعل.

ويقول عنه شيخه وأستاذه "أبي اليقظان" مستشهدا متأثرا بدمائة أخلاق واستقامة ش "عدون": (أوتي حظا موفورا من الخلق الكريم، من تواضع، وصبر، وثقة بالله واتكال عليه وتقوى له، وإيمان كامل به، وعزة نفس، وهمة عالية، ولين عريكة، وحسن نية، وصفاء قلب، وصدق وإخلاص، وورع وزهد، ومحافظة على سمة السلف الصالح، وحزم وعزم واقتدار على إدارة ما يناط به من المهام بأمانة وجد لا يعرف كللا ولا سأمًا ولا تزعزا في ميدانه)⁽²⁾.

فمن هذا النص الذي أورده ش "أبي اليقظان" ندرك مدى استقامة ش "عدون" الذي مر في صغره بأوقات عصيبة، حيث إنه درّس لمدة ثلاثة عشر سنة بدون مقابل، وكان يعمل بين أوقات التدريس لفقره فلاحا حتى يجني قوت عياله، وبعد الخمسينيات فتح الله عليه أبواب رزقه فخشي ش "عدون" قوله تعالى: { ...أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا... }⁽³⁾، حيث قال في جلسة مع "محمد صالح ناصر": (لقد مررت في حياتي بمراحل صعبة مواجهها شظف العيش بصبر وإيمان،

(1) سورة الأحزاب: الآية 21.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 314.

(3) سورة الأحقاف: الآية 20.

ولكن الله فتح علي أبواب رزقه منذ بداية الخمسينيات إلى اليوم، وإني والله لأخشى أن يحاسبني الله على هذه النعم التي تترى عليّ من كل جانب (1).

3. الأستاذ المريني: لقد جمع ش "عدون" بين التربية والتعليم فكان مرييا لنشئ ومعلما له في معهد الحياة، ومن بين المبادئ التي كان يلقنهم إياهم (الأخلاق قبل الثقافة ومصلحة الجماعة قبل الفرد) (2)، فجمع بين الأبوة والأستاذية (3)، فصار تلاميذه يلقبونه بالأب الروحي، وكل خرجي معهد الحياة منذ 1925م حتى وفاته يذكرون خيره عليه واهتمامه بطلبته حتى بعد تخرجهم، فهو يتابعهم في الحياة الجامعية أو العملية، فتجد يرسلهم لكي يهنئهم على تحصيلهم على الشهادات وتجاوزهم لدرجات (4)، ومن بين مظاهر وفاء تلامذته نجدهم كثير ما يهدون مؤلفاتهم للشيخ "عدون"، ففي مقدمة المؤلف تجد عبارة (إلى فضيلة الإمام الشيخ عدون) وغيرها من العبارات (5).
لقد استطاع ش "عدون" أن يؤسس علاقة روحية بينه وبين طلابه، يذكرونه أينما ارتحلوا ولا ينسون فضله، ويرون فيه الأب الحنون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ش "عدون" قد أحسن التربية والتعليم.

4. التواضع: لقد كان التواضع أحد مكونات شخصية ش "عدون"، دون تكلف منه، ومن مظاهر تواضعه حين ترؤسه إدارة معهد الحياة وحلقة العزابة وجمعية التراث وغيرها من المؤسسات، لا ينفرد

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 316.

(2) محمد صالح ناصر: الشيخ عدون الأستاذ المريني، مجلة الحياة، ع 10، طبع المطبعة العربية ط 1، الجزائر، سنة 2006، ص 190.

(3) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 308.

(4) المصدر نفسه، ص 316.

(5) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ز.

برأي ولو كان رأيه غير رأي الجماعة تجده يتبنى موقف الأغلبية، كما أنه كثيرا ما يعرض مقالاته ورسائله التي يكتبها على تلاميذه حتى يبدون رأيهم فيها، حتى أنه قدم كتابه الوحيد الذي ألفه عن نشأة معهد الحياة لكي يصححه أحد تلاميذه ويجعل له مقدمة⁽¹⁾.

5. الحزم والانضباط: تميز ش"عدون" عن بعض معاصريه في انضباطه والتزامه الكبير اتجاه التعليم حتى صار معلما وقدوة لجميع الأساتذة والطلبة رغم كبر سنه تجده أول الحاضرين في الصباح وآخر من يخرج من المعهد، ولا يغيب عن دروسه وإدارته إلا لسبب قاهر⁽²⁾، مما جعل طلابه يحترمونه ويلتزمون مثله وهذا ما قادهم لكي يكونوا دكاترة في المستقبل يفتخر بهم ش"عدون"، حيث مكثه الله من رؤية ثمار جهوده قبل أن ينتقل إليه.

6. حب الدعابة والطرفة: رغم ما عرف عن ش"عدون" من حزم والتزام و انضباط ، إلا أنه كان اجتماعيا كثيرا ما يعقد جلسات للسمر مع تلاميذه، حيث يترفه معهم بنكة أدبية رفيعة في جو من الاحترام المتبادل، وكثيرا ما عقد رحلات إلى الصحراء وروضات مع طلبته المقربين الذين يعتبرهم أصدقاءه فتجده معهم كشاب صغير يتناقشون ويتضحكون دون تكلف، إنه ش"عدون" ذلك الرجل الذي أردا أن يكون مثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سيرته⁽³⁾.

7. عاش العشرين خمس مرات: إن ش"عدون" من الذين توفوا وهم شبابا رغم تقدمهم في السن حيث بلغ المئة وزاد عليها بعض السنين، ولكن نشاطه وفاعليته في المجتمع وهو في آخر أيامه

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 320 . 322.

(2) نفسه، ص 323.

(3) نفسه، ص 324 . 325.

توحي للذين من حوله أنه شاب، وهذه الروح والهمة العالية التي عرف بهما ش"عدون" تقل في شبابنا اليوم، فلقد عاش شبابه خمس مرات، إنه العجوز الشاب، وهذه القيمة الخلقية التي خلفها لنا ش"عدون" وهو حديث الوفاة، إنما باعث خير وأمل على أمتنا وأنه مازال هناك نماذج يمكن للشباب اليوم أن يقتدي بها⁽¹⁾.

(1) محمد الهادي الحسني: بلغ العشرين خمس مرات، ضمن كتاب: محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه، نشر جمعية التراث، ط1، الجزائر، سنة 2009، ص ص 120 - 124.

من أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا الفصل هي:

❖ إن ظهور الحركة الإصلاحية في المشرق الإسلامي، كانت تأثيراتها واضحة على الجزائريين، وذلك

من خلال الأفكار الإصلاحية الحية، التي وفدت إلى الجزائر عبر الكتب المجلات والجرائد والطلبة الذين درسوا هناك، فاستنهضوا الهمم، وحاربوا البدع والجهل الذي كرسه فرنسا .

❖ إن سياسة التجهيل وطمس الشخصية الجزائرية التي كرسها فرنسا، من أكبر العوامل التي حركة

المصلحين، لإنقاذ وطنهم واسترجاع حريتهم، فأسسوا المدارس، و استغلوا المساجد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح النفوس.

❖ يعتبر علماء الإصلاح أمثال "الشيخ صالح بن مهنا" و"الشيخ عبد القادر المجاوي" و الآخرين،

واضعي اللبنة الأولى للحركة الإصلاحية في الجزائر، ورغم جهودهم المتفرقة لكنهم هيئوا الأرضية، للمؤسسي جمعية علماء المسلمين.

❖ بعد عودت الطلبة الجزائريين من المشرق، و تشبعهم بالفكر الإصلاحي أمثال ش"عبد الحميد بن

باديس" و ش"البشير الإبراهيمي" وش"الشيخ الطيب العقبي" وش"أبي اليقظان" وغيرهم، أحد أكبر العوامل وراء ظهور ج ع م ج، وذلك بعد توافق رؤاهم والاتفاق على توحيد الجهود، تحت

إطار جمعية واحدة تقود الأمة الجزائرية لتحرير جغرافية القلب والعقل والأرض سنة 1931.

❖ إن جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر (18م)، ومرت

بعده مراحل، وكانت مرحلة ش"الأفضلي هي مرحلة الميلاد و التععيد ، ومرحلة ش"الشميني" مرحلة الطفولة والبناء والتنظير، و مرحلة ش" محمد أطفيش" تعتبر مرحلة الازدواجية بين الإصلاح

الاجتماعي والعلمي معا، والتي أنتجت لنا أقطاب الحركة الإصلاحية وقائدتها أمثال ش" سليمان الباروني، وش" أبي إسحاق أطفيش"، و" أبي اليقظان".

❖ رغم تطور التعليم في وادي مزاب عبر مراحل له لكنه لم يصل إلى، المناهج التعليمية المعمول بها في المشرق، ولم يتح فرصة لتعم المرأة في مدارس نظامية، رغم وجود عاملات فتحن بيوتهن لتعليم.

❖ ما كان لشيخ " عدون" أن يؤسس معهد الحياة، لولى جهود المشايخ الذين سبقوا حيث هيئوا له الأرضية وأسسوا الحركة فوجد الركب قائما فتابع القيادة من بعدهم.

❖ لقد عاش ش" عدون" طفولة صعبة، حرمته من التعليم في بدايات حياته، لكن شغفه بالعلم، جعله يعود إلى مضمار العلم، ويتفوق فيه، حتى صار ينادي بتغيير المناهج وتطوير التعليم.

❖ يعتبر ش" عدون" من الأوائل الذي فكروا في إنشاء معهد الحياة وفق شروط ومناهج عصرية، وسعى في تجسد أفكاره، رغم المعارضة الشديدة التي لقيها.

❖ يعتبر شخصية ش" عدون" أمة في صفاتها ، لما يمتلك من صفات الحزم والعزم، التي أهلته لكي يكون قائدا ومصالحا، فارتبط اسمه بالتربية والتعليم.

الفصل الثاني: جهود الشيخ عدون في التربية والتعليم.

المبحث الأول: الشيخ عدون و معهد الحياة.

المبحث الثاني: الشيخ عدون وتأسيسه للجمعيات الثقافية التربوية.

المبحث الثالث: الشيخ عدون ودعوته لتعليم المرأة.

الفصل الثاني : جهود الشيخ عدون في التربية والتعليم.

يعتبر ش"عدون" محطة تاريخية في الحركة الإصلاحية، ورائدا في مجال التربية والتعليم، فمن خلال الفصل الثاني، سأبين جهود ش"عدون" في التربية والتعليم والتي أخذت عدت أنطاط وأشكال.

قبل ظهور معهد الحياة، كان هناك في وادي مزاب أشكال مختلفة من التعليم، وكان للأفكار الوافدة من المشرق دور كبير في تبلور الوعي وتطوره، إذن فيما تمثل أنواع التعليم في وادي مزاب قبل ظهور معهد الحياة؟، وما هي البلدان العربية التي تأثر بها واد مزاب، وكانت وراء ظهور معهد الحياة؟.

لم يكن معهد الحياة، كما نراه اليوم ونتصوره، بل مر بمراحل عدة، وكان هناك أسرة علمية، تتفاعل داخله، وكان ش"عدون محور التفاعل، إذن ما هي مراحل تطور معهد الحياة؟ و فيما تمثلت برامجه وأهدافه؟، وكيف كانت علاقة ش"عدون" بأساتذة المعهد وطلبته؟

لقد أدر ش"عدون" أن المعهد لن يستطيع أن يؤدي وظيفته الحضارية وحده، فعمد إلى تأسيس مجموعة من الجمعيات الثقافية، فما هي هذه الجمعيات؟، وفيما تتمثل برامجها وأنشطتها؟.

تعتبر المرأة في المجتمع المزابي صمام الأمان، لذلك لم يسمح لها أن تتعلم سوى ما يتعلق بأمور دينها، إذن ما هي مكانة المرأة في المجتمع المزابي؟، وما هي مستويات التعليم التي بلغت المرأة قبل مجيء ش"عدون"، وفيما تمثلت جهود ش"عدون" في تطوير تعليم المرأة.

المبحث الأول: الشيخ عدون و معهد الحياة.

أولاً: نظم التعليم في واد مزاب قبل ظهور معهد الحياة.

قبل أن أتطرق إلى تأسيس معهد الحياة وصياغة مناهجه ورسم ملامحه، سأنوه بأنواع التعليم بوادي مزاب قبل ظهور معهد الحياة، والتي تنقسم إلى نوعين وهما التعليم المسجدي والتعليم المشيخي⁽¹⁾.

1. التعليم المسجدي: يعتبر التعليم في وادي مزاب أحد مهام المسجد وتشرف عليه حلقة العزابة

مباشرة، وذلك من أجل تعليم أبناء المجتمع أمور دينهم وتربيتهم ، ويقول في هذا الصدد

ش"إبراهيم طلاي"⁽²⁾: (لعل أكبر جهد قامت به حلقات العزابة، وكان لها أقوى الأثر في المجتمع

هو تنشئة الناشئة على التربية الدينية، وتعليمها، وتلقينها القرآن الكريم، فلكل مسجد في ميزاب

محضرتان، أو ثلاثة محاضر يتلقى أطفال القرية تعليمهم مبادئ الكتابة واللغة، وتحفيظهم القرآن

الكريم...، فقهاء العزابة هم الذين يتولون التدريس فيها مجاناً...)⁽³⁾.

فالتعليم المسجدي ينقسم إلى مستويين المحضرة وحلقة إروان ولكل واحد مميزات وشروط

الانضمام.

(1) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص103.

(2) ش إبراهيم محمد طلاي: (1929.) من مواليد بني يسجن بوادي مزاب، تخرج من المعهد الجابري ببني يسجن سنة1954، ثم زاول دراسته العليا بالزيتونة بتونس، وتحصل على الشهادة العالمية في الأدب وعلوم اللغة العربية 1959م، درس كأستاذ ثانوي بعد الاستقلال، وفي 1981 انتدب مفتشاً في المجلس الأعلى الإسلامي للغة العربية، وفي1992 تقاعد وتفرغ لتحقيق الكتب وتأليفها، للمزيد ينظر غلاف كتابه: إبراهيم محمد طلاي: مزاب بلد كفاح، مطبعة الأفاق، بد ط ، الجزائر، بد سنة، ص غلاف الكتاب من خلف.

(3) المرجع نفسه، ص ص 87 . 88.

أ. المحاضرة : وهي المرحلة الأولى من التعليم، حيث يتلقى فيها الأطفال دروس اللغة العربية، وتلقينهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمحاضر تقابلها الكتاتيب، وعادة تكون

المحاضرة بجانب المسجد، كما أن التلميذ لا يخضع فيها للامتحانات بالضرورة⁽¹⁾.

ب. حلقة إروان : تعتبر حلقة إروان المستوى الثاني من التعليم، ويشترط في الانضمام إليها

استظهار القرآن، ويتلقى الطلبة الدروس فيها على يد شيخ حلقة العزابة، كما تعتبر أكاديمية

إن صح التعبير لإعداد أعضاء حلقة العزابة⁽²⁾.

لقد أدى التعلم المسجدي دورا هاما في الحفاظ على المستوى الأدنى من التعليم لدى الفرد

المزايي لقرون من الزمن، والحفاظ على شخصيته الإسلامية، لكنه لم يكن يخضع لنظام

الامتحانات ، فيتركز على الحفظ دون إعمال العقل، كما أنه لم يمس كل أطراف المجتمع، بل

خصه على بعض الذكور دون الإناث⁽³⁾.

2. التعليم المشيخي: هو ذلك التعليم الذي يشرف عليه المشايخ والعلماء ، فيؤسسون دورا للعلم ،

ويضعون لها مناهج ونظما لتعليم فتستقبل الطلبة دون أن يكون لها اتصال أو وصاية من حلقة

العزابة، فقد يكون الشيخ أحد أعضاء العزابة أو شيخ الحلقة⁽⁴⁾.

(1) صالح بن عمر أسماوي، المرجع السابق، حل2، ص ص 451 . 453.

(2) الحاج أيوب إبراهيم يحيى: الشيخ القرادي . آثاره الفكرية، نشر جمعية النهضة، ط2، الجزائر ، سنة 2009، ص83. ينظر: صالح بن

عمر أسماوي، المرجع السابق، حل2، ص ص 458 . 472.

(3) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص ص 110 . 112.

(4) نفسه ، ص ص 112 . 116.

ويعتبر التعليم المشيخي القاعدة الأولى لنهضة العلمية لإباضية الجزائر، وبفضله استطاعوا أن يحدثوا ثورة في جميع الميادين وخلف هذا النمط حركة علمية إصلاحية كبيرة جدا وهذا ما أشرت إليه في المبحث الثاني من الفصل الأول، وذلك على عهد ش"الأفضلي" وش"الشميني" وش"محمد أطفيش" وغيرهم. وأستشهد بنص لشيخ "عبد الرحمان بكلي" متحدثا عن التعليم المشيخي: (جرت سيرة ميزاب أن العلماء الذين يتصدرون لنشر الثقافة في عموم الأمة، تكون للبارزين منهم ديارا للعلم...، زيادة على منابر المساجد التي يرسلون من عليها أصواتهم، المدوية، ويقتصرون في دروس المسجد على الوعظ والإرشاد...، أما الدروس العلمية التي تستدعي تعمقا في البحث...، فيدرسونها في دور العلم للطلبة) (1).

إلا أن التعليم المشيخي لا يخلو هو الآخر من سلبيات من بينها، تسبب بعض العلماء في شرح شبكة العلاقات الاجتماعية في أثناء حركتهم التغييرية، كما أن هذا التعليم اقتصر على الذكور دون الإناث (2).

ثانيا : دور المشرق في النهضة العلمية بوادي مزاب

لقد أشرت في الفصل الأول عن جذور النهضة العلمية بوادي مزاب، التي تبدأ منذ عهد ش"الأفضلي"، لكنني هنا سأشير إلى شق آخر لم أشر إليه بعد ، وهو تأثير الحواضر المشرقية على الحركة العلمية بوادي مزاب واقصد بذلك تونس ومصر، فلقد تأثر رواد الحركة الإصلاحية بوادي مزاب بنهضة

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي: المصدر السابق، ص97.

(2) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص118.

العلمية التي عرفتها مصر وتونس مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونقلوا أفكارها ومناهجها التربوية إلى وادي مزاب، فأعطت هذه الحواضر دفعة قوية للحركة الإصلاحية والنهضة العلمية بوادي مزاب، والتي تجلّى مظاهره في معهد الحياة بالقرارة⁽¹⁾.

1. دور تونس في النهضة العلمية بوادي مزاب: إن البعثات العلمية التي شرع المزابيون في إرسالها إلا

تونس منذ سنة 1914م⁽²⁾ برئاسة ش"أبو اليقظان" من أجل التعليم والاستزادة في العلوم، لوجود مدارس متطورة عن الجزائر مثل جامع الزيتونة و الخلدونية، فكان تأثرهم بالمستوى الحضاري الذي بلغته تونس آنذاك كفيل بأن يعكس رغبتهم في استيراد مناهج التعليم المعمول بها في المدارس التونسية ، وتصدير المقررات إلى مزاب من أجل الاستفادة من هذه النهضة العلمية والحركة الأدبية والشرعية⁽³⁾.

لقد استطاع ثلة من رواد الحركة الإصلاحية أن يوصلوا إشعاع النهضة العلمية التي عرفتها تونس إلى وادي مزاب، ومن أبرزهم ش"أبي اليقظان" وش"أبو إسحاق أطفيش" وش"عبد الرحمان بكلي" وغيرهم⁽⁴⁾، إلا أن الذي صدر الأفكار إلى القرارة من خلال ما يبعثه من جرائد وكتب

(1) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص254.

(2) لقد اختلف الروايات في تاريخ البعثة الأولى فبعض المصادر تشير إلى 1912م والبعض الآخر 1914م، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص273. ينظر: محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص59. ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 53.

(3) ويقول ش"أبو اليقظان" في هذا الصدد: (ونحن إنما أسسنا البعثة العلمية تحت تأثير ودوافع الحاجة الملحة إلى ذلك لما توجسنا من تطورات الحياة وشيكا بما تدفع إلى ميادينها الزاخرة أبناء المدارس والكليات والجامعات، وخشينا نحن من الذوبان وتلاشي كيانا بصفتنا أمة لها كيائها وطابعها الخاص في الميدان الاقتصادي والاجتماعي بالقطر الجزائري شمالا وجنوبا، نحن نعد أنفسنا قد تأخرنا بيقظتنا عن الوقت اللازم). للمزيد ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص254.

(4) المرجع نفسه، ص254.

التي أنتجتها النهضة العلمية التونسية ، ومن خلال ما يؤلف هو ش "أبي اليقظان"⁽¹⁾، والذي استوعب هذه الأفكار وحولها إلى حركة علمية عملية ميدانية هو ش "عدون"⁽²⁾.

2. دور مصر في النهضة العلمية بوادي مزاب: رغم البعد الجغرافي لمصر عن الجزائر إلا أن وادي مزاب استفاد من هذه الحاضرة العلمية الكبيرة التي كانت منبع الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي بقيادة "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"⁽³⁾، وذلك من خلال ما وصل إلى المنطقة من منشورات وجرائد وكتب كانت من إنتاج حركية "محمد عبده" و"شيخه"4، كما ساهم ش "أبو إسحاق أطفيش" ببعث هذه المنشورات وما يدور من أفكار نهضوية إصلاحية بعد نفيه من تونس من طرف فرنسا سنة 1923م⁽⁵⁾.

وبهذا استفادت النهضة العلمية في وادي مزاب من الحواضر العلمية أمثال تونس ومصر، واستطاع ش "عدون" ومن معه من المصلحين والعلماء أن يدرجوا الأفكار الإصلاحية الجديدة في منظومتهم

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 35.

(2) نفسه، ص 36.

(3) لقد اعتمد كثير من كتب "محمد عبده" و"الكواكي" ورشيد رضا" كمقررات في معهد الحياة ويقول ش "بيوض" في هذا الصدد: (من الكتب الأولى التي قرأناها في هذا المجلس وأعدت أنا قراءتها ودرستها دراسة عميقة، ووعيت ما فيها، وتركت في نفسي أثرا عميقا راسخا: تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده للشيخ رشيد رضا... وقد تأثرت بهذا الكتاب تأثرا كبيرا، وعرفت شخصية الشيخ محمد عبده وإصلاحه الديني وجهاده، فكان من مثلي العليا، وقرأنا بعد ذلك الجزء الأول من هذا التاريخ، وكتاب (العروة الوثقى) وهي مجموعة مقالات التي نشرها الشيخ جمال الدين الأفغاني...، ومن الكتب التي قرأناها في هذا العهد في ندوة المطالعة وأثرت في وكوتتي في السياسة، وزادني غيرة وحماسة للدين وأمتي الإسلامية كتب الشيخ عبد الرحمان الكواكي، كتاب طبائع الاستبداد وكتاب أم القرى). للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، المصدر السابق. ص ص 170 . 171.

(4) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، المصدر السابق. ص ص 170 . 171.

(5) محمد صالح ناصر: الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، دار كولوريوم، ط5، الجزائر، 2013م، ص 25.

وبرامجهم التعليمية وذلك وفق تراثهم الحضاري المزابي الإباضي، فأسسوا للمعهد جديد يوفق بين القديم والجديد، كان ش "عدون" مديره و المشرف على برامج التعليم فيه والمراقب لنظامه.

ثالثاً: معهد الحياة تأسيسه وأهدافه وشروط الانضمام إليه.

تم افتتاح المعهد يوم 21 ماي 1925م بمنزل ش "بيوض" بحضور جميع أعيان البلدة وعزابتها⁽¹⁾، وقد أطلقوا على معهد الحياة في بادئ الأمر تسمية مدرسة الشباب⁽²⁾، وعندما نتحدث عن معهد الحياة نتحدث عن ش "عدون" فهما وجهان لعملة واحدة ولا يمكن ذكر واحد منهما دون ذكر الآخر: (لم يكن معهد الحياة قصة تسلية تروى كسائر الروايات، بل قصة مجد وملحمة جهاد، حمله الشيخ عدون مشعلا في حالك الظلمات، ونقَدَ هذا المعهد نفيس العمر والأوقات...) ⁽³⁾، فكانت أهداف ش "عدون" ومن معه من العلماء من وراء تأسيس هذا المعهد أهدافا سامية ومن بينها:

1. عبادة الله والجهاد في سبيله وتنقية الدين من الشوائب، والأفكار البالية التي خلفها هذا الزمان على الدين وأصبحت جزءاً منه⁽⁴⁾.

2. طلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم، الذي يجر العقل ويبدد ظلام الجهل⁽⁵⁾.

3. تربية النشء تربية صحيحة وفق مناهج عصرية⁽¹⁾.

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص59. ينظر: محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص ص 27 28. وينظر: عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص17.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص، المصدر السابق، ص9.

(3) المصدر نفسه، ص 8. ينظر: محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 29.

(4) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص62.

(5) محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 32.

4. تطوير مناهج التعليم ومواكبة العصر في علومه⁽²⁾.

5. تجنيد رجل أكفاء يخدمون الوطن ويجاهدون في سبيل تحريره⁽³⁾.

6. توحيد جهود المجتمع من خلال علماء يتم إعدادهم في هذا المعهد، لكي يكون قادة المستقبل ويحملون المشعل لمواصلة المسيرة⁽⁴⁾.

ويقول ش"عدون" متحدثا عن غاية تأسيس هذا المعهد: (إن الغاية التي يجب أن يجعلها المتعلم نصب عينيه نوعان : عامة: هي طلب رضا الله، وشرف العلم نفسه، ونفي الجهل عنه. خاصة: وهي تكوين الملكات العلمية في مختلف الفنون وتنقيف العقل، وتنوير الذهن، وتربية النفس تربية صحيحة وإعدادها لتحمل قسط من عبء الإصلاح الديني والملي و الوطني..)⁽⁵⁾.

ومن بين شروط الانضمام إلى معهد الحياة أذكر:

1. استظهار القرآن الكريم شرط أساسي للانضمام إلى المعهد، ولكن تم التنازل عن هذا الشرط فيما

بعد مع تطور المعهد في برامج⁽⁶⁾.

2. التزام الطالب في الشعائر الدينية من المواظبة في الصلاة والصوم.

3. ترك المعاصي جميعها صغيرة وكبيرة، مثل التدخين وما شابهه من الآفات الاجتماعية⁽⁷⁾.

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص59.

(2)المصدر نفسه، 35.

(3) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، جمعية التراث، بدط، الجزائر، سنة2009، ص7

(4) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص7.

(5) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص62.

(6) نفسه، ص74.

(7) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص8.

وبتطور المناهج ، تطورت معها شروط الانضمام إلى المعهد ومن بينها:

4. تحصل الطالب على شهادة التعليم الابتدائي، كون المعهد يتكفل بطور المتوسط والثانوي، وذلك

بعد الاستقلال⁽¹⁾.

5. نجاح الطالب في امتحان الذي يجرى في أول السنة قبل الانضمام⁽²⁾.

6. الحصول على الإقامة القانونية داخل الوطن للطلبة الوافدون من خارج الوطن ن وتأکید إقامته

في داخلية الحياة⁽³⁾.

رابعا : نظام معهد الحياة ومناهجه.

لقد كان ش"عدون" المدير الفعلي لمعهد الحياة⁽⁴⁾ منذ تأسيسه سنة 1925م، والساهر على وضع

برامجه ونظمه ومناهجه، حيث يقول: (وكنت مديرا للمعهد منذ تأسيسه سنة 1925م إلى اليوم، رغم

وجود الشيخ بيوض مشرفا على التعليم وعلى غيره، ولكن إدارة التلاميذ والدروس وتطبيقاتها

والامتحانات وما إلى ذلك، فأنا الذي أقوم به منذ 1925 إلى 1985م، وزدت أربع سنوات أو خمسة

حولي 1989 أو 90،...) ⁽⁵⁾.

إذن ش"عدون" هو المشرف على البرمجة، وجهاده منذ البداية من أجل تغير مناهج التعليم وتطويرها،

فلقد قسم مستويات التعليم إلى ثلاث أطوار، وكان يطلق على كل مستوى طبقة، فأما الطبقة الأولى أو

(1) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص8.

(2) نفسه، ص8.

(3) نفسه، ص8.

(4) ينظر في الملحق رقم 2 نص تاريخي لشيخ "عدون" يتحدث فيه عن معهد الحياة ودوره ونتائجه.

(5) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص21.

الطبقة الكبرى كانت تزاوّل المواد الآتية: 1 مادة الفقه: تدرس من كتاب النيل، 2 مادة أصول الفقه: تدرس من كتاب طلعة الشمس، 3 مادة البلاغة: تدرس من كتاب الجوهر المكنون، 4 مادة النحو: تدرس من كتاب النحو في الألفية، 5 مادة الصرف: تدرس من كتاب شذا العرف، 6 مادة المنطق: تدرس من كتاب السلم⁽¹⁾.

وأما الطبقة الثانية وهي الطبقة المتوسطة، فتدرس المواد الآتية: 1 مادة التوحيد والفقه: تدرس من كتاب مختصر الخصال، 2 مادة النحو: تدرس من كتاب قطر الندى، 3 مادة الصرف: تدرس من كتاب لامية الأفعال⁽²⁾.

وأما الطبقة الثالثة وهي الطبقة الصغرى فتدرس المواد الآتية: 1 مادة التوحيد والفقه: تدرس من كتاب تلقين الصبيان، 2 مادة النحو: تدرس من كتاب الآجرومية، 3 دروس عمومية: تدرس من كتاب قناطر الخيرات وعظة الناشئين⁽³⁾.

وأما نظام التدريس فكان لزاماً على الطلبة الاعتكاف على التعليم العام بكامله، ولا توجد العطل سوى ثلاث أيام في كل من العيدين، فالبرنامج اليومي، يبدأ بساعة قبل الفجر وتخصص لمراجعة الدروس والحفظ، وبعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس يخصص لدروس في المسجد، وبعد ساعة للراحة

(1) سعيد بن الحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 63. وينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 527. وينظر: محمد علي دبوز: نَهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 33.

(2) سعيد بن الحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 63. وينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 528. وينظر: محمد علي دبوز: نَهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 33.

(3) سعيد بن الحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 64 - 63. وينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 528. وينظر: محمد علي دبوز: نَهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج 3، ص 32.

تستأنف في المعهد إلى آذان الظهر، ثم تستأنف من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، ثم درس للوعظ من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، ثم تستأنف الدروس في الليل بعد العشاء وذلك في المعهد لمدة ساعتين⁽¹⁾. وأما شهر رمضان فكان يخصص لدروس الميراث والحساب وحفظ متون المواد كلها⁽²⁾.

فألاحظ هنا أن البرنامج الذي سطره ش "عدون" ومن معه كان برنامجا محكما ، كما أنه مكتظ ومضغوط جدا إذ الطالب لا يجد فسحة حتى لتنزه والراحة، عكس الوقت الحالي حيث نجد عطلة تتخللها فترات دراسية، أما على عهد ش "عدون" فكان كل الوقت للدراسة ، من أجل بناء واسترجاع الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية التي عمل المستدمر على طمسها .

لقد تجند للتدريس في معهد الحياة كل من ش "بيوض" وش "عدون"، فأما ش "بيوض" فقد تولى أغلب الدروس ، وأما ش "عدون" فقد تولى بعض الدروس في الأخلاق والأدب والإنشاء والإملاء للطبقة المتوسطة والصغيرة، مع الالتزام بإدارة المعهد⁽³⁾، ويتحدث عنه ش "دبوز" قائلا: (وكان مع الشيخ بيوض في هذه الخصائص ناظر المعهد في أطواره الأولى ومديره بعد ذلك أستاذنا الجليل الشيخ عدون بن الحاج حفظه الله.. إذ أنه الذراع الأيمن للشيخ بيوض في جهاده العلمي، وفي بناء المعهد

(1) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص ص 57. 58.

(2) نفسه، ص 64.

(3) محمد علي دبوز: تحفة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص ص 36 . 37. وينظر: سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 64.

وتسييره، لقد أحبه التلاميذ كل الحب، وفتحت له نفوسهم، فانصاعوا لمواعظه، ولازموا صراطه المستقيم الذي يأمرهم به، وهو من الأسباب الكبرى في نجاح المعهد...⁽¹⁾.

لقد مر معهد الحياة بعدة مراحل في مسيرته العلمية، وعرف عدة تطورات في مناهج التعليم وذلك حسب الظروف ومن أبرز هذه التطورات:

1. إن أول تطور عرفه معهد الحياة يتمثل في تلك الدروس التي أحدثها ش "بيوض" في التربية السياسية والاجتماعية، وكان يستخلصها من الجرائد المصرية من بينها (الفتح) و(الرسالة) و(الصرخة) وغيرها من الجرائد التي تأتي من المشرق، فأسس لروح الوطنية⁽²⁾.

2. وفي سنة 1940م تم تغيير نظام الطبقات حيث عدل من ثلاث طبقات إلى خمس طبقات، كما انضم عدد من الأساتذة إلى معهد الحياة لتدعيمه والتدريس فيه إلى جاب ش "بيوض" وش "عدون"، ومن بينهم ش "علي يحيى معمر النفوسي"⁽³⁾ وش "عمر بن صالح أداود الغرداوي"⁽¹⁾ وغيرهم⁽²⁾.

(1) محمد علي دبور: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 36.

(2) سعيد بن بالحاج شرفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 65

(3) الشيخ علي يحيى معمر النفوسي: (1919 . 1980) ولد بقرية تكوينت بنالوت بجبل نفوسة بليبيا درس مرحلة الابتدائية في ليبيا ثم رحل إلى جربة بتونس 1927 ليزيد التفقه في المذهب الإباضي ثم التحق بالزيتونة، وفي سنة 1937 التحق بمعهد الحياة وتعلم على يد ش "بيوض" وش "عدون"، وبعد تخرجه ساهم مدرسا في معهد الحياة، ثم إنتقل لليبيا وبدأ مدرسا وتدرج في المناصب حتى أصبح من المشرفين على مناهج التعليم في ليبيا، وله عدد كبير من المؤلفات من بينها (الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية بين الفرق الإسلامية، بحث في حكم التدخين،...) للمزيد ينظر: علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، مر بكير محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث، ط3، الجزائر، سنة 2003، ص ص ذ. ط. وينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 3، ص ص 619 . 623 .

3. وفي 1941م تزايد عدد الطلبة إلى حد كبير، مما استلزم نقل بعض حلقات العلم من المعهد⁽³⁾ إلى المسجد.

4. وفي سنة 1948م انضم ش "محمد علي دبوز" إلى هيئة التدريس في المعهد، وعمل هذا الأخير جاهدا في أثناء إقامته في مصر لطلب العلم على اعتراف الجامعات المصرية بشهادة المعهد الحياة، فصار كل متخرج من المعهد يستطيع الالتحاق بهذه الجامعات لاستكمال الدراسات العليا⁽⁴⁾.

5. وفي سنة 1956م تم إدراج بعض المواد مثل الفيزياء والرياضيات و الجبر، ولقد عانى المدرسون في تدريسها لعدم وجود مقررات بالغة العربية⁽⁵⁾.

6. وبعد الاستقلال 1962م أصبح المعهد يتكون من مستويين المتوسط والثانوي ، وانتظم على شكل المؤسسات الرسمية الجزائرية، وذلك من أجل أن يشارك في الامتحانات الوطنية من شهادات التأهل للمتوسط وشهادة البكالوريا، مع الإبقاء على المواد الشرعية⁽⁶⁾.

(1) الشيخ عمر بن صالح أداود: (1907 . 1960) ولد بغرداية وهو ضير تعلم في غرداية في مرحلته الأولى، ثم التحق بالزيتونة ضمن البعثة المزابية 1940، وبعد عودته التحق بمعهد الحياة، وقد درس في معهد الحياة لفترة ، ثم رجع إلى غرداية واشتغل بالتدريس والوعظ، اشتهر بصوته العذب في ترتيله للقرآن الكريم. للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 3، ص ص 643 . 645. ينظر: سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 67.

(2) نفسه، ص 67.

(3) لقد كان المعهد في منزل ش "بيوض" لمدة خمسة عشر سنة. للمزيد ينظر: سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 68.

(4) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص ص 69 . 70.

(5) نفسه، ص ص 70 . 71 .

(6) نفسه، ص ص 72 . 73.

وبقي معهد الحياة يتطور في مناهجه سنة بعد سنة وذلك حسب الظروف والمقتضيات، وظل

ش"عدون" المشرف عليه إلى وفاته.

خامسا : علاقة الشيخ "عدون" بالأساتذة المعهد وتلاميذه

1. علاقته بالأساتذة المعهد⁽¹⁾: إن دراسة علاقات الأفراد والجماعات عامل أساسي في البحث

التاريخي، وفي هذا نرى ش"عدون" محور التفاعل العلمي و الاجتماعي داخل معهد الحياة، فلقد

استطاع أن يؤسسها لشبكة علاقات اجتماعية أساسه طلب العلم لإعلاء كلمة الله، فقد بدأ في

المعهد أستاذا ومديرا برفقة ش"بيوض" لوحدهما ، و بعد تخرج ثلة من الطلبة من هذا المعهد

أصبحوا أساتذة فيه، جنبا إلى جنب مع مشايخهم "بيوض" و"عدون"، فكانت العلاقة وطيدة جدا

أساسها الاحترام والتقدير⁽²⁾.

فلمدة أزيد من خمس وستين سنة من إدارة معهد الحياة أمضاها ش"عدون" لم يمل منها، تعاقبت

عليه أجيال من الأساتذة معظمهم تخرجوا على يده، فدوما يوصيهم أن يكونوا قدوة لغيرهم، رافعا

شعاره المعروف (الدين و الخلق قبل الثقافة، ومصلحة الجماعة والوطن قبل مصلحة الفرد)⁽³⁾.

فالشيخ "عدون" يرى أن صلاح الطلبة ونجاحهم في دراستهم ، مرهون بكفاءة أساتذتهم

واهتمامهم بالعلم جمعا وتطويرا وتبليغا له، وفي إحدى المناسبات سنة1995م في اجتماع للأساتذة

(1) ينظر في الملحق رقم 10 صورة للشيخ عدون مع أساتذة المعهد.

(2) مقابلة مع الشيخ صالح باجو، حول علاقة الشيخ عدون بأساتذة داخل معهد الحياة ، في منزله بالقرارة ولاية غرداية، يوم: 2014/10/13 ، من الساعة 17:00 إلى 19:30 مساء. نسخة فيديو موجودة عندي.

(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، ص ص 9 . 10 . وينظر: محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص311.

من أجل النهوض بالمعهد في مناهجه، قال ش"عدون": (لو أموت والمعهد على هذا الحال فإني أموت بغصة)⁽¹⁾.

إذا هكذا كان ش"عدون" أستاذا ورفيقا وصديقا ومربيا ومشرفا على أساتذة المعهد، فكان معهد الحياة عبارة عن أسرة علمية تربوية ثقافية اجتماعية ويعد ش"عدون" هو الأب الروحي لها⁽²⁾.

2. علاقته بتلاميذ المعهد⁽³⁾: لقد فقه ش"عدون" مناهج التعليم والتربية و الإصلاح دون دخوله في أكاديميات أو جامعات، وذلك بفضل إصراره وإخلاصه لله و للعلم، فسبّل نفسه في سبيل الله و سخر حياته بكاملها للتربية والتعليم وإصلاح النفوس التي ستغير التاريخ⁽⁴⁾، واعتبر التعليم شيئا مقدسا كاد أن يضيفه إلى الأركان الخمسة للإسلام ويصبح الركن السادس، ويعتبر كل منقطع عن التعليم هو جنديا فارا من معركة الحياة يستوجب عقابه⁽⁵⁾.

كل هذه المعاني زرعها في تلاميذه فأسس لجيل قوامه تحرير الذات يقود إلى تحرير البلاد، نعم ش"عدون" شخصية تاريخية أدركت لحظتها التاريخية⁽⁶⁾، وذلك لتك المعاني التي أرسى لها ومن بينها أن العلم العمود الفقري لكل حضارة ، ويقول عنه أحد تلاميذه مقيما العلاقة التي جمعت ش"عدون" بتلاميذه: (جمع الشيخ عدون في علاقته بتلاميذه بين الأبوة الحانية والأستاذية الحقة، بل

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق ، ص 310.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 314.

(3) ينظر في الملحق رقم 9 صورة للشيخ عدون مع تلاميذه في معهد الحياة.

(4). مالك بن نبي: ميلاد المجتمع ، المرجع السابق ، ص 80.

(5) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ بن سعيد شريقي (الشيخ عدون) في الخالدين،المقال السابق، ص 237. ينظر كذلك: مصطفى بن

صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المصدر السابق، ص 13.

(6) محمد حسين هيكل: آفاق الثمانينات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بدم، لبنان، سنة 1983 ، ص 200.

كان لهم كالأمر الرؤوم أيضا، يعنى بهم ويسأل عن أحوالهم، ويسعى لحل مشكلاتهم، ويمدهم بالعون الأدبي والمادي لتجاوز عقبات التحصيل⁽¹⁾.

كان ش"عدون" أمة ، احتضن في معهده كل أنواع التلاميذ المجتهد والكسول والذكي والقصير، فرافقهم أحسن مرافقة، وتبعهم حتى بعد تخرجهم في الحياة الجامعية والعملية بمراسلات⁽²⁾، وذلك إكمالا لرسالته ، فبفضل إخلاصه وإصراره تخرج على يده كوكبة من العلماء وعظماء، أذكر بعضهم: أ.د "محمد صالح الناصر"، و ش" محمد علي دبوز"، وش "الناصر المرموري"⁽³⁾، الأديب ش "حمو فخار"⁽⁴⁾، والشاعر الثائر د. صالح خربي⁽⁵⁾، الخطاط الكبير د. "محمد شريفي" ابن ش

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المصدر السابق، ص 13.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 317..

(3) الشيخ الناصر بن محمد المرموري: (1927 . 2012م) ولد بمدينة القراة، تتلمذ في مدرسة الحياة ثم معهد الحياة، عين أستاذا بمعهد الحياة 1947م و بقي معلما إلى غاية وفاته، عين على رأس البعثة العلمية المزابية إلى القاهرة سنة 1962م، عين عضو حلقة العزابة سنة 1971م، ورئيسا لها بعد وفاة ش"عدون" 2004م، عرف بدروس وعظه ، وتفقهه في الدين واختصاصه في مجال الفتوى في المذهب الإباضي. للمزيد ينظر: محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص ص 470 . 520.

(4) الشيخ حمو بن عمر فخار: (1917 . 2005) ولد بغرداية ، وتلمذ في مرحلة الابتدائية بقسنطينة ثم التحق بمعهد الحياة 1939، ثم معلما بغرداية سنة 1947 ساهم في تأسيس أفواج الكشافة بغرداية 1948 ، وفي سنة 1962 أصبح عضو حلقة العزابة و كاتب مجلس عمي سعيد، لقد خلف تراثا فكريا كبيرا تمثل في خطب الجمعة وبعض الكتب ، يعتبر من رواد الحركة الإصلاحية بوادي مزاب، للمزيد ينظر : بكير الحاج سعيد أو عوشنت: أصالة الفكر الإصلاحي للشيخ حمو بن عمر فخار 1917 . 2005م، بد دار نشر، بد ط، الجزائر، بد سنة، ص ص 11 . 26. ينظر كذلك: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص ص 383 . 466.

(5) صالح خربي: (1932 . 1998) ولد بالقراة وتعلم بمعهد الحياة ، التحق بتونس 1953 ودرس في الجامع الزيتونة والخلدونية ضمن البعثة المزابية، انضم إلى اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين وأصبح عضوا في المجلس الإداري سنة 1956، ثم واصل دراسته في القاهرة تحت إشراف جبهة التحرير ، عمل كممثل للحكومة الجزائرية في المؤتمرات والمهرجانات الدولية يشارك فيها بقصائده الثورية، يعتبر شاعر الثورة الثاني بعد "مفدي زكرياء"، له عدة دواوين شعرية معظم قصائدها تتناول الثورة وأمجاد الجزائر، يعتبر من أكبر الشعراء في العالم العربي في التاريخ المعاصر، من دواوينه (أطلس المعجزات) و(من أعماق الصحراء) وغيرها . للمزيد ينظر: محمد سليمان أبو العلا: صفحات من الكفاح لمجاهدي القراة في الثورة التحريرية، جمعية التراث، ط1، الجزائر، سنة 2006، ص ص 351 . 355. وينظر كذلك: صالح خربي: المصدر السابق، ص ص 17 . 21.

"عدون"⁽¹⁾ ، وغيرهم من العظماء والعلماء لا يسع المقام لذكرهم⁽²⁾. كما أن هؤلاء التلاميذ الذين برزوا في الأمصار جعلوا كثير من العلماء يشهدون بفضل المعهد وإنجازاته العلمية خاصة في المشرق، فبلغ صيت معهد الحياة المشرق والمغرب⁽³⁾.

(1) محمد بن سعيد شرفي : (1935 .) لد بالقرارة وهو الابن الثالث لشيخ "عدون" تخرج من معهد الحياة والتحق بالقاهرة سنة 1958 ودرس هناك فرن الرسم والخط، و هو الذي خط القرآن الكريم برواية ورش ، وله عدة إبداعات كثيرة ، تحصل على عدة جوائز وطنية وعالمية ن آخرها في صائفة 2014 بتركيا ، كما عين أستاذ بالجامعة الجزائرية للخط بمدرسة الفنون الجميلة ، للمزيد ينظر: محمد صالح ناصر، ذكرياتي ومذكراتي، المصدر السابق، ص ص290 296.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المصدر السابق، ص14.

(3) صالح الخريفي: المصدر السابق، ص9

المبحث الثاني: الشيخ عدون وتأسيسه للجمعيات الثقافية التربوية.

لقد أدرك ش " عدون " منذ تأسيسه للمعهد الحياة أنه لا يستطيع أن يؤدي دور التربية وحده، فأسس مجموعة من الجمعيات تكون سنداً له وتساهم في رفع مستوى الوعي المعرفي لدى الطلبة، وتحول طاقتهم السلبية إلى حركية إيجابية ينتفع بها الطالب أولاً ومجتمعه ثانياً، وتنوعت اختصاصات واهتمامات هذه الجمعيات بين الأدب والشعر والفن والرياضة والتراث ومساعدة الآخرين، فمن خلال هذه المؤسسات الثقافية والرياضية استطاع ش " عدون " أن يحول جميع لحظات الطلبة إلى إنتاج حضاري، واستغل طاقتهم في بناء ذواتهم و مجتمعاتهم.

أولاً: جمعية الشباب (جمعية الحياة).

إن الهدف الأسمى الذي سعى من أجله ش "عدون" هو تغيير مناهج التعليم، إذ أنه قبل تأسيس معهد الحياة كانت الدروس لا تطبق، ولكن بعد تغيير المناهج أصبحت الدروس تطبق، ففكر ش "عدون" في تطوير المستوى الثقافي لدى الطلبة وذلك بتمرس الأدب والعلوم بمختلف أنواعها في أوقات الفراغ ، فأسس جمعية يجمع فيها جميع شباب المعهد وسمية بجمعية الشباب، وذلك بعد سنة واحدة من تأسيس المعهد 1926م⁽¹⁾.

(1) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص 17. ينظر: محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 119. وينظر: سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 77. وينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 539.

ويتحدث ش " عدون" عن تأسيس هذه الجمعية قائلاً: (في السنة الثانية من تأسيس المعهد أي سنة 1345 هـ/1926م، قام المراقب بتأسيس جمعية باسم: (جمعية الشباب) تكون ناديا أدبيا يتبارى فيه الطلبة في تطبيق دروسهم عمليا بالخطب والمحاضرات و المناظرات، وانتقاد الأعمال والسلوك وتبادل الآراء،..)(1).

بدأت هذه الجمعية بعشرة أعضاء، والانضمام إليها يكون سرىا للغاية وذلك خوفا من الاحتلال الفرنسي ومتابعاته، ولا ينضم العضو حتى يجتبروا حزمه وجده أثناء تواجده بالمعهد، وقد وضع قانونا سرىا يلتزم به كل عضو، ومن مظاهر سرية هذه الجمعية يقول ش "دبوز": (وكان للجمعية عهد مكتوب وضعه الشيخ بيوض يقرأ على العضو الجديد فيفهمه، فيضع يده فوق المصحف على نضد أمام الرئيس فيعاهده بقلبه ولسانه جمعيته أن يكتم أسرارها، ويخلص لها، ويكون على الصفاء والمحبة والتضحية لإخوانه ومعهدده) (2)، فعدت هذه الجمعية مخبرا سرىا يلتقي فيه الشباب ويتناقشون أوضاع البلاد والعلام الإسلامي، وكان الطلبة يكتمون أمرها وجلساتها حتى على أهلهم وأقرب الناس إليهم، خوفا من اكتشافها من طرف المستدمر(3).

ولقد خرّجت هذه الجمعية ثائرين وعظماء أمثال: ش " محمد علي دبوز" وش " ناصر بن محمد المرموري" والشاعر الثائر " صالح خرفي" والأديب الشاعر " محمد صالح ناصر" والخطاط الكبير " محمد بن سعيد(ش عدون) شريفى" وغيرهم كثير، فالهدف الأسمى لهذه الجمعية هي إعداد قادة المستقبل ومحركى

(1) سعيد بن الحاج شريفى (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 77.

(2) محمد علي دبوز: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 120.

(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 11.

البلاد من كيد الاحتلال (1).

ومن بين أبرز الشروط التي يجب أن يلتزم بها الطالب داخل الجمعية هي التكلم باللغة العربية الفصحى، ولا يجوز التحدث بدارجة مهما كان، فالمحاضرات يلقيها الطلبة ارتجالاً لمدة نصف ساعة، ثم يقيم لغة الطالب وطرحه وأفكاره (2).

ومع تطور المعهد وتوافد الطلبة زاد عدد المنخرطين، فقسمت مستويات الطلبة العديدين إلى أفواج، وكان ش "عدون" هو رئيس إدارة هذه الجمعية (3)، وكان لهذه الجمعية طاقم إداري، وكان ش "عدون" ينتخب دائماً رئيساً لها (4)، ولقد تنوعت أنشطة هذه الجمعية بين الفن والأدب ومن بين أبرز أنشطتها:

1. الإشراف على حفلات الأعراس والمناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف، وإحيائها بالمديح والأناشيد (5).

2. تنظيم مناظرات شعرية، ومنافسات أدبية في فن الخطابة (6).

3. تنظيم محاضرات علمية ومعرفية للطلبة وجميع الناس لنشر الوعي والثقافة في الأوساط الطلابية و الاجتماعية (1).

-
- (1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المصدر السابق ، ص 10.
 - (2) محمد علي دبور: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 123-125. ينظر: الحاج أيوب إبراهيم يحيى: المصدر السابق، ص 101 .
 - (3) محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ عدون معدن التجديد والتطور، مجلة الحياة، عدد 10، طبع المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2006، ص 257.
 - (4) محمد علي دبور: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق، ج3، ص 121.
 - (5) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، المصدر السابق، ص 11.
 - (6) سعيد بن الحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 77.

4. تنظيم مهرجانات وملتقيات علمية، وإحتفائية بالعلم والعلماء⁽²⁾.

5. تنظيم مسرحيات، تكون رواياتها من تأليف الطلبة وتمثلهم و إخراجهم، هدفها النصح والإرشاد وتنقيف المجتمع⁽³⁾.

ولقد تطورت هذه الجمعية وتغير اسمها من جمعية الشباب إلى جمعية الحياة سنة 1937م بعد تأسيس جمعية الحياة الخيرية⁽⁴⁾، وهي موجودة إلى اليوم، تنشط وتساهم في رفع وعي المجتمع، ويرى ش "عدون" أن هذه الجمعية كانت المحرك الرئيس للحركة العلمية والأدبية حيث يقول: (كان لهذه الجمعية أثر كبير في سير المعهد وتقدمه، بل هي الروح المسير، والدماغ المفكر، وكان لها نشاط أدبي واجتماعي في جميع المجالات)⁽⁵⁾

ثانيا: جريدة الشباب (مجلة الحياة).

من إنجازات ش "عدون" تأسيسه لجريدة الشباب وذلك توازيا مع تأسيس جمعية الشباب 1926م⁽⁶⁾، فكانت الجمعية لتدريب الألسنة والجريدة لتمارين الأفلام، وبدأت جريدة حائطية يكتب فيها طلاب

(1) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص 17.

(2) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 538.

(3) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 79.

(4) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص 18.

(5) سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 78.

(6) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 539. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 134 . 145.

المعهد (1)، وكان ش"عدون" يشرف على الافتتاحية، فبدأت أسبوعية ثم تحولت إلى شهرية ثم فصلية، ثم سنوية(2).

وقد تغير اسمها من جريدة الشباب إلى مجلة الحياة سنة 1937م، وتطورت هذه المجلة فصارت تصدر على عدة أنواع فظهرت مجلة خاصة بطلاب المعهد التي تسمت بسم (الشباب الرائد) (3)، ونوع مخصص للباحثين وهي محكمة، وتنشر كل سنة وقد بلغت العدد الثامن عشر الذي صدر صائفة 2014م⁴، وصدر العدد الأول سنة 1997م⁽⁵⁾.

ويتحدث ش"عدون" عن هذه المجلة قائلا: (كان لهذه النشريات أثر كبير في تثقيف العقول وتنمية المواهب، وحسن التعبير وترقية الأساليب، فكم من كاتب ضليع وشاعر فحل وخطيب مصقع يلهب الجماهير كانت له هذه الدوريات مراقي إلى أوج المعالي والشهرة)⁽⁶⁾.

وبفضل هذه المجلة تطور مستوى الطلبة ، ونما وعي المجتمع الجزائري، وصارت هذه المجلة فضاء يتنافس فيها الطلبة والباحثون على حد سواء، وكانت إحدى آليات التأريخ التي سجلت تاريخ المنطقة وازدهارها الثقافي، فعدت مجلة أكاديمية يتنافس الباحثون في اقتنائها وفي نشر مقالاتهم فيها.

(1) ينظر أرشيف مجلة الشباب نسخة مصورة إلكترونية ، جمعية التراث ،القرارة، الجزائر.

(2) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 79.

(3) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص 19.

(4) عمر بن حمو لقمان سلمان بوعصبانة: الافتتاحية ، مجلة الحياة، ع18، المطبعة العربية ، ط1، الجزائر، سنة 2014 ، ص ز

(5) حمو بن عمر فخار: مرجعاً بالتاريخ يعيد نفسه، مجلة الحياة، ع1، المطبعة العربية ، ط1، الجزائر، سنة 1997 ، ص 7

(6) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 80.

يعد تأسيس معهد الحياة منارة للعلم في الجنوب الجزائري، فإليه تهافت أفئدة العلم طالبة المعرفة و التفقه في الدين فقدم الطلبة من كل حدب وصوب من خارج الجزائر أذكر ليبيا و تونس وعمان وزنجبا وغيرها، ومن داخل الجزائر من قرى وادي مزاب ومدن الجزائر، فكان لزماء إيواء هؤلاء الطلبة المغتربين⁽¹⁾، ففي بداية الأمر تم إيواءهم في بيوت تبرع بها المحسنون⁽²⁾، ولكن فكر مؤسسو المعهد ش "بيوض" وش "عدون" في إيجاد مقر دائم و خاص بالطلبة الوافدين، فاهتدوا إلى فكرة إنشاء داخلية خاصة بالطلبة المغتربون⁽³⁾.

تعتبر داخلية الحياة الشق المكمل لمعهد الحياة، فكم من عالم تخرج من معهد الحياة ، وكان مقيما بداخلية الحياة ولعل أشهرهم هو ش "علي يحيى معمر" وش "محمد علي دبوز" وغيرهم كثير، فعُرفت داخلية الحياة بسم دار البعثات العلمية البيوضيّة، نسبة إلى ش "بيوض"، و تأسست سنة 1926م⁽⁴⁾.
ومن بين الأهداف التي تأسست من أجلها داخلية الحياة أذكر:

1. تربية النشء وتعليمهم ومساندة المعهد في رسالته⁽⁵⁾.
2. إيواء الطلبة الوافدين من خارج القرارة، وتوفير الجو المناسب للتعلم⁽¹⁾.

(1) مجموعة من المؤلفين: داخلية الحياة، نشر جمعية التراث وجمعية الحياة، بد ط، الجزائر ، سنة 2009، ص 3. و ينظر: مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص ، المصدر السابق، ص 15.
(2) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 82. ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 543.
(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 14.
(4) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص146.
(5) مجموعة من المؤلفين: داخلية الحياة، المرجع السابق، ص 5.

3. توفير الجو الأسري للطلبة الصغار حتى لا يحسوا بالغرابة، خاصة طلبة زنجبار وعمان وليبيا⁽²⁾.
4. عزل الطلبة عن الشارع، وتنظيم أوقات فراغهم في حفظ القرآن والتفقه في الدين، و الأنشطة الأدبية والفنية⁽³⁾.
5. ترسيخ العقيدة الإسلامية، والتمكين للمذهب الإباضي، في قلوب وعقول الطلبة، وفق رؤية علمية صحيحة⁽⁴⁾.
6. تخريج دعاة ومصلحين وعلماء ينقلون العلم والمعرفة إلى بلدانهم، وينشرون الدين الصحيح ويصلحون أحوال مجتمعاتهم⁽⁵⁾.

كانت علاقة ش"عدون" بطلبة داخلية الحياة، علاقة الأب الحنون، والأستاذ المرقي، يتابع دروسهم وأنشطتهم بشغف، ويبحث فيهم حب العلم والجد في تحصيله، ويعرضهم بحبه عن أهاليهم، فينسهم معاناة الاغتراب، حتى صار الواحد منهم يبقى في القرارة سنوات متتالية معتكفا في طلب العلم⁽⁶⁾، وأستشهد بما قاله ش"عدون" عن داخلية الحياة: (لها نظام كأرقى ما يكون نظام الداخليات معنويا وماديا، من حيث التربية الصحيحة، والعشرة الطيبة، والسلوك الحسن، والمراقبة الصارمة، ومن حيث

(1)مقابلة مع الشيخ صالح حدبون ، حول دور الشيخ عدون في تأسيس داخلية الحياة والإشراف عليها، في داخلية الحياة بالقرارة ولاية غرداية، يوم: 2014/6/23 ، من الساعة 9:00 إلى 11:00 صباحا. نسخة فيديو موجودة عندي.

(2) محمد علي دبور: نُهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص147.

(3) الحاج أيوب إبراهيم يحيى: المصدر السابق، ص 101.

(4) المصدر نفسه ، ص 95.

(5) المصدر نفسه، ص ص 94 . 95.

(6)مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 14.

المأكل والمشرب والمرقد، ولها لقاءات وجمعيات أدبية وفرق فنية، علاوة على مشاركتها في سائر مؤسسات المعهد، ولها ميدان فسيح مسوّر خارج البلدة للترفيه والنشاط الرياضي⁽¹⁾.

كانت داخلية الحياة برئاسة ش"بيوض" وش"عدون" مركزا حضاريا، اجتمعت فيه كل شروط النهضة العلمية⁽²⁾، التي أخذ بها الطلبة الوافدون، فغدوا شموسا في أوطانهم، رافعين لواء التجديد والإصلاح في مجتمعاتهم، فأعلنوا من داخلية الحياة لعصر جديد، سماته العلم أساس الرقي، والمعرفة أساس الحضارة، فرفعت الداخلية شعارا كان عهدا بينها وبين أولياء الطلبة وهو: (ابنك أمانة في أيدينا فثق بنا وتعاون معنا)⁽³⁾.

رابعا: مكتبة معهد الحياة.

من بين المؤسسات التي ساهم في تأسيسها ش"عدون" مكتبة الحياة، التي انطلقت من منزل ش"بيوض" حيث بدأت ببعض كتبه، وبعض كتب المحسنين الذين ناصروا الحركة الإصلاحية، وكتب المشايخ والعلماء التي أوقفوها عليها بعد وفاتهم، وكتب كانت تصلهم من تونس يعيئها غالبا ش"أبي اليقظان"⁽⁴⁾.

لقد اعتنى ش"عدون" بهذه المكتبة جمعا وتصنيفا للكتب كونه مديرا للمعهد الحياة، وأستشهد بقول أحد تلاميذه متأثرا بجهوده شيخه: (ومكتبة معهد الحياة تشهد على جهوده الطيبة في سبيل إثرائها

(1) سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 82.

(2) مالك بن نبي: شروط النهضة، المرجع السابق، ص 3.

(3) مجموعة من المؤلفين: داخلية الحياة، المرجع السابق، ص 21.

(4) سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 80.

ومدها بالجديد، وتحيين المعارض لجلب كنوزها وتوفيرها للطلبة والباحثين)¹، وهذه المكتبة تكمل معهد الحياة فحرص عليها أشد الحرص وذلك لحبه للكتاب، فقد عرف ش"عدون" بكثرة مطالعته حتى صارت فرضا مثل الصلاة فلا ينام إلا وقد طالع كتابا أو جزءا من كتاب⁽²⁾.

لقد تطورت هذه المكتبة حتى صارت مكتبة ضخمة جدا خاصة بعد أن أوقف كل من ش" أبو اليقظان" و الدكتور " صالح خريفي" وغيرهم مكاتبهم لصالح مكتبة الحياة، واستحدث فيها قسم خاص بالأرشفة السمعي، والسمعي البصري، وهي إلى غاية اليوم موجودة تقدم خدماتها لطلبة العلم والباحثين، و الفضل كله يعود إلى ش"بيوض" الذي أسسها برفقة ش"عدون"، وقام هذا الأخير بالاعتناء بها وتطورها⁽³⁾.

خامسا: جمعية قدماء التلاميذ.

تعد جمعية قدماء التلاميذ من أكبر الجمعيات الثقافية الإصلاحية التي عمل ش"عدون" على تأسيسها ، فبعد مرور ثلاث وعشرين سنة من تأسيس معهد الحياة، فكر ش"عدون" في جمع جميع الطلبة المتخرجين من هذا المعهد، تحت إطار واحد يساعدون ش"بيوض" وش"عدون" في مهمتهما الكبرى في إصلاح المجتمع والنهوض بالحضارة، وطرح هذه الفكرة على أعيان ومشايخ القرارة في عرس ابنه ش" بالحاج"⁽⁴⁾ في شهر ماي 1948م⁽¹⁾.

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 22.

مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، ص ص 21 . 22.

(3) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: معهد الحياة، المرجع السابق، ص ص 20 . 23.

(4) بالحاج بن سعيد شريفني: (1926 .) ولد بالقرارة وهو الابن الثاني للشيخ "عدون" وهو الابن الذكر البكر، تخرج من معهد الحياة وانتقل إلى تونس في إطار البعثة المزابية، وتخرج في تخصص شريعة الإسلامية، ثم التحق بمعهد الدراسات الإسلامية العالي في الجزائر وهو

فأرسل ش " عدون" ينادي في الأمصار يستجمع تلاميذه، فجمعهم في لقاء كبير يوم 1948/8/5م، حيث زاد عدد الحاضرين عن خمسين شخص، وألقى فيهم خطبته الشهيرة ، إذ يقول في مقدمتها: (إخواني الأعزاء، نجتمع اليوم في هذا المجلس الحافل أمام أساتذتنا لا كتلاميذ يتلقون دروس التهذيب والتثقيف، كما كنّا معه في سالف العهود، وإنما نجتمع كجنود مدربين مزودين بالقوة الكافية للنزول إلى ميادين الكفاح، أمام قائدهم الأعلى، يشرف على أعمالهم عن كثب، ويستعرض برامحهم في الكفاح وخططهم في الجهاد)⁽²⁾.

لقد أدرك ش "عدون" آليات الحضارة، والأفكار التي تبني مجتمعا متزنا، فنسج شبكة اجتماعية خيوطها الطلبة وعقودها الأستاذة ومربطها الإمام ش "بيوض"، كانت هذه الشبكة هي جمعية قدماء التلاميذ التي ستعمل على انتقاء الأفكار الحية وبثها في المجتمع، و كصمام للأمن تحميه من الأفكار القاتلة و الميتة المتبقية، فأخذ ش "عدون" بشروط النهضة العلمية، وسعى جاهدا أن يحي نموذج الرشد الذي تجسد في مجتمع عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

تابع للإدارة الفرنسية، وتم تعيينه أستاذا ثانويا في سنة 1956 وبقي 14 سنة، ثم انتقل كأستاذ جامعي، فدرس في المعهد العالي لأصول الدين ودرس 10 سنوات، ثم تقاعد أخيرا ، وهو حاليا رئيس جمعية الحياة. للمزيد ينظر: بالحاج بن سعيد شريقي، المقابلة السابقة. (1) محمد بن سليمان أبو العلا: الشيخ عدون وجمعية قدماء التلاميذ، مجلة الحياة، ع 10، طبع المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2006، ص 263. ينظر: محمد علي دبوز: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص184. (2) سعيد بن بالحاج شريقي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 84.

فهذه الجمعية إحدى الخلايا التي ستعتمد عليها الثورة التحريرية في نقل الأموال والأخبار والأسلحة بين ولايات الوطن ، فلم يكن عملها إصلاحيا علميا بحثا فحسب ، بل كانت جمعية متكاملة الوظائف تخدم المجتمع والوطن، في جميع المجالات⁽¹⁾.

وأما أهداف الجمعية فقد تمثل في خمسة محاور أساسية وهي:

1. توجيه التلاميذ المتخرجين في المدارس إلى صالح الأعمال وتحقيق غايتهم من طلب العلم.
2. إرشاد من ظهر منه انحراف عن الصراط السوي اللائق بمقام المتعلمين.
3. معاضدة المشاريع العلمية بيثّ الدعاية إليها وإعانتها بكل ممكن.
4. العمل للإصلاح العلمي والاجتماعي بكل الوسائل الممكنة على حسب الاستطاعة.
5. إعانة التلاميذ الفقراء العاجزين عن إتمام دراستهم⁽²⁾.

وتم تشكيل مجلس الإدارة وممثلين عن كل قرى وادي مزاب وبعض مدن الجزائر مثل الجزائر العاصمة و سطيف وجميع الولايات التي يتواجد فيها المزابيون خاصة الطلبة المتخرجون عن المعهد⁽³⁾، فأوكلت رئاسة الجمعية لصاحب الفكرة ش"عدون" بعدما تم انتخابه بإجماع، فسعا جاهد من خلال هذه الجمعية أن يطور مناهج التعليم، وينهض بالأمة المزابية والجزائرية.

(1) محمد بن سليمان أبو العلا: الشيخ عدون وجمعية قدماء التلاميذ، المقال السابق، ص 265. ينظر: محمد علي دبوب: نهضة الجزائر

الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص205. ينظر: إبراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 25.

(2) سعيد بن بالحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 88.

(3) محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص209.

ويتحدث ش "دبوز" عن جهود ش "عدون" في هذه الجمعية قائلا: (إن السبب الكبير لنجاح الجمعية القدامى ومؤتمرها يرجع إلى رئاستها، فلولا اتصاف رئيسها بالصفاء والإخلاص الذي لا نظير لهما في هذا الزمان، وبالدكاء والحزم والنشاط وحب العمل، ما نجحت جمعية القدامى كل ذلك النجاح...⁽¹⁾).
من ثمار الجمعية قدامى التلاميذ لمعهد الحياة أذكر ثلاث وهي أبرزها:

1. توجيه الطلبة المتخرجين من معهد الحياة على الجامعات خاصة خارج الوطن في فترة ما قبل الاستقلال، ومن بين أبرز الدول التي يقصدها طلبة الحياة تونس و مصر⁽²⁾.

2. إنشاء دار الفكر الإسلامي سنة 1963م بعد الاستقلال مباشرة ، التي أرادوا أن يجعلوا منها مركزا ثقافي في المغرب الإسلامي، وكان مقرها بالجزائر العاصمة، وانبثقت عن هذا المركز مجلة الفكر الإسلامي ، التي صدر منها عدد واحد وتوقفت للظروف⁽³⁾.

3. توحيد برامج التعليم ومناهج التربية في وادي مزاب، في لجنة واحدة يشرف عليها ش "عدون"، وتعمل هذه اللجنة على مراقبة مدارس الحرة في جميع قرى وادي مزاب والمدن الجزائرية التي يتواجد بها المزايين في الجزائر⁽⁴⁾.

(1) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص209.

(2) محمد بن سليمان أبو العلا: الشيخ عدون وجمعية قدامى التلاميذ، المقال السابق، ص 264

(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 22.

(4) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 216.

يعد ش"عدون" ظاهرة إنسانية فريدة في عصره، حيث نجده كرس حياته بكاملها لخدمة العلم ومن يطلبه، فنجده بعد تأسيس معهد الحياة أسس مجموعة من الجمعيات تكمل عمل هذا المعهد، ومن بين الجمعيات التي أسسها، جمعية الكشافة سنة 1943م¹، والتي بدأ نشاطها بصفة غير رسمية، لكن بعد تأسيس جمعية قدماء التلاميذ 1948م تم اعتمادها من طرف الاحتلال الفرنسي رفقة جمعية قدماء التلاميذ، تحت اسم (كشافة الجنوب)⁽²⁾.

ومع مطلع العقد الخامس من القرن العشرين، أصبحت تسمى كشافة الحياة، وذلك نسبة إلى معهد الحياة، وبعد الإستقلال 1962م، إستبغت باسم فوج الحياة، وقد امتد نشاط جمعية الكشافة إلى جميع قصور وادي مزاب، فتأسست في غرداية كشافة الإصلاح، وفي العطف كشافة النهضة، وفي بريان كشافة الفتح، فعم فكر ش"عدون" كل وادي مزاب، فأصبح أبو الكشافة في الجنوب الجزائري⁽³⁾.
ومن بين أبرز أنشطت الكشافة أذكر :

1. الحملات التطوعية لتنظيف وترميم المساجد و دور العشائر والمدارس والمعاهد والسدود وجميع المؤسسات العرفية وغير العرفية مثل: مؤسسات التربية الحكومية وغيرها⁽⁴⁾.

(1) ينظر في الملحق رقم 9 صورة للشيخ عدون مع أعضاء الكشافة أثناء مخيم.
(2) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 91. ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 545. ينظر: مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص -، المصدر السابق، ص 18.
(3) محمد علي دبو: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 220.
(4) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 93.92.

2. تدريب الشباب والأطفال خاصة على تسلق النخيل وحفر الآبار و النزول فيها، وجميع الحرف التقليدية الخاصة بمنطقة الجنوب الجزائري ووادي مزاب خاصة⁽¹⁾.

3. تنظيم رحلات إلى الصحراء، وإقامة مخيمات فيها وذلك لزرع صفت الصحراء في نفوس الأطفال، وإعدادهم للمستقبل كرجال يعتمد عليهم المجتمع في قيادته⁽²⁾.

4. تنظيم مخيمات صيفية نحو الشمال، وتعريف سكان الشمال بتراث الحضاري الذي يمتلكه سكان الجنوب خاصة المزابيون، من خلال إقامة مهرجانات فنية من بينها مهرجانات الإصلاح تعرض فيها مسرحيات⁽³⁾، وتقام فيها حفلات إنشادية وغيرها من الأنشطة الثقافية الهادفة⁽⁴⁾.

لقد تعددت أنشطة الكشافة ، ولا يسع المقام لذكرها، وهي تتطور بتطور الأجيال، والمسيرة التي خطها ش"عدون" هي متواصلة إلى اليوم، فقد أسس لبنيان عماده شباب أدركوا قيمة الحياة واكتشفوا ذواتهم وأحسنوا اختيار المسار، فأخذوا المسؤولية التي سخرها لها، وعملوا من أجل مرضاة الله، فحق فيهم قوله تعالى: (... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى)⁽⁵⁾.

وأما الأهداف التي رسمها ش"عدون" من وراء تأسيسه لجمعية الكشافة فهي كثيرة، ولكني سأورد أبرزها:

(1) محمد علي دبو: نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص220. ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص545.

(2) سعيد بن بالحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 93. ينظر: محمد علي دبو: نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 220.

(3) مقابلة مع الأستاذ حمو بن سليمان بوسعدة حول موضوع أنشطة الحركة الإصلاحية في غرداية ، بمنزله بغرداية الجزائر، يوم 2015/04/19م، من الساعة 20:00 إلى غاية 22:00

(4) الكشافة الإسلامية الجزائرية: دليل الحياة الكشفية ، مطبعة النخلة، بد ط، الجزائر، سنة 1994، ص ص 13 . 17.

(5) سورة الكهف الآية:13

1. التربية الخلقية: تعد الكشافة مدرسة الحياة، أين يتعلم فيها الطفل والشباب، جميع الفضائل التي ورثناها عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

2. التربية الاجتماعية: يتعلم الكشاف كيف يكون فردا صالحا في المجتمع، وكيف يكون محور التفاعل الاجتماعي أو قائد في المجتمع، وذلك ضمن مجتمع مصغر هو الكشافة، فالكشافة حقل تمرس وكسب خبرة⁽²⁾.

3. التربية العقلية: تعمل الكشافة على تنمية القدرات العقلية من خلال مهارات يتقدم بها أخصائيوهم أثناء مرافقتهم للمخيمات الكشفية⁽³⁾.

4. التربية الجسمية: إن من أبرز الأهداف التي تأسست من أجلها الكشافة الرياضة، ولعل جمعية الكشافة كانت نواتها الأولى جمعية رياضية تأسست سنة 1936م، والحكمة تقول (الجسم السليم في العقل السليم) فالرياضة مجال يفرغ فيها الشباب الشحنات السلبية التي تحتوها أجسامهم، كما أنها تحميهم الأمراض والآفات الاجتماعية⁽⁴⁾.

سابعا: تأسيس جمعية حفظ التراث.

لقد ساهم ش"عدون" في تأسيس جمعية تعمل على الحفاظ على التراث الحضاري الذي خلفه المزابون

الإباضيون سنة 1989م ، والعمل على إحيائه وتحويله إلى قيم فكرية يبني به الحاضر والمستقبل، وقد

(1) الكشافة الإسلامية الجزائرية: المصدر السابق، ص 25. ينظر: محمد علي دبور: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق، ج3، ص 219.

(2) الكشافة الإسلامية الجزائرية: المصدر السابق، ص 24.

(3) المصدر نفسه، ص 23 . 24.

(4) المصدر نفسه، ص 23.

برزت هذه الجمعية في مجال المخطوطات خاصة⁽¹⁾.

وفي الأخير أقول بأن ش"عدون" يقدر اللحظة التي يمر بها ويقدر المسؤولية التي يباشرها ، ويقدر الأمل الذي يريده وهو بناء مجتمع مؤسساتي جوهره العلم ، فقد وعي التاريخ ووعي سننه وقوانينه ونواميسه، فهو يدرك ماذا يجب للانتصار. فغدا رمزا للشباب والتجديد في المجتمع المزابي، ومفخرة الجزائريين جميعا، والنموذج الحي عبر التاريخ، لرفض الاستعمار من كل أنواعه، واسترجاع السيادة الوطنية⁽²⁾.

فلم يدخر أي جهد في الإصلاح الاجتماعي وتربية النشء على حب الوطن والدود عنه بالغالي والنفيس ، فكان منهج حركته المباركة واضحا شعاره حب الله وتقديس الإسلام وإحياء اللغة العربية والتضحية في سبيل الوطن ، وأن الاحتلال الفرنسي لا يمكن طرده إن لم نتخلص من أفكاره من عقولنا وثقافته من مجتمعاتنا ومن لغته في تعاملنا ، فقد فقه ش"عدون" كل هذا وأدرك نفسه ولحظته التي يعيشها فعمل على تطهيرها ، لذلك صار رمزا للإصلاح والنهضة العلمية في الجزائر . وقد قطف ثمار جهده قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، و أبرز هذه الثمار هي مشاركة تلاميذه في الثورة التحريرية التي توجت باستقلال الجزائر⁽³⁾.

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد و الإخلاص - ، المصدر السابق، ص 6.

(2) مقابلة مع الدكتور طاهر بن علي، حول آليات دراسة شخصية ما تاريخيا، في منزله بغرداية ولاية غرداية، يوم: 2013/3/23 ، من الساعة 9:00 إلى 12:00 صباحا.

(3) إبراهيم بن عمر بيوض ، المصدر السابق، ص 23.

المبحث الثالث: الشيخ عدون ودعوته لتعليم المرأة.

أولاً : واقع تعليم المرأة في الجزائر

إن المرأة في المجتمع الجزائري لم تكن تنال من العلم حظ الرجل، وذلك منذ الفترة الحديثة، وسبب ذلك انتشار بعض المعتقدات الفاسدة والأفكار المميّنة حول تعليم المرأة وأن تعليمها فساد للمجتمع، فكانت هذه الأفكار تسود العالم الإسلامي بكامله ليست الجزائر وحدها ، وأستشهد بقول ش " البشير الإبراهيمي": (كانت المرأة المسلمة في الجزائر إلى عهد قريب ...، محرومة من كل ما يسمى تعليماً إلا شيئاً من القرآن يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة البسيطة ...، هذه هي الحالة السائدة في الجزائر منذ قرون وتشاركها فيها جميع الأقطار الإسلامية ...)⁽¹⁾.

ومن بين الفئات الجزائرية المجتمع المزابي الإباضي، الذي هو الآخر لم يسلم من هذه الأفكار المميّنة رغم المكانة التي خصها للمرأة، والمستوى التعليمي الذي بغلته حيث كانت أحسن حالاً مقارنة بالمجتمعات الأخرى، إلا أنه لم يكن التعليم متاح لجميع النسوة في المجتمع ولم تكن هناك مدارس نظامية ومناهج علمية تسهر على تعليم المرأة ورفع مستواها المعرفي²، وفي دراسة هذه سآبين مكانة المرأة في المجتمع المزابي، وما هي مستويات التعليم التي يمكن أن تبلغها المرأة في نهاية الفترة الحديثة وبدايات الفترة

(1) أحمد طلب الإبراهيمي: المصدر السابق، ج 4، ص ص 263 . 264.

(2) بكير بن سعيد أوعوش أحمد بن حمو كروم: مسلمات صالحات في روضة الإيمان، المطبعة العربية، بد ط، الجزائر، بد سنة، ص76.

المعاصرة؟، وفيما تمثل الجهود الإصلاحية للشيخ "عدون" التي باشرها من أجل رفع مستوى التعليم لدى المرأة؟.

ثانيا : مكانة المرأة في المجتمع المزابي الإباضي

تعتمد الحضارة المزابية في نشأتها على المرأة ومدى صلاحها، فهي جوهر التفاعل الاجتماعي، ويستقيم المجتمع باستقامتها، لذلك نجد أن المنظومة المزابية الإباضية وضعت مجموعة من الأعراف استقتها من الإسلام والتقاليد الموروثة عن الأجداد الامازيغ⁽¹⁾ عملت على حماية المرأة و الحفاظ على عفتها وشرفها، فالمجتمع المزابي وضع مجالا بين الحياة الذكورية والأنثوية، ولا يمكن أن تلتقي المرأة بالرجل في أي محفل من المحافل الاجتماعية، كما تمنع تعاليم هذا المجتمع أي اتصال خارج الأطر الدينية والعرفية التي شرعها الله⁽²⁾.

فحياة المرأة لا تتعدى بيت أهلها قبل الزواج ولا تتعدى بيت زوجها بعد الزواج، فلا يحق لها أن تلتقي بالرجال سوى محارمها وذلك في منزلها وليس في مكان آخر، فخروج المرأة إلى الشارع في هذا المجتمع من المنكرات والمعاصي لذلك شدد على هذه النقطة حتى لا تلتقي بالرجل في الشارع فتقع الفتنة. ونتيجة لهذه التعاليم لم يتح للمرأة أن تتعلم⁽³⁾.

(1) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ص 228.

(2) علي يحيى معمر : الإباضية في موكب التاريخ - الإباضية في الجزائر- ، مطبعة الدوة الإسلامية، حل 4، ط1، مصر، سنة 1979، ص ص 541 . 542.

(3) Aicha daddi addoun: Sociologue et histoire des algériens ibadites, Imprimerie el ARABIA , Algérie, 1977, pp 35 – 36.

فلسفة المجتمع المزاي تعتمد على أن المرأة كزوجة وكأم هي التي تقوم بالحفاظ على خصوصيات المجتمع وهي التي تلد وتربي الأجيال وترعى في كنفها، فإن استقامت، استقامت الأجيال ويقول في هذا الصدد ش " عبد الرحمان بكلي": (و الأم معمل إلهي لإنتاج الجنس البشري والمحافظة على نوعه، وفي أحضانها ينشأ الجيل، فوظيفتها أخطر وأغنى إنتاجا يقوم به مخلوق في الأمة ...، فإذا لم نخطها بسياج من الحصانة وقداسة، وشوشنا عليها مجرى حياتها كانت خسارة الأجيال وتشويه وجه المستقبل)⁽¹⁾.

فالمرأة هي النواة الأولى التي تشكل الأسرة، لذلك أولى المجتمع المزاي أهمية للمرأة ، وأستشهد بما قاله ش "بيوض"⁽²⁾ ملخصا معالم الفلسفة المزايية تجاه المرأة: (فالمرأة المؤمنة عندنا ما تزال هي الركيزة الأولى في البناء العائلي لا تتصرف في مسؤوليتها الفطرية بنتا أو زوجة أو أما إلا وفق ما يمليه عليها ضميرها الديني ووعيتها الاجتماعي ... إيماننا منها بأنها حاضنة الأجيال، ووعاء للطهر والفضيلة، وحارسة للعرض والشرف، فهي المنبت الطيب للعقب والذرية، لا تشوبها لوثة العار بحرا حصانا، ولا تدنسها دنيئة الخيانة زوجا مصانا... معتمدة على نفسها في تدبير شؤون بيتها وتربية أطفالها، حافظة غيب زوجها ما بقي يضرب في أرض الله طالبا الرزق)⁽³⁾.

فالمرأة في المجتمع المزاي هي مؤسسة قائمة بذاتها، تربي الأجيال، وتحافظ على تقاليد المجتمع ودينه، وتؤمن جزا من قوته، وذلك من خلال ما تنتجه من خلال الحرف يدوية، ويقول في هذا الصدد ش

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المطبعة العربية، ج1، بد ط، الجزائر، سنة 1982، ص 260.
(2) ويقول في هذا الصدد ش "بيوض" (لسنا محتاجين إلى نساء يكن أسودا، بقدر ما نحن محتجون إلى نساء يلدن لنا الأسود ويرعينها) حمو بن سليمان بوسعدة: المقابلة السابقة.
(3) محمد إبراهيم سعيد كعباش: حديث الشيخ الإمام ، نشر جمعية النهضة، حل1، بد ط، الجزائر، سنة 1992، ص 72.

"بيوض" : (إن بيوتنا لا تكاد تخلو من المناسج وآلات الطرز والخياطة، لتشغيل النساء اللاتي اكتسبن المهارة وتكوين البنات المتمرنات على مستوى كل أسرة، لأنه من أوكذ الواجبات عندنا أن يتولين بأنفسهن إنتاج ما تحتاجه الأسرة من أنواع الزرابي والطنافس والسجاجيد والأكسية... ولكم أن تقدرؤا ما توفره المرأة في الجانب الاقتصادي من حياة الأسرة...) (1).

وخلاصة القول أن المرأة المزايية تعيش وفق المنظومة الربانية التي شرعها الله، وتكون أما وزوجا صالحا وتتلقي ثقافتها داخل أسرتها، ولا يستقيم المجتمع باعوجاجها، ولا ييني حضارته بفقدان شخصيتها(2).

ثالثا: واقع التعليم لدى المرأة المزايية

تعد الكتابات التي تناولت واقع التعليم لدى المرأة المزايية قليلة، خاصة في الفترة الحديثة وبديات الفترة المعاصرة، أي ما بين القرن 16م والقرن 19م(3)، وذلك لكون المجتمع المزايي لم يعطي أهمية لتعليم المرأة إلا فيما يتعلق بأمر دينها، فنجد التعليم يقتصر على تعليم البنت القرآن الكريم وأحكام الصلاة و ما يتعلق بطهارتها من حيض ونفاس، ويكون على يد أحد المعلمات التي تنتمي إلى هيئة "تمسردين"(4)،

(1) محمد إبراهيم سعيد كعباش: المصدر السابق، ص 78.

(2) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المصدر السابق، ص ص 258 . 260.

(3) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 549.

(4) هيئة تمسردين: نظام حضاري أنتجه إباضية الجزائر، وهي هيئة العزابات تختص بنساء ، ومصطلح تمسردين مصطلح أمازيغي مفرد تمسيرت ، وتتكون هذه الهيئة من اثني عشر امرأة عاملة وفقية، يقمن بغسل الموتى من النساء والأطفال، كما يشرفن على تعليم المرأة أمور دينها ويعملن على الإصلاح الاجتماعي والأمر بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذه الهيئة تابعة إلى حلقة العزابة بالمسجد، وهي توازي حلقة العزابة لدى الرجال في مهامهم لكن في الأمور المتعلقة بنسوة، ويكون مقرها خلف المسجد. للمزيد ينظر: محمد باباعمي وآخرون: معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، ص ص 156 . 157. ينظر: صالح بن عمر سماوي: المرجع السابق، ص ص 483 . 499.

وتكون هذه المعلمة قد تعلمت على يد أحد محارمها، وهي تتميز عن النساء الأخريات لتوفر عالم في محيطها الأسري تأخذ منه العلم⁽¹⁾، كما أن هؤلاء العالمات ساهمن في إنشاء مدارس خاصة بهن يعلمن فيها البنات أمور دينهن، وكانت هذه المدارس عبارة عن بيوتهن، أو يتقدم أحد المحسنين بشراء بيت وتوقفه لتعليم البنات، ومن بين هؤلاء العالمات، أذكر: "حاجة بنت ش الثميني"⁽²⁾ و "مامة بنت سليمان باباز"⁽³⁾ و "نوح عائشة بن عمر"⁽⁴⁾ وغيرهن كثير.

وقد قسم تعليم المرأة إلى مرحلتين، مرحلة قبل بلوغ سن التكليف ويعلم فيها البنات السور القرآنية الصغيرة وبعض الأدعية، ومرحلة البلوغ وهي المرحلة التي تكون فيها البنت قريبة من البلوغ أو قد بلغة

-
- (1) بكير بن سعيد أوعوشة أحمد بن حمو كروم: المرجع السابق، ص 76.
- (2) حاجة بنت الشيخ عبد العزيز الثميني: (حية في 1808م) ولدت ببني يسجن، أخذت العلم عن ولدها، اعتكفت على تعليم البنات وتدريسهن وتلقنهن أمور دينهن، واشتهرت بدروسها وإرشاداتها في التجمعات النسوية في هيئة تمسدين، و برزت كمصلحة اجتماعية ووقفت في وجه الفساد، وحارت الجهل والبدع بين النساء. للمزيد ينظر: بكير بن سعيد أوعوشة أحمد بن حمو كروم: المرجع السابق: ص ص 76. 78. ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 239.
- (3) مامة بنت سليمان بن إبراهيم باباز: (1863 . 1931م) ولدت بقصر غرداية وتعلمت على يد كثير من المشايخ أمثال ش" بابكر بن مسعود القاضي" وش" بهون بن موسى" وش" أحمد داوي وعمر، و زوجها ش" يعقوب الغرناوت" وغيرهم، فتحت منزلها لتعليم البنات أمور دينهن وعقيدة مذهبهن وتاريخ أجدادهن، انضمت إلى حلقت تمسريدن وصارت رئيسة للحلقة، عرفت بانضباطها وصرامتها، وكان النساء يخفنها في المجتمع وحتى الرجال، لعلمها وورعها، قاومت الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأه أقدامه غرداية سنة 1882 وعرفت بسياسة مقاطعتها الاحتلال خاصة المقاطعة الاقتصادية، وكل من تعامل مع فرنسا أعلنت عليه البراءة، للمزيد ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 4، ص ص 742 . 743. ينظر: بكير بن سعيد أوعوشة أحمد بن حمو كروم: المرجع السابق: ص ص 92 . 100. ينظر: صالح بن عمر سماوي: المرجع السابق، ص ص 488 . 489.
- (4) عائشة بنت عمر بن سليمان نوح: (1855 . 1938) ولدت بقصر مليكة، أخذت العلم عن والدها ش" عمر بن سليمان نوح" وعن زوجها ش" محمد أطفيش" قطب الأئمة، قال عنها ش" أبو اليطان": (قمر منير سطع نوره من أقطاب زمانها ...)، سخرت منزلها لتعليم البنات وتحفيظهن القرآن الكريم وأمور دينهن، وبرزت كمرشدة وواعظة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، عرفت بغزارة علمها وتفقهها في الدين، اعتكفت على التعليم والنصح وتوجه المرأة المزاوية أحسن توجه. للمزيد ينظر: بكير بن سعيد أوعوشة أحمد بن حمو كروم: المرجع السابق: ص ص 101 . 105. ينظر: إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 4، ص ص 497 . 498.

فتعلم أمور دينها من أحكام الصلاة والطهارة، و تقدم لهن دروس في الحياة الزوجية، وكل هذا التعليم يتم عن طريق التلقين، فلا تعلم المرأة القراءة والكتابة⁽¹⁾.

لقد اقتصر التعليم وفق فلسفة المجتمع المزاي للمرأة في النقاط التالية:

1. تتعلم المرأة كل ما يتعلق بأمور دينها من صلاة وطهر ومعاملات⁽²⁾.
2. تتعلم كل ما يتعلق بحياتها الزوجية ، من أمومة ورعاية الزوج⁽³⁾.
3. تتعلم شؤون وفتيات إدارة المنزل من الحرف اليدوية والطبخ ، وتسير المنزل والإشراف عليه اقتصاديا واجتماعيا ودينيا، فهي المسئولة الأولى داخل المنزل⁽⁴⁾.

ويتم الإشراف على تعليم المرأة في جمع المستويات، هيئة تمسرين تحت إشراف العزابة، وحتى الفتوى في حالة ما سألت المرأة عن أمر دينها تتوجه إلى هيئة تمسرين التي تتكفل بأمر⁽⁵⁾.

ومن بين أبرز الأسباب التي حالت دون تعليم المرأة المجتمع المزاي:

1. خوف المجتمع من تعلم المرأة القراءة والكتابة فتتطلع للمجتمعات الأخرى فتستورد أفكارا جديدة فتغرسها في هذا المجتمع كونها مربية الأجيال، وصمام الأمان⁽⁶⁾.

(1) مريم سيوسيو: الأهداف التربوية من تعليم البنت المزايية في المدرسة الحرة، مذكرة تخرج ، قسم التربية والعلوم الإسلامية، معهد الإصلاح للبنات، غرداية، الجزائر ، 1427 هـ / 2006 م ، ص 4.

(2) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المصدر السابق، ص 258 .

(3) المصدر نفسه، ص 260.

(4) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ص 229.

(5) صالح بن عمر سماوي: المرجع السابق، ص 491 . 494.

(6) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المصدر السابق، ص 261.

2. إن تعليم المرأة وتخصيص مدارس خاصة بها يجعلها تخرج من حين إلى آخر فتختلط برجل في الشوارع وهذا منكر، فوجب أن تقرر في منزلها ولا تختلط برجال وإلا وقعت فتنة⁽¹⁾.
3. خوف المجتمع من تدرج المرأة في التعليم فتفكر في الخروج عن المجتمع في رحلات بحث، أو تفكر في مناصب عليا، من إدارة ووظيفة⁽²⁾.
4. منع أي اتصال قد يحدث بين المرأة والعالم الخارجي، فيكون هذا الاتصال سببا في خروج المرأة إلى العمل واختلاطها برجل وتصبح تقوم ما يقوم به الرجل⁽³⁾، وهذا ما نهى عنه الله عز وجل.

رابعا: دعوة ش "عدون" لإقامة مدارس نظامية لتعليم البنات

لم يستطع أي شيخ من شيوخ الحركة الإصلاحية أن يفتح موضوع تعليم البنات ويناقشه في الأوساط الاجتماعية منذ عهد ش "الأفضلي" وش "الثميني" وش "محمد أطفيش" وحتى تلاميذه، فلم يرد أي موقف لهؤلاء المشايخ حول تعليم المرأة، وذلك علما منهم من معارضة الأوساط الاجتماعية لهم، ومن جهة أخرى خوفهم على المجتمع من ولوج أفكار قاتلة من العالم الخارجي تقود إلى تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المصدر السابق، ص ص 262 263.

(2) المصدر نفسه، ص ص 259 260.

(3) زهراء أحمد حفار: خروج الفتاة المزابية للعمل . دوافعه وآثاره . دراسة ميدانية ، مطبعة الآفاق، بدط، الجزائر، سنة 2011، ص ص 75 . 111. ينظر: يوسف بن الحاج يحيى الواهج: المرأة في المجتمع الميزابي، المطبوعات الجميلة، بدط، الجزائر، سنة 1982، ص 81.

(4) مالك بن نبي : ميلاد المجتمع، المرجع السابق، ص 88.

وحتى الحركة الإصلاحية بقيادة ش "بيوض" تحفظت على هذا الموضوع بل أبدى ش "بيوض" معارضة واضحة لتعليم المرأة وإنشاء مدارس نظامية خاصة بها، وذلك خوفاً منه على المرأة المزابية وضياع شخصيتها⁽¹⁾.

ومن بين العوامل التي جعلت إنشاء المدارس لتعليم المرأة واقع مفروضاً أذكر أبرزها:

1. إنشاء الاحتلال الفرنسي مدارس لتعليم البنات تحت إشراف الأخوات والآباء البيض، مما أدى ببعض العائلات المزابية التقدمية بتسجيل بناتهم فيها وذلك بعد يأسهم من وجود مدارس نظامية لتعليم البنات، ولم يخشوا نقيمت المجتمع عليهم، فعملوا على إخراج بناتهم من دائرة الجهل بتدريسهم في المدارس الفرنسية⁽²⁾.

2. فرض الاحتلال الفرنسي التعليم على الأطفال الصغار ذكورا وإناثا، وأمام هذا الوضع، فكر المجتمع المزابي في حل ينقذ أولادهم من الغزو الفكري، خاصة المرأة وهي المعمل اللاهي لإنتاج الأجيال⁽³⁾.

3. انتشار بعض الآفات الاجتماعية في المجتمع النسوي، كإيمان بعضهم بالخرافات التي انتشرت في القرن 18م و19م من بينها التبرك بأولياء وزيارة المقابر وما إلا ذلك، وانتشار الغيبة والنميمة بين مجالسهن، وذلك كله لانعدام العلم و تدني المستوى الثقافي لدى المرأة المزابية في ذلك العهد⁽¹⁾.

(5) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . المصدر السابق، ص23. ينظر: قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص562.

(2) يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب . دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية . المطبعة العربية، ط2، الجزائر، سنة 2006 ، ص ص 164. 165. ينظر: سمية فخار: دراسة الفتاة الميزابية بين التعليم الحر والرسمي، مذكرة تخرج، قسم التربية والعلوم الإسلامية، معهد الإصلاح للبنات، غرداية، الجزائر، 1427 هـ / 2006م ، ص ص 8. 9.

(3) بشير بن عمر مرموري: الفتاة في ميزاب . نشأتها وتعليمها بين الثابت والمتغير، جمعية التراث، ط1، الجزائر، سنة 2005، ص183.

4. تنامي الوعي في الأوساط الاجتماعية وذلك نتيجة ارتفاع المستوى الثقافي لدى فئة الذكور ، وبروز طبقة مثقفة تخرجت من معهد الحياة والجامعات ، وتأثر المجتمع بالأفكار الخارجية التي استقدمتها البعثات العلمية من تونس ومصر⁽²⁾.

5. اتساع الفارق بين الرجل والمرأة في المستوى العلمي والثقافي فاستحال التواصل داخل المحيط

الأسري، فأصبح تعلم المرأة حتمية وضرورة فرضتها الإحداثيات الجديدة على المجتمع المزايي⁽³⁾.

كل هذه العوامل وغيرها كانت وراء دفع زعماء الحركة الإصلاحية، لانتخاذ موقف لتدارك المجتمع قبل تفككه وضياع شخصيته وحضارته، فالشيخ "عدون" أول من تجرأ ودعا إلى تعليم المرأة وإنشاء مدارس نظامية تتعلم فيها، وأول خطوة قام بها هو إلحاق بنته الصغيرة بمدرسة الأطفال وهي دون سن البلوغ⁽⁴⁾.

ولكن لسوء حظ ش "عدون" أن رفيقه في الدرب والإصلاحي وزعيم الحركة ش "بيوض" عارض مشروع ش "عدون" والمتمثل في إنشاء مدارس لتعليم البنات، فانتقل مشروعه من بلدة القرارة إلى غرداية وتبناه تلاميذه الذين تخرجوا من معهد الحياة فتم إنشاء أول مدرسة للبنات في وادي مزاب سنة 1950م⁽⁵⁾ بغرداية⁽⁶⁾، وسرعان ما انتقلت الفكرة إلى العطف وتم إنشاء مدرسه، ولقد تبنى ش "عبد الرحمان بكلي" الفكرة حيث قال مقيما هذه الفكرة: (نحن لا نعاكس تعليم البنت ما دام في حدود

(1) مريم سيوسيو: المرجع السابق، ص 6. ينظر: بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص 184.

(2) سمية فخار: المرجع السابق، ص 9. 10. ينظر: بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص 185.

(3) بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص 184.

(4) بالحاج بن سعيد شريفني : المقابلة السابقة.

(5) عمر بن إبراهيم رأسنعام: نشأة التعليم مدرسة الإصلاح غرداية، نسخة مرقونة متوفرة بمكتبة الإصلاح بغرداية، ص 5.

(6) من بين الأساتذة الأوائل أذكر: ش "عمر بن إبراهيم رأسنعام" ، وش "الحاج لخضر قارة" وش الحاج سعيد كربوش

الدين، وما دامت في حصانة مما يفسد عقيدتها وأخلاقها وسلوكها، وما دام ذلك لا يصددها عن قيام بوظائفها الإنسانية الكبرى التي هيأها الله لها، وظيفة الأمومة⁽¹⁾.

ورغم عدم تهيئ الظروف في القرارة معقل الحركة الإصلاحية، استطاع ش "عدون" إنشاء مدارس للبنات للمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وذلك بتدرج، فلم يستجيب لمعارضة ش "بيوض"، كما أن ش "بيوض" لم يعارضه حيث كان يقول: (لم أمر بها ولم تسؤني)⁽²⁾، وهي عبارة عن مدارس حرة تدرس فيها البنات العلوم الشرعية الدينية و العصرية مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية واللغة الفرنسية ، وتدرس كذلك الحرف اليدوية مثل الطرز، وخياطة الملابس وغيرها⁽³⁾.

خامسا: الأهداف التي أسس من أجلها المدارس الحرة.

إن الأبعاد التي قادت ش "عدون" ومن رافقه في المشوار إلى تأسيس مدارس حرة خاصة بالبنات، وإنقاذها من المدارس الرسمية سواء في عهد الاحتلال أو في عهد الاستقلال هي :

1. البعد الديني: إن أكبر هدف من إنشاء المدارس الحرة الخاصة بالبنات هو ترسيخ العقيدة

الإسلامية، وتحفيظ القرآن، لذلك كان يطلق على هذه المدارس (المدارس القرآنية) ، كما

كانت هذه المدارس الحاجز المنيع الذي يمنع البنات من الاختلاط مع البنين⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي، فتاوى البكري، المصدر السابق، ص 258.

(2) قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 564 .

(3) بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص ص 212 . 232.

(4) بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص 114.

1. البعد المذهبي: لقد أدرك ش "عدون" أن المجتمع المزابي الذي يختلف عن المجتمع الجزائري مذهباً، وأحسن وسيلة للحفاظ على المذهب الإباضي ، إنشاء مدارس حرة خاصة بالمزابين يدرس فيها عقيدتهم وفكر المذهب وحتى لا تندثر معالمه بسبب التيارات الفكرية المعاصرة ، كما أن تعليم البنات مذهبها سيقودها إلى نقلها إلى أسرتها وتلقينها لأبنائها⁽¹⁾.

2. البعد المعرفي: لقد عمد ش "عدون" من خلال هذه المدرسة إلى رفع المستوى العلمي لدى المرأة المزابية، وذلك من خلال تعليمها آليات البحث عن المعرفة عبر تعليمها القراءة والكتابة، وإرشادها إلى مصادر الكتب، و تعلمها العلوم العصرية، مما يجعلها تواكب العصر في تطوره في جميع مناحي الحياة⁽²⁾.

وانطلاقاً من هذا المشروع الذي أراد ش "عدون" أن يصل إلى نموذج الرشد⁽³⁾ في محاولة منه لتأسيس مجتمع متكامل، استطاع أن يجد حلاً للمشكلة تعليم البنات في تلك الفترة، وإثر ذلك أطلق مقولته المشهورة : (إننا أوجدنا حلاً لعصرنا، فعليكم أنتم أن توجدوا حلاً لعصركم)⁽⁴⁾، والتي كان يقصد بها على الأجيال أن تعمل على إيجاد حلول لمشكلاتهم حسب ظروف عصرهم، فكما عمل على

(1) المرجع نفسه، ص 114.

(2) بشير بن عمر مرموري: المرجع السابق، ص 114.

(3) محمد باباعمي: البراديم كولن . فتح الله كولن ومشروع الخدمة على نموذج الرشد .، دار النيل لطباعة والنشر، ط 1 ، مصر، سنة 2011 ، ص ص 11 . 20.

(4) المصدر نفسه، ص 105.

تأسيس مدارس لتعليم البنات للمستويات الثلاث (ابتدائي، متوسط، ثانوي)⁽¹⁾، حتى لا تختلط بالذكور، على الأجيال التي من بعده أن تفكر في إنشاء جامعات تخص البنات.

إن ش "عدون" يتمتع برؤية إستشرافية للمستقبل واستطاع أن يبني مجتمعا مثقفا متكاملا الجوانب، ويحارب الجهل و الظلام والفساد بكل أنواعه ، فأسس مدارس عمادها الأول تقوى الله ، فحارب الاختلاط بين الرجل والمرأة بكل أنواعه، انطلاقا من المدارس، ودعا إلا إنشاء جامعات خاصة بالبنات ، وقد تحقق ذلك بفضل الله فتم إنشاء جامعات ، ومن بنها كلية المنار للبنات ، وتوصل إلى المعادة الصحيحة والمتمثل في أن نجاح أي مجتمع يكمن وراء نجاح المرأة⁽²⁾

أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا الفصل هي :

❖ يعتبر التعليم المسجدي والمشيخي القاعدة التي انطلقت منه الحركة الإصلاحية في وادي مزاب، رغم ما عرف عنه من نقائص.

❖ لقد كان للمشرق العربي تونس ومصر، دورا كبيرا في النهضة العلمية التي عرفت الجزائر ووادي مزاب خاصة، وذلك من خلال الأفكار الإصلاحية والتجديدية في مجال التربية والتعليم، التي استوحاها زعماء الحركة الإصلاحية.

❖ لقد كان معهد الحياة ثمرة جهود ش"عدون" ومن معه من رواد الحركة الإصلاحية، والذي سهر على تطوير مناهجه وبرامجه، حتى بلغ صوته القاهرة ودمشق .

(1)حمو بن عمر فخار: وقفات ومواقف ، جمعية التراث، بد ط، الجزائر، سنة 2002، ص ص 89 . 91.

(2)زينب بنت مسعود حواش: الطريق إلى النجاح، بد دار نشر، بدط، الجزائر، سنة 2004، ص 50.

- ❖ لقد كان ش "عدون" محور التفاعل الاجتماعي والعلمي داخل معهد الحياة، من خلال تواصله الفعال مع أساتذة وتلاميذ المعهد.
- ❖ إن إدراك ش "عدون" لقيمة الزمن، جعلته يعمل على تحويل أوقات الفراغ لدى طلبة معهد الحياة إلى إنتاج حضاري، عبر الجمعيات الثقافية التي أسسها .
- ❖ تعتبر الجمعيات الثقافية التي عمد ش "عدون" إلى تأسيسها، حقل يتمرس فيه الطلبة ما يتعلمونه في معهد الحياة، وهي مدرسة خرجت كبار الشعراء والأدباء في العالم العربي.
- ❖ تعتبر مجلة الحياة العلمية، إحدى المعالم الحضارية التي خلفها ش "عدون"، وهي وثيقة تاريخية توثق للإنجازات ش "عدون" عدون ووادي مزاب عبر التاريخ.
- ❖ يعد ش "عدون" أول من فكر في إنشاء جمعية لتراث، تجمع الأرشيف والتاريخ المزابي، وتعمل على تصنيفه وفهرسته وحمايته وتقديمه للباحثين، وتجسد ذلك من خلال جمعية التراث التي أسسها رفقة تلاميذه سنة 1989م.
- ❖ تمثل المرأة في المجتمع المزابي شخصيته الحقيقية، لأن أي تغير في ملامحها ، تتغير شخصية المجتمع تبعاً، وهو السبب الحقيقي، وراء رفض المجتمع لتعليم المرأة، خوفاً من الأفكار الوافدة.
- ❖ يتبر ش "عدون" أول عالم في وادي مزاب، نادى بإنشاء مدارس نظامية لتعليم البنات ، وفق برامج ومناهج علمية متطورة، والتي أشرف عليها بنفسه.
- ❖ إن الرؤية الاستشرافية التي يتمتع بها ش "عدون"، جعلته يفكر في إنشاء جامعات للبنات خاصة بها، وقد تحقق ذلك عبر تلاميذه .

الفصل الثالث: الشيخ عدون أدواره وإنتاجه الفكري.

المبحث الأول: الشيخ عدون أدواره القيادية.

المبحث الثاني: الكتابات الصحفية للشيخ عدون.

المبحث الثالث: الشيخ عدون مراسلاته واهتماماته باللغة.

الفصل الثالث : الشيخ عدون أدواره وإنتاجه الفكري.

وأما الفصل الثالث سأعمل على إبراز شخصية ش"عدون" القيادية والعلمية، إذن فما هي أبرز المؤسسات والجمعيات التي ترأسها؟، وهل استطاع أن يغير من خلالها واقع مجتمعه؟، وما مدى جسامته هذه المسؤوليات؟، وهل تحملها في آن واحد أم باشر كل مسؤولية في إطار زمني معين؟ .

فالشيخ "عدون" لم يكن قائدا عمليا ميدانيا فقط، بل كان فيلسوفا ومنظرا، وكاتب وصحفي ناقد، إذن فيما تجلت المواضيع الصحفية التي تناولها؟، وهل اتخذ من الصحافة وسيلة لنشر أفكاره؟، وهل تميز في طرح مواضيعه، وكيف كانت لغة طرحه؟ هل كانت تحليلية أم وصفية؟.

لم تكن كتابات ش"عدون" في مجال الصحافة فقط، بل أخذت عدة منحى ، ولعل أبرزها، مراسلاته التي اشتهر بها عن غيره من رواد الإصلاح في عصره، ولعل الدافع هو حب التواصل بينه وبين مشايخه وأصدقائه وتلاميذه في المهجر، إذن فما هي المحاور والمواضيع التي خاضها في رسائله؟، ومن هي الشخصية التي كانت أعظم مراسلاته موجهة إليه؟.

تعد اللغة العربية إحدى مقومات الشخصية الجزائرية في تكوينها، والتي عمل الاحتلال الفرنسي على طمسها، إلا أن ش"عدون" تصدى لهذا المشروع الإستدماري، إذن كيف كانت علاقة ش"عدون" باللغة العربية؟، وكيف كانت رؤيته للغة العربية؟.

المبحث الأول: الشيخ عدون أدواره القيادية.

لقد تعدد أدوار ش "عدون" والمناصب التي تولها، بين رئاسة هيئات عرفية وهيئات رسمية، كان القائد المسير في بعضها تسيرا مباشرا، ورئيسا شرفيا في البعض الآخر، عُرف لدى جميع أعضاء هذه الهيئات، بإخلاصه وتفانيه في خدمة الصالح العام والمجتمع والوطن الجزائري، فالشيخ "عدون" مدرسة ومؤسسة متكاملة المعالم، فقد كان أمة في قيادة مجتمعه⁽¹⁾.

فتلكم الهيئات والجمعيات التي ترأسها كانت العُقد التي تربط المجتمع، ومن خلالها ينفث أفكاره البناءة، ويعمل على إصلاح المجتمع، ونشر الوعي فيه محاولا استنهاض الهمم آخذا بشروط النهضة راسما معالم الحضارة، التي أيقن في قرارة نفسه أنها لا تقوم إلا بالعلم وفق مناهج صحيحة ومتطورة . ومن بين الهيئات التي ترأسها أذكر:

أولا: ترأسه حلقة العزابة⁽²⁾ بالقرارة.

تعتبر حلقة العزابة أبرز الهيئات العرفية في وادي مزاب، وهي التي تشرف على تسير المجتمع والإشراف عليه في جميع مناحي الحياة، ولقد اعتمد ش "عدون" عليها في نشر أفكاره وإصلاح مجتمعه، وذلك بعد انضمامه إليها سنة 1943م ، لصبح رئيسا عليها بعد وفاة ش "بيوض" سنة 1981م، وبقي رئيسا للحلقة حتى وفاته سنة 2004م⁽³⁾.

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص307.

(2) عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: المرجع السابق، ص186.

(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص5.

لقد أسس لمنهجية جديدة أثناء رئاسته لحلقة العزابة، والمتمثلة في تجنيد جميع إمكانيات المجتمع من أجل خدمة العلم، واستغل منبر المسجد من أجل إصلاح شبكة العلاقات الاجتماعية في القرارة خاصة ودعوتهم لتبني مشروعه الحضاري الذي لخصه في معادلة وهي أنه بالعلم تقوم الحضارة الإسلامية⁽¹⁾.

إن حلقة العزابة متعددة المهام حيث تشرف على الجانب الديني والاجتماعي والاقتصادي والتربوي، فالشيخ "عدون" لم يكن بذلك العالم الكبير مثل ش"بيوض" بقدر ما كان عمليا، إلا أنه كان يستطيع أن يرد على مسائل الناس في قضايا الإفتاء وفي قضايا دينية أخرى، و يساعده في هذه المهمة الجسيمة مجموعة من المشايخ و المتخصصون جلهم كانوا تلاميذ ش "عدون" وقد تخرج اغلبهم من الجامعات وهم دكاترة وباحثين، أمثال أ.د محمد صالح ناصر ، وابنيه ش بالحاج ود.محمد الخطاط وغيرهم كثير⁽²⁾.

وأما الجانب الاجتماعي فقد أولى له العناية الكبرى في إصلاح المجتمع، من تحديد للمهور وإصلاح لذات البين، ومحاربة الآفات الاجتماعية خاصة تلك التي تمس فئة الشباب فالشيخ "عدون" كان حريصا أشد الحرص على توعية الشباب وكونه رئيسة الحلقة لزم عليه تقويم اعوجاج مجتمعه، فغدا ش "عدون" المنارة التي يهتدي بها الشباب في وادي مزاب وقدوتهم الذي يطيعونه ولا يعصون له أمرا⁽³⁾.

وأما الجانب التربوي فقد تمثل في الدروس الوعظية المسجدية، والمؤسسات التابعة للمسجد والتي عمد

(1) سعيد بن بالحاج شريفني (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 46.

(2) محمد ناصر: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، المرجع السابق، ص ص 17 . 23

(3) المرجع نفسه، ص 24 . 30.

على تأسيسها والإشراف عليها إدارة ومراقبة ومن بينها معهد الحياة وجمعية الشباب والكشافة وغيرها⁽¹⁾.

وأما الجانب الاقتصادي فقد تمثل في تأسيس حركات استثمارية تعود بالفائدة على المسجد ومعهد الحياة حتى تغنيه عن حملات التبرع، وكان أكبر هذه المشاريع مزرعة الحياة ، التي أرادها أن تكون مشروعاً استثمارياً تكون أرباحه أكبر ممون للمسجد ومعهد الحياة تساهم في رفع المستوى العلمي وتمكن الفقراء من الالتحاق بركب التعلم⁽²⁾.

ثانياً: رئاسة الشيخ عدون للمجلس عمّي سعيد⁽³⁾.

لقد تولى ش "عدون" رئاسة مجلس عمي سعيد سنة 1988م خلفاً لشيخ "الحاج محمد بابانو"⁽⁴⁾، فأصبح الشخص الأول في وادي مزاب ورئيس أعلى هيئة عرفية في هذا الوادي ، ينعقد له الأمر في

(1) عبد الله بن راشد بن عبد العزيز السيابي: رحلتي إلى وادي مزاب وجبل نفوسة سنة 209، نسخة مرقونة متوفرة بمكتبة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث بغرداية، الجزائر، ص 32 . 33. ينظر : سعيد بن الحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 79 . 93.

(2) مقابلة مع مصطفى الحاج مسعود حول موضع دور الشيخ عدون في إنشاء مزرعة الحياة بالقرارة، بمنزله يوم 25 مارس سنة 2015م، من الساعة 12:00 إلى 13:00 ، بالقرارة ، الجزائر.

(3) مجلس عمّي سعيد : نظام حضاري ظهر في وادي مزاب، يعتبر المجلس عمي سعيد المجلس الأعلى للعزابة في وادي مزاب، سمعي بمجلس عمّي سعيد لأنه تعقد اجتماعاته في روضة الشيخ عمّي سعيد بن علي الجري (ت 1521) بمدينة غرداية، يضم هذا المجلس ممثلي مجلس العزابة لقرى وادي مزاب السبع ورجلان ، ويعتبر المجلس الديني الأعلى لإباضية الجزائر ، يعين على رأسه أكبر العلماء، ويعقد هذا المجلس جلسات دورية ، ولم يعرف تاريخ ظهور هذه المجالس بضبط ولكن يشير الباحثين إلا أنه ظهرت بعد تشكل القرى المزابية فكان هذا المجلس يجمعهم لكي يحلو مشاكلهم. للمزيد ينظر : محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص 750 - 752. ينظر: صالح بن عمر أسماوي: المرجع السابق، حل1، ص 437 . 447. ينظر: بشير بن موسى الحاج موسى: الشيخ سعيد بن علي بن يحيى الخيري الجري . حياته ودوره في نهضة وادي مزاب . ، نشر مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط2 ، الجزائر، سنة 2006، ص 61 . 64.

(4) الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف بابانو: (1896 . 1988م) ولد بقصر يسجن تتلمذ على يد ش سليمان بن ادرسو ثم انتقل إلى الزيتونة وعاد وأكمل تعلمه في معهد ش الحاج عمر بن الحاج مسعود بالقرارة، في سنة 1941 أسس المعهد الجابري للذكور و1974 للبنات، يعتبر من أبرز أعضاء حلقة العزابة، ترأس مجلس عمي سعيد منذ سنة 1986 إلى غاية وفاته 1988م. للمزيد

المسائل الدينية والفقهية، حيث يعد مجلس عمي سعيد المجلس التشريعي الديني، لقد استطاع ش "عدون" أن يشرف على هذا المجلس ويتحمل عبأ هذه المسؤولية رغم جسامتها ورغم كبر سنه (1)، وناضل في الإصلاح الديني والاجتماعي واستغل منبر مجلس عمي سعيد لكي يدعوا إلى أفكاره الحية، فكان لا يترك فرصة في أي اجتماع لهذا المجلس إلا ونوه بضرورة توجيه الطاقات وجميع الإمكانيات المادية والمعنوية لخدمة العلم (2).

ثالثاً: رئاسة الشيخ عدون للمجلس الكرثي (3):

لقد ساهم ش "عدون" وثلة من المشايخ والعلماء في إحياء مجلس الكرثي، الذي كان عبارة عن تراث فتم تفعيله هيكلية وماديا ومعنويا، وأصبح يباشر مهامه من جديد ولعل من بين الإيجابيات التي يقوم بها هذا المجلس حاليا هو توجيه الرأي العام المزايبي في القرارات السياسية المصيرية الكبرى، وتوحيد شملهم وفق رؤية إستراتيجية.

ينظر: سليمان بن محمد بومعقل: الشيخ الحاج عمر بن داوود الوردجاني 1341 هـ . 1923م / 1416 هـ . 1996 م . جهاده في سبل الله . ، بد دار نشر، بدط ، الجزائر ، سنة 1966م، ص 13. ينظر : إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج 4، ص 852 . 854.

(1) بوسنينة المنجي وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمون، دار الجيل، ط1، لبنان، سنة 2007م، ص 449.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون) في الخالدين ، المقال السابق ، ص 248. ينظر : مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص 5.

(3) مجلس الكرثي : نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الكرثي الذي عاش خلال قرن 6 هـ / 12م، وقد سمي على المجلس بهذا الاسم لن جلساته تعقد في روضة ش الكرثي بقص أتمليشت (مليكة) بمزاب، ويضم هذا المجلس ممثلين هيئات العزابة من جميع قرى وادي مزاب ورؤساء الجماعات والأعيان، ينظر هذا المجلس في القضايا الاجتماعية والسياسية التي تتعلق بالمزايبيين ، ويعتبر هذا المجلس التشريعي السياسي للأمة المزابية وهو نظام حضاري أنه المزايبيون وتعود أقدم وثيقة لهذا المجلس إلى سنة 807هـ/1405م. للمزيد ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 907 - 908. ينظر: صالح بن عمر أسماوي: المرجع السابق، حل1، ص ص 437 . 447. ينظر : إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع السابق، ج 4، ص ص 512 . 513.

لقد ترأس ش "عدون" هذا المجلس وأصبح القائد الأول للمجتمع المزايبي الإباضي في الجزائر، ينظر في القضايا الاجتماعية والسياسية ويساهم بآرائه التي صقلتها تجربة الحياة، فالشيخ "عدون" رغم كبر سنه ورغم المهام الجسام المنوطة به من رئاسة لمجلس عمي سعيد وجمعية الحياة وحلقة العزابة وغيرها، استطاع بكل جدارة أن يتحمل هذه المسؤولية ويضيف حملا آخر ثقيلًا في شيخوخته، فهنا ألاحظ أن ش "عدون" مثلا في التضحية و الصبر، وظاهرة تاريخية تستحق الدراسة وتعمق في شخصيته ، فقليل من الرجال الذين يستطيعون حمل هذا الكم الهائل من المسؤوليات وأعمارهم تفوق الثمانين سنة⁽¹⁾.

ثالثا: رئاسة الشيخ عدون للوحدة التعليم والتفتيش للمدارس الحرة المزابية على مستوى الجزائر.

إن الحركة الإصلاحية التي قادها كلا من ش "بيوض" وش "عدون" أسفرت عن ظهور مجموعة من المدارس القرآنية الحرة في كل قرى وادي مزاب و المدن الجزائرية التي يتواجد بها المزايين، وكان أغلب الأساتذة في هذه المدارس هم خريجو معهد الحياة، وفي خطوة إستشرافية بعد تأسيس جمعية قدماء التلاميذ 1948م، دعا من خلالها بعض المصلحين والأعيان إلا توحيد مناهج المدارس الحرة وكان أولهم ش "عدون"، فوجدت الفكرة أصداء لدى المشايخ والمصلحين والطلبة⁽²⁾.

وكان الهدف من توحيد جهود التعليم توحيد الغاية، والتكفل بالمدارس التي لا تحتوي على الأساتذة أو تعاني النقص، وبعد دراسة المشروع تم تعيين ش "عدون" مشرفا عاما على هذه المدارس بإجماع

(1). مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص 17.

(2) محمد بن سليمان أبو العلاء: الشيخ عدون وجمعية قدماء التلاميذ، المقال السابق، ص 265.

المشايع والأعيان سنة 1948م، يقوم بتفتيشها والصهر على تطوير مناهجها، وتكفل بانشغالها وانشغالات الأساتذة و التلاميذ وأولياتهم⁽¹⁾.

وكانت مهمة التفتيش تقتضي على ش "عدون" أن يقوم كل سنة بزيارتين لجميع هذه المدارس، الموجودة في وادي ميزاب أو الموجودة في مدن التل شرقها وغربها وكانت هذه المهمة تستنزف وقتا كبيرا وجهدا عظيما، ويقول في هذا الصدد ش "عدون" متحدثا عن نفسه: (وعينوني مفتشا أقوم بمدارسنا المنتشرة في وادي ميزاب والمنتشرة في التل، وكنت أتجول في العام الأول والثاني مرتين في السنة، ثم اقتصرت على المرة الواحدة...، وفي كل سنة بعد الجولة أكتب تقريرا وأرسله إلى كل مدرسة)⁽²⁾.

كانت مسؤولية تفتيش المدارس الحرة المبعثرة في التراب الوطني مسؤولية صعبة أرهقت ش "عدون"، وذلك لما يستلزم من جهد والتزام في المواعيد، فحضور المفتش يكون بحضور التلاميذ حتى يقيم مستوى التعليم، ويدرس مدى التزام الأساتذة بالمناهج، ويدون النقائص في الجانب التربوي وفي الجانب الهيكلي للمؤسسة⁽³⁾.

وبعد مرور أزيد من ثلاثين سنة في التفتيش وبلغ ش "عدون" الثمانين سنة وجد نفسه غير قادر لكي يتم المشوار وذلك لجسامة المسؤولية، ونستشهد بما قاله : (وكما قلت فإن التفتيش يحتاج إلى جهود كبيرة، وظروف التفتيش مرتبطة بحضور التلاميذ، وأغلب المدارس أوقات دروسها بعد صلاة الفجر، وعشية على الساعة الخامسة. وكنت في بلاد التل تارة أخرج من (سطيف) إلى (قسنطينة) قبل الفجر

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص5.

(2) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص19.

(3) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون) في الخالدين ، المقال السابق ، ص 244 . 245.

بساعة حتى أصل إلى (قسنطينة) بعد صلاة الفجر مباشرة وألحق التلاميذ الذين يدرسون بعد الصلاة
...، فالتفتيش يحتاج إلى جهود كبيرة لهذا لم أستطع أن أقوم به فتخلت عنه سنة 1985م ...⁽¹⁾.

لقد استطاع ش "عدون" أن يؤسس منظومة تعليمية متكاملة الجوانب وأشرف عليها بنفسه، وكان
يراقبها وهي تنمو ويعمل على تطيرها وتقويمها ، فخرّجت لنا رجالات من علماء وباحثين في جميع
العلوم والفنون، واستحق بذلك مشروعه صفة الرشد، فأخذ بأسباب الحضارة وحاول أن يقيمها ولو في
جانب من جوانبها، فرفع لواء العلم وأذن في الناس، فحارب الجهل بكل الآليات، ولعل أبرز هذه
الآليات هي توحيد المنظومة التربوية في جميع قصور وادي مزاب ومدن التل⁽²⁾.

رابعا: رئيس الشيخ عدون الشرفية لجمعية علماء المسلمين.

يعتبر ش "عدون" من رواد جمعية علماء المسلمين الأوائل، والذين سعوا في نشر مبادئها، فلطالما كان
يدعوا إلى وحدة صفوف المسلمين وإلى تمجيد اللغة العربية، وإلى التضحية في سبيل الوطن وتقديم
مصلحة الجماعة على المصلحة الخاصة⁽³⁾، فكان رجلا إصلاحيا ، ونستشهد بما قاله عن انضمامه إلى
الجمعية (لم أكن من المؤسسين أبدا، وإنما من الأعضاء الأولين، في السنة الثانية، لا في السنة الأولى،

(1) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص20.

(2) محمد باباعمي : بورصة الصراحة ، . حضور صحفي من عمق وعائنا الحضاري . نشر مؤسسة كتابك، ط1، الجزائر سنة 2011
ص ص 108 - 112. ينظر : محمد باباعمي: البراديم كولن . فتح الله كولن ومشروع الخدمة على نموذج الرشد . المصدر السابق ،
ص ص 11 . 20.

(3) محمد باباعمي : بورصة الصراحة ، . حضور صحفي من عمق وعائنا الحضاري، المصدر السابق، ص 111.

فالسنة الأولى حضرها الشيخ بيوض، وفي الثانية حضرتها بعد أن تأسست، فكنت عضوا عاملا كسائر الأعضاء... أأيدها بالقول وأدعو لها وأعمل عملها..⁽¹⁾ .

فالشيخ "عدون" كان مخلصا للجمعية، ومن رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر وجنوبها خاصة، ويعتبر أن وادي مزاب كان السباق للحركة الإصلاحية قبل ج م ع ج، حيث يقول: (نحن سابقون لجمعية العلماء في العمل الإصلاحي، نحن بدأنا عملنا الإصلاحي في أوائل العشرينات، والإصلاح سائر لا في التعليم فقط، وجاءت جمعية العلماء تابعة لمسيرتنا مؤيدة لها، وليس عندها ما يخالف مسيرتنا، فنحن سبقناهم في هذا الإصلاح ونؤيدهم ولا نزال)⁽²⁾ .

إن وادي مزاب واصل مسيرته الإصلاحية بعد الاستقلال عكس ج م ع ج التي توقفت نشاطها، ويرى ش "عدون" أن سبب توقف نشاط الجمعية إلى قلت الناشطين والمخلصين، فلولا جريدة البصائر لما علمت بوجود للجمعية، فانغلاق معهد ش "ابن باديس" والمدارس القرآنية خسارة كبيرة للمجتمع الجزائري وللحركة الإصلاحية، وتخلي ج م ع ج عن رسالتها الحضارية عرض الإسلام واللغة العربية في الجزائر إلى انتكاسة حقيقة، فلا نتعجب اليوم من واقعنا⁽³⁾ .

(1) عمر إسماعيل آل الحكيم: المصدر السابق، ص 45.

(2) المصدر نفسه، ص 45.

(3) المصدر نفسه، ص 32 . 33.

إن حرص ش "عدون" على الحركة الإصلاحية وعلى نشر أفكار ج ع م ج، جعل الأعضاء القائمون على الجمعية يكرمونه وذلك بمنحه الرئاسة الشرفية سنة 2003م، كأحد أقدم المناضلين على قيد الحياة، فالعلم أن ش "عدون" كان يرفض أي تكريم يقام له في حياته⁽¹⁾.

فالشيخ عدون يعتبر أحد الحلقات التاريخية لتشكل الجمعية، وأحد معالمها الإصلاحية ولا يمكن لأي باحث تناول الحركة الإصلاحية في الجزائر أن لا ينوه بفضل هذا الرجل خاصة في مجال التربية، فالشيخ "عدون" جعل أساس العلم القرآن واللغة العربية، وسخر حياته بأكملها في خدمته⁽²⁾.

خامسا : الشيخ عدون وقيادته للعمل الفدائي بالقرارة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية.

ينتمي ش "عدون" إلى عائلة ثورية، فأخوه "محمد بن بالحاج شرفي"⁽³⁾، أحد شهداء الثورة التحريرية، وأما ش "عدون" فقد كان رئيس خلية الفدائيين بالقرارة تحت إشراف ش "بيوض"، فلطالما كانت له اتصالات بالقادة العسكريين الثورين الذين يشرفون على ناحية غرداية، حيث كان يُؤمّن لهم المؤن حين يحلون بالقرارة أو يقوم بإخفائهم في منزله، حين يشتد عليهم الفرنسيين⁽⁴⁾.

ولعل أبرز المواقف التي يشهد له بها تاريخ الثورة، عمله على إخفاء المجاهدين أثناء حصار القوات الفرنسية للقرارة 31 جانفي 1957م، فكان ش "عدون" المجاهد في المجال التربوي والإصلاحي

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ سعيد بن بالحاج شرفي (الشيخ عدون) في الخالدين، المقال السابق، ص ص 253 . 254.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص .، المصدر السابق، ص 21.

(3) محمد بن بالحاج شرفي: (1911 . 1959م) ولد بالقرارة وزاول فيها تعليمه الابتدائي، ثم انتقل للعمل في التجارة في مدن مختلفة في الشمال، انضم لخلية الفدائية للمزابيين بالبليدة، وقد تم إلقاء القبض عليه وتعذيبه من طرف فرنسا حتى استشهد . للمزيد ينظر : محمد سليمان أبو العلاء : صفحات من الكفاح لمجاهدي القرارة في الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص ص 132 . 133.

(4) حمو عيسى النوري : دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مطبعة البعث، بد ط، ج 2، الجزائر، بد سنة، ص ص 96 . 97.

والثوري، فلم يكفيه إعداد المجاهدين والجنود في سبيل الثورة، بل جند نفسه وأمواله وأولاده وكل عائلته في سبل الوطن⁽¹⁾.

سادسا: الشيخ عدون وحملات جمع التبرعات .

إن المسؤولية التي حملها ش "عدون" على عاتقه مسؤولية أمة في إصلاحها ، فهو الذي وضع القواعد للحضارة المزائية في الفترة المعاصرة من خلال إصلاحاته التي ركزها على التعليم ، العمود الفقري لكل حضارة، ولكي ليجسد أفكاره البناءة كان يحتاج إلى رؤوس أموال، تمول مشاريعه وتجسد أفكاره، فينطلق من واقع الكلمة إلى جغرافية الفعل⁽²⁾.

فعمد عدة رحلات داخل وادي مزاب وخارجه، متجولا عبر مدن الجزائر التي يتواجد فيها المزايون، يعرض عليهم مشروعه الحضاري والمتمثل في معهد الحياة، ويطلب منهم أن يمدوه بالتبرعات التي ستعود عليهم وعلى أولادهم بالخير، فلم يدخروا التجار المزايين دينارا، فسبلوا أموالهم في خدمة الدين والوطن والمجتمع ، آملين من الله أن يغير واقعهم على يد ش "عدون" ومن معه من المشايخ⁽³⁾، وأستشهد بنص لأحد تلاميذ متحدثا عن ش "عدون": (إخلاص الشيخ عدون لرسالة التعليم حمله على تبني عبء إمدادها بالهواء والماء، وما ذلك المدد إلا المال الذي يبني المدارس ويجهزها ويجزي المعلمين ويكافئ

(1)حمو عيسى النوري : المصدر السابق، ص 96 .97.

(2)محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ عدون بأفلام أصدقائه وأبنائه، المصدر السابق ، ص 14.

(3)عمر بن حمو لقمان سليمان بوعصبانة: نماذج من أسفار الشيخ عدون ورحلاته، مجلة الحياة، عدد 18 ، جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر سنة 2014، ص 249.

التلاميذ، فانطلق يحث الناس على البذل والعطاء شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، وشرع في هذه الجولات منذ 1938، ولم يتوقف إلى وفاته.... (1).

لقد تحمل ش "عدون" مخاطر كبيرة أثناء مهمته هذه ، وكان يقوم كل سنة برحلة حول القطر الجزائري يجمع فيها التبرعات ، وكثيرا ما تعرض لأخطار الطريق خاصة فترة الحرب العالمية الثانية (1939 . 1945م)، وفترة العشرية السوداء (1990 . 2000م)، ورغم ذلك لم ثنيه هذه المخاطر عن غايته الحميدة، التي سبل نفسه في سبيل تحقيقها(2).

وقد شهد الداني والقاص عن مدرسة أسفار ش "عدون" التي أخذت جزءاً من حياته، والتي كانت في خدمة العلم أستشهد بنص لأحد تلاميذه في هذا الموضوع، حيث يقول: (أما إذا قصرنا الحديث في هذا الموضوع على الشيخ عدون رحمه الله، فأغلب الناس لا يعرفون أن أسفاره لأهداف سامية، وفيها من العناء ما لا يعرفه إلا الخاصة، فلو جمعت بعدد المسافات أو بالعداد الزمني لوجدنا أنها تفوق آلاف الأيام وأنها أخذت من عمره سنوات عدة. لقد جعل الشيخ عدون رحمه الله من الرحلة قمة العمل، وبالتنقل من مدينة إلى مدينة جسرا إلى غاية شريفة، فمرة لتفتيش مدارس قرآنية متعددة، وأخرى للقاء جماعات في التلّ متأزرة، جمعا لتبرعات المحسنين من التجار أمناء، وأجراء بسطاء، لمشاريع خيرية..(3)

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص16.

(2)المصدر نفسه، ص16.

(3) عمر بن حمو لقمان سليمان بوعصبانة: نماذج من أسفار الشيخ عدون ورحلاته ، المقال السابق، ص 249.

المبحث الثاني: الكتابات الصحفية للشيخ عدون.

يعتبر ش "عدون" من المصلحين الذين أخذوا بجميع الأسباب وآليات الإصلاح، وكانت أبرز هذه الآليات، آلية الإعلام المتمثلة في الصحافة المكتوبة، فوجد قلمه لمحاربة البدع والخرافات و الآفات الاجتماعية وأصحاب الأفكار الميتة والقاتلة، كما سعى في إصلاح شبكة العلاقات الاجتماعية، ووحدة صف المسلمين⁽¹⁾.

لقد تنوعت المواضيع الصحفية التي كتب فيها، فطرق جميع الأبواب، فكتب في التاريخ، والتربية، والتعليم، والإصلاح الاجتماعي والدين، وفي القضايا الوطنية، والعالم الإسلامي وغيرها، وفي دراسة هذه سأتناول بعض الجوانب من كتاباته، خاصة تلك المقالات التي تعنى بإصلاح التعليم والتربية والإصلاح الاجتماعي والديني.

فالشيخ "عدون" كان العضد الأيمن لعميد الصحافة الوطنية الشيخ "أبي اليقظان" سانه في الإشراف على جرائده الثمانية⁽²⁾ بمقالاته وأفكاره ودعمه معنويا، كما خلفه في رئاسة إحدى مجلاته لمدة شهر ثم لمدة سنة فلقد عانى ش "أبي اليقظان" في جهاده الإصلاحية والصحفية حيث يقول في إحدى مقالاته: (إذا ذاب مخك في تجهيز الجريدة بما لّد وطاب من فصول ممتعة... وبذلت لمصاريفها من حر مالك المئات والآلاف... ثم توقفت بمحفظتك على باب حضرة المشترك الكريم تسأله معلوم الاشتراك،

(1) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . المصدر السابق، ص23.

(2) أقصد بجرائد الثمانية: تلك الجرائد التي كان يصدرها "أبو اليقظان" كلما صدر الاحتلال الفرنسي عنوانا إلا وصادر عنوانا جديدة وهي (وادي ميزاب، ميزاب ، المغرب ، النور ، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان) للمزيد ينظر: محمد بن صالح ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ص ص 265 . 426.

فأجابك بكل سخرية واستهزاء بأني لا أقرأ الجريدة ولا أعرفها ولا أشتغل بالبوليتيك ونحن نجري وراء الخبزة والخبزة طائفة...، فما هو صنيعك معه..، وهل تشرب الماء من البحر؟.. (1)، فأمام هذه المعينات كان ش "عدون" لأستاذه وشيخه "أبو اليقظان" السند و الرفيق المؤيد له.

فالشيخ "عدون" لم يكن يخص واد مزاب بحركته الإصلاحية وأفكاره التغييرية التي تركزت في مجال التربية و التعليم ، بل كان يريد أن تبلغ المجتمع الجزائري والعربي، فبلغت أفكاره الأفاق(2).

لقد بلغت عدد المقالات التي شارك بها ش "عدون" في الجرائد ش "أبي اليقظان" 123 مقال، وكان يمضي في هذه المقالات بسم "سعيد" أو ب "عدون"، ولقد شرف ش "أبي اليقظان" ش "عدون" بكتابة المقالات الافتتاحية في بعض من جرائده، ولعل أبرزها جريدة (الأمة) (3)، وذلك للمستوى التحليل والأدبي والفكري الذي بلغه ش "عدون" في مقالاته، وأصبح قراؤه والمتابعون من كل الأفاق، وغدة مقالاته أرسيفا يخط ويؤرخ به لتاريخ ذلك العصر بكل مجرياته .

إن أول مقال تقدم به ش "عدون" في جرائد "أبي اليقظان" كان تحت عنون (جولة في وادي ميزاب) نشره في العدد السابع (07) من جريدة (وادي ميزاب) بتاريخ 12/11/1926م، وبعد ذلك بدأت مقالات ش "عدون" تنهمر على القراء كأطوار، مجندا قلمه في سبيل الحركة الإصلاحية، منافسا دعاة الإدماج والفرنسة ، ومساندا ش "ابن باديس" قبل ظهور ج ع م ج، وبعد ظهورها سنة

(1) محمد بن أحمد جهلان: الشيخ عدون والكتابة الصحفية . مدخل إلى مقالاته في صحف أبي اليقظان . ، مجلة الحياة، ع 9، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2005، ص 149

(2) المقال نفسه، ص ص 148 . 170.

(3) ينظر أرسيف جرائد ش "أبي اليقظان" ، نسخة إلكترونية مصورة ، جمعية التراث ،القرارة، الجزائر

1931م⁽¹⁾. حيث يقول في إحدى مقالات منتقدا أصحاب الطرفين على بعض مواقفهم ضد الجمعية : (وما كاد الرئيس الجليل يختم خطابه الافتتاحي حتى انبعث لسان القوم ينفث بمعارضته ما يلبد به جوّ الصفاء، ويفوه بما ينسف به حصن الجمعية الحصين، وما كاد يتم معارضته حتى ارتفعت أصوات من جوانب النوادي تصوب رأيه، وثارت من هؤلاء ضوضاء عمت القاعة، وفوضى لا تصدر إلا من الغوغاء والرعاع، مما يدل على أن هناك مؤامرة دبرت بليل، حاولوا بها القضاء على مؤسسة هي روح الأمة الجزائرية، ولولا ما أوتي رئيس الجمعية من اللطافة والوداعة، والتوعدة والحلم، فقابل الشدة باللين، والخفة بالحكمة، والتهور بالرفق، والسيئة بالحسنة، وأعرض عن لغو الجاهلين، وهراء المهوسين ، لوقعت الجمعية فيما نصبوه لها من المكائد...)⁽²⁾ .

أولا: كتاباته في جانب التربية .

إن ش "عدون" من أشد المصلحين غيرة على مجتمعه المسلم، خاصة المجتمع المزاجي الإباضي، إذ أن فرنسا كانت لا ترضى بأي صحوة فكرية، تكون سببا في تحرير عقول الجزائريين، لذلك كان ش "عدون" يدعوا إلى تحرير الذات والعقل من قيد الأوهام، وتربية النفس تربية صحيحة وفق المنظور الرباني⁽³⁾. فعكف ش "عدون" من خلال مقالاته يدعوا إلى إصلاح المنظومة التربوية، ومحاربة أذئاب الاحتلال الذين يكرسون وينشرون الأفكار القاتلة، من دعاة الفرنسة والإدماجيون، كما انبرى للذين ينشرون

(1) أحمد الخطيب : المرجع السابق، ص98.

(2) سعيد بن بلحاج شرفي (ش عدون): جمعية العلماء المسلمين بين الأمس واليوم، النور، ع 36 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 01 صفر 1351 الموافق ل 07 جوان 1932، ص2.

(3) سعيد بن بلحاج شرفي (ش عدون): صحافتنا وموقف الأمة إزاءها في الحالة الراهنة ، الأمة، ع 71 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 29 محرم 1355 الموافق ل 21 أبريل 1936، ص1.

الأفكار الجامدة والمميتة، وهم المشايخ الذين يدرسون وفق الطرق القديمة لا يمحسونها ولا يعملون عقولهم لتنقية هذه المناهج من الأفكار البالية ، حيث يقول عنهم في إحدى مقالاته : (وهكذا شأن العامي المسكين إذا بلي بهذا النوع من العلماء ممن سلبوا نعمة التفكير أو مُنحوها لكن الأهواء طمست بصائرهم فلم ينتفعوا بها، وليس الذنبُ ذنب هذا العامي المنكود الحظ، الذي ألقته المقادير بين أحضان هذا الجامد فضرب على عقله قُبة من حديد ...، ولكن ذنب المفرطين من العلماء و الأحرار والمصلحين الأبرار الذين قَصروا في واجب الدعاية إلى الحق ..)⁽¹⁾ .

فالشيخ "عدون" أدرك خطورة عدم إعمال العقل لدى المري والمصلح، من يجعله ينقاد إلى تكريس الرداءة من خلال تبنيه للأفكار البالية، دون تبصر للواقع المعاش ودون الرجوع إلى الفلسفة الإلهية التي تدعو إلى إصلاح النفوس وإلى إعمال العقل فالمنظومة الإسلامية تقف على رجاحة أولي الألباب، ونستشهد بمقطع من إحدى مقالات ش "عدون" في هذا الصدد متأسفا بواقع الأمة حيث يقول: (إن أعظم نكبة تنكب به أمة أن تصاب في عقولها فتتوقف عن أداء وظيفتها من التمييز بين النافع والضار والحق والباطل فترى حسنا ما ليس بالحسن، تستسمن ذا ورم وتستورم ذا سمن. ما أعظم بلاء هذه الأمة وما أشد محنتها، وما أشق مهمة يضطلع بها مرشدها ومصلحوها، إن ذلك لمن عزم الأمور)⁽²⁾ .

(1) سعيد بن بلحاج شريقي (ش عدون): من منطقهم تعرفهم . جمود العلماء وأثره في العامة . ، الأمة، ع11 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 19 شعبان 1353 الموافق لـ 27 نوفمبر 1934، ص2.

(2) سعيد بن بلحاج شريقي (ش عدون): من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه ، الأمة، ع39 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 27 جمادى الأولى 1354 الموافق لـ 27 أوت 1935، ص1.

تعد كتابات ش"عدون" في مجال التعليم أكثر الكتابات وفرة وتحليلا وتعمقا وذلك للواقع التعليم في واد مزاب، الذي كان يئن تحت ضربات الاحتلال وأصحاب الجمود، فأما الأول فكان يريد أن يقضي على المنظومة الإسلامية كليا ويقضي على التعليم القرآني واللغة العربية وجميع المناهج التي تساهم في إحياء الشخصية الجزائرية المسلمة، وأما الثاني فهم المشايخ أصحاب الأفكار البالية الذين يصرون على المناهج القديمة ولا يواكبون العصر في تطوراتها، فأصبحت هذه المناهج لا تنتج أفكار جديدة بل لا تنج فكرا يساهم في تحرير العقل⁽¹⁾.

فانبرى ش"عدون" لهاذين التياران ومع ثلة من المصلحين يحاربونهم بشتى الوسائل، ويدعون من خلال كتاباتهم الصحفية إلى تغير المناهج والتعلم، ومحاربة الجهل، ونستشهد بما قاله في إحدى مقالاته يصف محاربي العلم: (والجامد عدو للعلم محارب له، لأن العلم الصحيح شجرة لا تنبت ولا تتزعزع إلا في تربة تسقى بماء التفكير الحر، فإذا انقطع هذا الماء تيبست وتحطمت، والجمود إذا تمكن من دماغ الإنسان نضب معين التفكير فيه، فصوّح نبتة فصار هشيمًا تذروه رياح الأوهام، والحاكم إذا كان غاشما مستبدا، كان العلم عدوه الألد إذ أنه يقف له بالمرصاد، يتبع سقطاته ويكشف عن غلطاته ويناقشه على النقيض والقطمير، ويهيب بالأمة أن توقف الظالم عند حده، فلا ترسخ قدم الظلم والاستبداد إلا في ظلام الجهل حيث الغفلة سائدة والبله ضارب أطنابه والهلع والخوف ممتد رواقهما، فهو يعمل بكل ماله من

(1) سعيد بن بلحاج شريف (ش عدون): ميزاب يشكو آلاما وينشد آمالا . ويطلب رجاله بيثها فهل هم فاعلون؟ . ، الأمة، ع 114 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 10 محرم 1356 الموافق ل 23 مارس 1937، ص1.

قوة وحول لإطفاء نور العلم وقطع دابر العلماء، تلك هي أهم آفات العلم وأولئك هم الجناة عليه⁽¹⁾ ،
لقد كان ش"عدون" من خلال كتاباته الصحفية فارساً في ميدان العلم يجارب الجهل وكل من
يكرسه، ويدعو إلى إعمال العقل وتقديس العلم، فحَلاصُ الأمم يكمن في العلم وتجريد العقل من
الأوهام والأفكار المميّنة والقاتلة، ومن بين أبرز مقالاته التي تناولت جانب التعليم أذكر من خلال هذا
الجدول:⁽²⁾

عنوان المقال	الجريدة	العدد	تاريخ الصدور
الأزمتان الجهل والفقر	النور	20	1932/2/2م
إعراض الأمة عن ثمار عقول أبنائها	النور	31	1932/5/3م
أعداء العلم الألداء	النور	40	1932/7/5م
إلى الشباب الحي: صرخة داوية صرخ بها مثال الشباب، فهل من مذكر وهل من مجيب؟.	الأمة	81	1936/6/30م
هذا موسم الدراسة على الأبواب فماذا أعددنا له؟	الأمة	90	1936/10/15
دروس ومضرات بدل الأجواق والعوادات	الأمة	99	1936/10/17

(1) سعيد بن بلحاج شريفني (ش عدون): من هم الجناة على العلم؟ ، النور، ع 39 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 22 صفر
1351 الموافق لـ 28 جوان 1932، ص1.

(2) هذه العناوين أخذتها من أرشيف جرائد ش " أبو اليقظان"، المصدر السابق.

إن من أبرز المجالات التي كتب فيها الشيخ عدون العشرات من المقالات جانب الإصلاح الاجتماعي، فدعا من خلال مقالاته إلى إصلاح المجتمع ومحاربة الفساد بكل أنواعه، ويدعو الأمة إلا اليقظة والتكافل، حيث يقول في إحدى مقالاته : (أيتها الأمة الكريمة إن الخطر داهم والمسؤولية خطيرة والعاقبة وخيمة، فلا سبيل لتلافي هذه الأخطار ودرء هذا الفساد إلا بتضامن القوى وتكاتف الجهود، والوقوف صفا واحدا لصد هذه الأخطار وإصلاح هذا الفساد الذي جره عليها إهمالنا لواجباتنا، وزاده تفرقنا تفاقما وانتشارا، فها إن الوقت قد حان والفرصة قد سنحت، وانتهازها أصبح فرضا لازما لا يهمله إلا خائن لدينه وأمته ووطنه)⁽¹⁾

فالشيخ "عدون" لقد أدرك خطر العوامة منذ العشرينات من القرن العشرين، ودعا إلا الحذر من مظاهرها والتي تتجسد في الآفات الاجتماعية، كالتدخين، والقمار، والفواحش والمنكرات، ونستشهد بما قاله في إحدى مقالاته عن خطر المدنية: (وهذه المدنية الفاجرة تزحف إليه بجنودها الجرارة، فتتخذ من الحانات والمواخير والمقامر ومجالس اللهو أعشاشا تبيض فيه وتفرخ، وقد كان لعهد قريب لا يعرف معنى لهذه الموبقات المهلكة للحرث والنسل، ولا يرى لها وجودا بين ظهرانيه)⁽²⁾

إن أسلوب ش "عدون" في معالجة الآفات الاجتماعية أسلوبا راقيا فقد أدرك مواطن الفساد، ووعى ملامحه وعلاجه، فأنبأ المجتمع بأخطاره، ولعي أدرك اليوم قيمة هذه العبرات التي توحى عن رؤيته

(1) سعيد بن بلحاج شريفني (ش عدون): ميزاب يشكو آلاما وينشد آمالا . ويطلب رجاله بيثها فهل هم فاعلون؟ . ، الأمة، ع114 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 10 محرم 1356 الموافق لـ 23 مارس 1937، ص1.

(2) المقال نفسه، ص 1

الاستشرافية التي كان يتمتع بها ش "عدون" عن غيره فرغم أنه لم يتخرج عن أكاديمية، لكنه يتحدث بأسلوب الأكاديميين والمحللين، وهذا يدل على أنه صحفي مقتدر يعي جميع الإحداثيات ووقائع عصره، فيصور لنا واقعه وأخطار المنظومة الفرنسية.

كما نجد ش "عدون" تحدث عن الأمراض الاجتماعي والنفسي، التي أصيب بها المجتمع الجزائري، نتيجة للأفكار القاتلة التي سعى الاحتلال الفرنسي في نفثها في قلوب وعقول الجزائريين، والأفكار المميتة التي كرسها المنظومة البالية التي خلفها التاريخ الحديث بجميع سلبياتها، خاصة حين تدخل فيها الاحتلال الفرنسي، فوصف لنا واقع الأمة الجزائرية من خلال أحد مقالاته قائلاً: (هذه هي الحالة العامة التي عليها سواد الأمة الجزائرية؛ جهل مطبق سد عليها المسلك، وأمراض نفسية أنهكتها وكادت تودي بحياتها، فلم تشعر بحالتها ولم تحس مصابها بل تحسب المرض صحة وعافية، والظلام نورا وضياء، وترى الجهل علما، والجور عدلا، والظلم عظفا، والعبودية حرية، والعذاب شفقة ورحمة، شأن كل أمة طال أمد انحطاطها وتوالت عليها ويلات ونكبات أخذت أنفاسها وأزالت إحساسها) (1).

فيرى ش "عدون" أن المفاهيم انقلبت، وأن المجتمع يحتاج إلى صحوة تُوقده من سباته العميق، وأنه إن لم يحرر جغرافية عقله فلن يستطيع تحرير أرضه، ولا يتأتى ذلك إلا بإصلاح الاجتماعي وقبلة إصلاح الأنفس، وفق المعادلة الإلهية، قال تعالى {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...} (2).

(1) سعيد بن بلحاج شريفي (ش عدون): الشعور بالخطر باعث على درئه، النور، ع 7، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 27 جمادى الثانية 1350 الموافق لـ 27 أكتوبر 1931، ص.1.

(2) سورة الرعد الآية 12.

وكان ش "عدون" يدعو دائما المصلحين والعلماء أن لا يتخاذلوا وأن يأخذوا مواقعهم في الإصلاح الاجتماعي، فإن تخلوا حل البلى وأخذ الجاهلون والمضللون مواقعهم، فسعوا مفسدين ينشرون نار الفرقة بين أبناء المجتمع الجزائري، وأستشهد بمقطع من إحدى مقالاته يقول: (تحدث مشاكل علمية وقضايا اجتماعية واختلافات سياسية بين أفراد وجماعات، فإذا تصدى لها الأكفاء من حيث الاستعداد العلمي والخلقي انحلت المشاكل بسلام، وعلجت القضايا بحكمة، وارتفع الخلاف وحل الوئام، وإذا تدخلت في الحادث العناصر الطفيلية أوسعت شقة الخلاف، وزادت المشاكل تعقدا واشتباكا فينفجر عن فتنة تهلك الحرث والنسل وعن نار تلتهم الأخضر واليابس)⁽¹⁾.

رابعا: كتاباته في جانب إصلاح الدين.

إن الحركة الإصلاحية في أساسها قامت من أجل إصلاح الدين، وتنقيته من شوائب الدهر التي بدأت كتقاليد فصارت عقائد وجزءا من الدين، لذلك نجد معظم المقالات التي كتبها ش "عدون" تصب في هذا المنحى، فكتب سلسلة من المقالات بلغت عشر (10) مقالات تحت عنوان (موقف الأمة إزاء حركة الإصلاح بميزاب)، فكان أول مقال في 1935/12/17م ، وآخر مقال في 1936/03/31م⁽²⁾.

حيث يعالج في هذه المقالات مواقف الأمة من الحركة الإصلاحية بين مؤيد لها وبين معارض لها، وكان يرد من خلال كتاباته على أصحاب الجمود الذين ينكرون الحركة الإصلاحية، ويرفضون التجديد

(1) سعيد بن بلحاج شريفي (ش عدون): المتطفلون على موائد العلماء هم أصل الفساد ومنبع الشقاق فيجب إقصاؤهم عنها وإنزالهم منازلهم، الأمة، ع 102 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 1 شوال 1355 الموافق لـ 15 ديسمبر 1936، ص1.

(2) أرشيف مقالات ش "عدون" في صحف ش "أبي اليقظان"، المصدر السابق.

في أي ثوب كان ويدعون للمحافظة على القديم وإن كان خاطئ ولو على حساب الدين، فتجلت
جبهتين في وادي مزاب ، جبهة معارضة وجبهة مؤيدة.

وأستشهد بإحدى مقالاته يوضح مميزات كل جبهة ، فيقول: (أولا : موقف المؤيدين لرجال الإصلاح
المشاركين لهم فيما يقومون به من مساعي ومشاريع، فهم الذين يغذون الحركة ويمدونها بالقوة ويسعفونها
بما يسع طاقتهم من حاجياته، ويصمدون للعواصف التي تهب على رجال الإصلاح أحيانا فيدفعونها بما
أوتوا من قوة إيمان وصبر وجلد، لا يملون ولا يتزعزعون مهما اشتدت وطأتها وتزلزلت زلزالها، فهم عمدة
المصلحين ، ثانيا: موقف المعارضين، وهم طائفة من أنصاف العلماء وأرباعهم ممن لم يزالوا في الشبر
الأول من العلم، وهم يظنون أنهم على شيء. وطائفة من الجهلة المتعصبين الذين ليسوا من العلم في
قبيل ولا دبير، وإنما دعاهم إلى معارضة الإصلاح تعصبهم لكل قديم، وجمودهم على ما نشؤوا عليه
وألفته طباعهم من تقاليد وعادات بالية.)⁽¹⁾

فالشيخ عدون أدرك أنه لا يقوم أي إصلاح في أي مجتمع دون إصلاح المنظومة الدينية سواء كان
المجتمع مسلما أو كافرا، ولا يتأتى هذا الإصلاح إلا إذا شمل جميع الجوانب، لذلك نجد في مقالاته يؤكد
على أن الإسلام دين شامل شرع لدارين، ويكمن فيه الخلاص والنجاح في الدنيا والآخرة⁽²⁾، وحين يتم

(1) سعيد بن بلحاج شريقي (ش عدون): موقف الأمة إزاء حركة الإصلاح بميزاب ، الأمة، ع 55 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر،
الثلاثاء 20 رمضان 1354 الموافق ل 17 ديسمبر 1935، ص1.

(2) سعيد بن بلحاج شريقي (ش عدون): إذا لم يكن الإصلاح لدفع الفساد . فتى يكون ولماذا يجب إذا؟ . ، النور، ع 62 ، نشر
أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 21 شعبان 1351 الموافق ل 20 ديسمبر 1932، ص1.

تشويه هذا الدين يضل الإنسان ويتلوث فكره وتجب عنه الرؤيا الصحيحة، وينتج عن ذلك عدم فهمه للمقتضات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لذلك شدد ش "عدون" على إصلاح الدين، فالدين هو منهج الحياة، و لا تقوم الحركة الإصلاحية إلا بإصلاح الأنفس، حيث يقول: (إن من لم يبلغ به الإدراك إلى الاعتراف عن يقين بأنه لا يصلح الأمة إلا دينها، وأن كل حركة لا يقرها الدين هي منبع الفساد، لا يفرق بين ما يصلح الأمة وما يفسدها، فمثل هذا لا يليق لأن يتولى إصلاحها في أي ناحية من النواحي بل هو أول فساد يتعين إصلاحه....، والواقع الملموس ينادي: أن لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكل مصلح دينيا كان أو سياسيا، اجتماعيا كان أو اقتصاديا، لم يتشعب بهذا المبدأ القويم ولم يكن إصلاحه على مقتضاه وسننه وجب أن يطرد من ميدان الإصلاح ويضرب بإصلاحه عرض الحائط) (1).

خامسا : دور كتابات الشيخ عدون في تأريخ الأحداث.

لقد تنوعت الكتابات الصحفية لشيخ "عدون" بين دراسة للمواضيع الاجتماعية والتربوية والإصلاحية، وبين مواضيع تاريخية ، حيث نجد في بعض مقالاته يتناول شخصيات تاريخية⁽²⁾، بين فيها مناقبهم وأعمالهم وأدوارهم، وكل هذه الكتابات إنما يؤرخ من خلالها لفترة التي يعيشها، وإن الدارس منا

(1) سعيد بن بلحاج شريفني (ش عدون): يجب أن يكون الدين أساس كل إصلاح ، الأمة، ع 103 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 14 شوال 1355 الموافق ل 29 ديسمبر 1936، ص1.

(2) سعيد بن بلحاج شريفني (ش عدون): رحلة الأستاذ الجليل الشيخ "بيوض" بعمالة وهران ، النور، ع 44 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 29 ربيع الأول 1351 الموافق ل 2 أوت 1932، ص1.

لهذه الفترة التاريخية من تاريخ الجزائر خاصة وادي مزاب، لا يمكن له أن يدرك معالمها ، إن لم يرجع لمثل هذه الكتابات أو المقالات.

فكان ش "عدون" مؤرخا وصحفيًا في آن واحد صحفيا بكتاباتهِ في جرائد ش "أبو اليقظان" ومؤرخا من خلال ما يتناوله من قضايا العصر مسجلا أبرز الأحداث معلقا عليها بما فتح الله عليه من علم، فهذا الكم الهائل من المقالات الذي بلغ 123 مقال يدرس فيه قضايا محلية ووطنية، إنما هو أرشيف ومادة علمية تحتاج جيش من الباحثين والمؤرخين، يعيدون من خلالها كتابة تاريخ منطقة وادي مزاب والجزائر⁽¹⁾.

سادسا : مكانة العقل في كتابات الصحفية لشيخ عدون.

إن المقالات التي خلفها ش "عدون" تحمل من الفكر الشيء الكثير، فنجد ش "عدون" من أصحاب النزعة العقلية فكثيرا ما يتحدث في مقالاته على إعمال العقل ودور العقل في النهوض بالحضارة ، وأن العقل هو مناط التكليف، حيث يقول في إحدى مقالاته : (أيها الإنسان العاقل: إن الله لم يمنحك هذا العقل الذي هو مناط التكليف، ولم يميزك به عن الحيوان الأعجم إلا ليقيم عليك الحجة به فيما حملك من أمانة التكليف، بعد أن هداك النجدين، وبين لك الرشد من الغي، فلا تكفرن بهذه النعمة العظمى . نعمة العقل . بإهمال النظر بها، واستعمالها فيما خلقت له، ففي استطاعتك إذا أنت أحسنت استعمالها وأمعنت النظر فيما يعرض عليك أن تُصدر حكمك صحيحا عليه بأنه حق أو

(1) أرشيف مقالات ش "عدون" في صحف ش "أبي اليقظان"، المصدر السابق.

باطل، نافع أو ضار، صالح أو فاسد، ثم تأخذ . إن رزقت التوفيق والإنصاف بما يتراءى لك من حق أو نفع أو صلاح، فلا تلمسن هذا النور . نور العقل . بدنيء الأغراض، وخسير الشهوات...⁽¹⁾

ثم يضيف في موضعا آخر متحدثا عن قيمة العقل: (تأمل كيف نزل الشرع منزلة النور الذي تتجلى به حقائق الأشياء، وحصر رؤية هذا النور في العقل الذي نزله منزلة البصر، فإذا تعطلت موهبة العقل في الإنسان انطمست معالم الشرع في نظره، وأظلم لظلم الطريق أمامه فتخبط فيه خبط عشواء، وضل الطريق وأضل، وماذا عسى أن ينفع الأعمى استواء الشمس في كبد السماء، وسطوعها على جبينه ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء؟)⁽²⁾.

إن ش " عدون" أدرك منذ اللحظة الأولى أن النهوض بالحضارة الإسلامية، في وادي مزاب والجزائر، لا يكون إلا بالتفكير الصحيح وذلك بإعمال العقل وتحريره من قيد الأوهام، فما أحوجنا اليوم إلا مفكرون من هذا الطراز، يحيون فينا حب العلم، ويؤسسوا لمناهج تربوية صحيحة، تعمل على المحافظة على الشخصية الإسلامية وفق منظور الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

(1) سعيد بن بلحاج شريفي (ش عدون): من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه، المقال السابق ، ص1
(2) سعيد بن بلحاج شريفي (ش عدون): ذكرى الفيلسوف الكبير الشيخ إسماعيل الجيطالي . الاحتفال بختتم كتاب القناطير . الأمة، ع 163 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 17 صفر 1357 الموافق لـ 19 أبريل 1938، ص1.

المبحث الثالث: الشيخ عدون اهتماماته باللغة العربية و مراسلاته.

إن الحركة الإصلاحية في منطلقاتها في وادي مزاب قبل ظهور جمعية علماء المسلمين سنة 1931م، رفعت شعارها الجزائر وطننا والإسلام ديننا واللغة العربية لغتنا، فزود الحركة الإصلاحية أولو اهتماما كبيرا للغة العربية لغة القرآن الكريم، وعلى رأسهم ش "عدون" فتجلت مظاهر اهتمامه في رسائله الأدبية البليغة ودروسه في النحو والصرف والبلاغة في معهد الحياة⁽¹⁾، وفي مقالاته بصحف ش "أبي اليقظان"⁽²⁾، ومجلة الشباب⁽³⁾، وفي هذا المبحث سأبين مدى أهمية مراسلات ش "عدون" ، وفي يتجلى اهتمامه باللغة العربية؟ وما هي نتائج؟.

أولا : اهتمامه باللغة العربية.

لقد كرس ش "عدون" حياته بكاملها من أجل خدمة لغة القرآن الكريم، فهو يرى بأن اللغة العربية هي الوعاء الحضاري للإسلام، فإن ضاع الوعاء وتكسر ذهبت معه تعالم الإسلام، لذلك كان يُحْتَمَى على تعلم اللغة العربية، فنفت في تلاميذه حب اللغة العربية، وأسس جمعيات ونوادي أدبية من بينها جمعية الشباب⁽⁴⁾ والكشافة⁽⁵⁾، يتبار فيها الطلبة في فن الخطابة والشعر.

(1) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 62 . 64.

(2) محمد بن صالح ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ص 265 . 426. ينظر : محمد بن أحمد جهلان: المقال السابق، ص 161 . 168.

(3) محمد علي دبور: نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، ص 134 . 145.

(4) سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون): المصدر السابق ، ص 77.

(5) الكشافة الإسلامية الجزائرية: المصدر السابق، ص 25. ينظر: محمد علي دبور: نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ص 219.

ولتطوير مستوى اللغة العربية في وادي مزاب والقرارة خاصة، عمد إلى تحديث المناهج، وجلب أحدث المقررات من المشرق، تونس ومصر خاصة بمساعدة ش "أبي اليقظان"، فكان المشرف على تدريس اللغة العربية بنحوها وصرفها وبلاغتها في المعهد⁽¹⁾.

فاهتمامه باللغة العربية جعل من معهد الحياة منارة في العالم العربي والإسلامي يشع نورها في جميع الاتجاهات، حتى أثنى عليه كبار أدباء المشرق ومن بنهم الدكتور "شوقي ضيف"⁽²⁾ حيث يقول: (أحيي الجزائر البلد العربي وأحيي القرارة ومعهدهما (معهد الحياة) الذي ظل ما يقارب من سبعين عاما مضت، قلعة شامخة من قلاع العروبة والإسلام في الجزائر الشقيقة، وظل أساتذته العاملون البررة يرعون فيه أبناءهم رعاية مخلصمة مع ما أخذوهم به من خصال حميدة قوامها الخير العميم....)⁽³⁾

ونستشهد بما قاله الدكتور "شاكر الفحام"⁽⁴⁾: (هذا المعهد الذي قام في القرارة قلعة حصينة من

قلاع العروبة والإسلام، وخرج الأجيال تلو الأجيال، وتهيأت لمواجهة غدها بالعلم النافع، والخلق

(1) محمد صالح ناصر: ذكرياتي ومذكراتي، المصدر السابق، ص 141 . 142. ينظر. مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص 21.

(2) شوقي عبد السلام ضيف : 1910 - 2005م) ولد في محافظة دمياط شمالي مصر. يعد علامة من علامات الثقافة العربية. ألف عددا من الكتب في مجالات الأدب العربي، وناقش قضاياها بشكل موضوعي. حوالي 50 مؤلفا، منها: سلسلة تاريخ الأدب العربي : تقلد عة مناصب منها الأمين العام لمجمع اللغة العربية بمصر. للمزيد ينظر : صالح خريفي المصدر السابق، ص 9. وينظر، عيسى محمد الشيخ بالحاج : معهد الحياة، المرجع السابق، ص 25.

(3) صالح الخريفي : المصدر السابق، ص 9.

(4) شاكر محمد كامل الفحام: (1921 - 2008م) ولد في مدينة حمص في سورية، باحث وأديب سوري عمل في الأدب والسياسة والسلك الدبلوماسي، كما يعتبر من الباحثين الموسوعيين الذين بذلوا حياتهم في خدمة اللغة العربية وآدابها، الفحام مناصب عدة هامة وهي: تولى منصب وزير التربية في سورية عام 1963، ثم سفيرا لسورية في الجزائر من عام 1964 إلى 1968م، ثم رئيس جامعة دمشق من عام 1968 إلى 1970م، ثم رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق منذ عام 1993 حتى وفاته. للمزيد ينظر صالح خريفي: المصدر السابق، ص 10. وينظر، عيسى محمد الشيخ بالحاج : معهد الحياة، المرجع السابق، ص 25.

الفاضل، وقد تزودت بما يحفظ لها شخصيتها ودينها لتشييد مستقبلا زاهرا يليق بماضيها المجيد⁽¹⁾

لقد كان معهد الحياة حصن العروبة ، فأحيى في الجزائر اللغة العربية والإسلام ، الذي كان يشرف عليه ش "عدون" فخرج لنا شعراء عمالقة بلغوا المجد وشهد ببراعتهم أهل المشرق والمغرب من أمثل الشاعر الثائر " صالح خرفي" والشاعر الحصيف " محمد صالح ناصر" وش " القراذي"، ومن الأدباء أذكر الأديب ش "حمو فخار" وش "محمد علي دبوز" وش "ناصر بن محمد المرموري"، وغيرهم كثير جدا لا يسع المقام لذكرهم⁽²⁾.

لقد قضى ش "عدون" كل حياته في خدمة اللغة العربية، أي أزيد من ثمانين سنة (80)، وصرف في جمع أمهات الكتب في اللغة العربية أموالا طائلة وجهد بدنيا وزمنا معتبرا، من أجل توفيرها للطلبة، وبهذا استطاع أن يحطم مشروع الفرنسي والمتمثل في فرسة المجتمع الجزائري والقضاء على شخصيته الإسلامية العربية، وبهذا يعتبر ش "عدون" من أكبر المجاهدين في هذا المجال⁽³⁾، فهو أحد المنقذين الحقيقيين للغة العربية والشخصية الجزائرية، ويعود إليه الفضل بعد الله وجهود العلماء الآخرين، فقد صارت اللغة العربية إحدى صفاته، فحين تذكر اللغة العربية في الجزائر إلى وتجد ش "عدون" حاضرا ، إما عن طرق أحد تلاميذه، أو أحد المتأثرين به أو بأحد تلاميذه أو معهد الحياة⁽⁴⁾.

(1) صالح خرفي: المصدر السابق، ص 10.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 161، 385. ينظر: محمد صالح ناصر: ذكرياتي ومذكراتي، المصدر السابق، ص 132 - 156 ، 420 - 425.

(3) بالحاج بن سعيد شريفني : المقابلة السابقة .

(4) عبد الرزاق قسوم : دمة حبر جزائرية . مقالات في الفكر والسياسة . ، دار النعمان للطباعة والنشر ، بد ط ، الجزائر ، سنة 2013 ، ص ص 298 - 300.

فبعد إحدى الزيارات التي قام بها شيخ المؤرخين "أبو القاسم سعد الله" ⁽¹⁾ إلى وادي مزاب ، فرأى ما رأى من إتقان أهل المنطقة للغة العربية، وهذا بفضل جهود ش "عدون" قال : (عندما تتبارى المدن والنواحي الجزائرية في ميدان العلم والأدب وحلبة العروبة والإسلام ومضمار الوفاء لسدنة هذه الثوابت، ستقف مزاب في الطليعة بدون منازع، ...) ⁽²⁾.

ثانيا: رائد أدب الرسالة.

في إحدى اللقاءات التي أجريتها مع ش " بالحاج شرفي" ابن ش "عدون"، أكد لي فيها أن جميع مراسلات ش "عدون"، تصنف ضمن أدب الرسالة⁽³⁾، و معظم هذه المرسلات كانت تحدث بين ش "عدون" و ش "أبي اليقظان"⁽⁴⁾، و من خلال دراسة مقاطع من هذه الرسائل، وجدتها تمثل أرشيفا تاريخيا، إذ أنها شملت جميع القضايا السياسية والاجتماعية والإصلاحية والتربوية والدينية والثقافية والتاريخية وغيرها، وسأشير إلى أبرز المواضيع وأكثرها ذكرا في رسائل ش "عدون"⁽⁵⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله: (1930 - 2014م) ولد بقرية أقمار بواد سوف بالجزائر، تخرج من جامعة الزيتونة 1954م، ثم درس في القاهرة في تخصص الأدب، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة وتحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، يعتبر شيخ المؤرخين الجزائريين في التاريخ المعاصر، له أزيد 37 مؤلف، من بينها تريخ الجزائر الثقافي في 10 أجزاء، تاريخ الحركة الوطنية في 3 أجزاء وغيرها للمزيد ينظر : مراد وزناحي: حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، منشورات الحبر، ط1، الجزائر، سنة 2008م، ص 16 . 23.

(2) أبو القاسم سعد الله : حفل في ميزاب، ضمن كتاب محمد صالح ناصر: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، مركب المنار للنشر، ط2، الجزائر، سنة 2013، ص 93.

(3) بالحاج بن سعيد شرفي : المقابلة السابقة.

(4) أحمد محمد فرصوص : الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، بد ط، الجزائر ، سنة 1991 ، ص 112.

(5) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، مجلة الحياة، ع 9، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2005، ص 117 . 147.

1. الجانب التاريخي : يستطيع أي باحث أو مؤرخ أن يؤرخ للمنطقة من خلال هذه الرسائل ، فهي

من بين أبرز مصادر الحركة الإصلاحية، لما تحمله هذه الرسائل من طابع المذكرات أو التقارير، كما نجد كاتبها يدون آراءه وملاحظاته حول الأحداث بعفوية ويسجل انتقاداته وأفكاره دون تكلف، وذلك لأن جميع المراسلات تتم بين ش "عدون" و أصدقائه وش "أبي اليقظان" خاصة(1).

فالشيخ "عدون" كان يدون جميع الوقائع التي تحدث في القرارة ووادي مزاب في رسائله، التي كان يبعث بها إلى ش "أبي اليقظان" حين كان بالجزائر العاصمة، يشرف على جرائده من 1926 إلى 1938م(2)، وكانت هذه الرسائل أسبوعية ، وذلك حسب الظروف، وأستشهد بمقطع من إحدى رسائله التي أرسلها للشيخ "أبي اليقظان" المؤرخة في يوم: 30/08/1937 يقول فيها: (شرع الناس في قطع التمر وكادوا ينتهون، الماء لا زال على حاله في الغابة، ولا تزال الناس منهمكة في الحرث في الصحراء، جاء واد ثالث منذ نحو عشرة أيام، فزاد في الغابة نحو 15 سنتيما، وإلى الآن لم ينزل إلى الحد الذي وصل إليه القديم، وسيضطرون إلى إخراجه من الغابة وإلا وخمت، .. كثرت هذه الأيام الأرياح والزوابع ولم تحدث أي ضرر يذكر ...) (3).

فالشيخ " عدون" من خلال هذه الرسالة التي يعرض فيها الأحوال الأجواء الطبيعية في القرارة، يقدم الصورة الكاملة بأدق تفاصيلها لشيخ " أبي اليقظان"، وبطريقة أخرى هو يؤرخ للظروف

(1) بالحاج بن سعيد شريفي : المقابلة السابقة.

(2) محمد بن صالح ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ص ص 13.

(3) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 137.

المناخية التي تعيشها القرارة في تلك الفترة، ويستطيع أي دارس في التقلبات الجوية التي مرة بما القرارة أن يعتمد على رسائل ش "عدون" خاصة أنه يقدم النسب بالأرقام وبتدقيق.

وفي رسالة أخرى مؤرخة في : سنة 1935م يقول فيها: (... كانت ليلة المولد عندنا الفريدة الزهراء في سلك الليالي، فقد احتفلنا فيها بالمولد كالعادة، وامتازت حفلتها عن باقي الحفلات بدرس الأستاذ، بعد أن تلونا بعض القصائد،.....)(¹) .

من خلال هذه نلاحظ أن ش "عدون" كان يؤرخ للأحداث التي تقع في القرارة من حين إلى آخر، ويحاول أن يصور الواقع الذي تعيشه القرارة ووادي مزاب، لشيخ " أبي اليقظان" ، ويبرز له تطورات التي تحدث من حين إلى آخر ، حتى يضعه في الصورة، فنجده يسجل أدق التفاصيل، و جزئيات الأحداث، حيث يقول إحدى رسائله المؤرخة في 23 شعبان 1358/ : (... الأحوال عندنا هادئة مطمئنة، ليس عندنا ما يكدر، ولم يكن أثر للحرب عندنا إلا ستة عشر جنديا جاؤوا أخيرا للاحتياط، وهم مرابطون في دار البايليك، وإلا نقصان بعض المواد وفقدانها كالسكر، وما سوى ذلك فالحالة قبل الحرب هي اليوم، والذي زاد القلوب اطمئنانا وسكونا توارد القوافل يوميا، تحمل عشرات القناطير زرعا، ويدخل غالبا في السوق ما لا يقل عن 100 قنطار قمحا وشعيرا...، وسعر الشعير 9 إلى 11 (للقلبة) والقمح من 29 إلى 33، ...)(²).

من خلال هذه الرسالة نستطيع أن نقوم بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية لسكان القرارة مع بداية الحرب العالمية الثانية، فنجده يقدم لنا الأسعار وكمية المواد الغذائية التي تداولتها

(1) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 146.

(2) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 356 .

أسواق القرارة، ومدى تأثير أوضاع الحرب على السكان، إضافة إلى الواقع الأمني وتداعيات الحرب على الجزائريين خاصة في الجنوب، فالشيخ "عدون" كان مؤرخا بالدرجة الأولى، وترك لنا مادة تاريخية معتبرة، يمكن لنا إعادة كتابة تاريخ المنطقة من خلالها.

2. الجانب التربوي : من أبرز الجوانب التي أستشفها من رسائل ش"عدون" أنها جميعها تتناول الجانب التربوي ، وواقع التربية في القرارة ووادي مزاب، والمعانات التي يعانها رواد الحركة الإصلاحية في كفاحهم ضد أصحاب الفكر القديم، فالشيخ "عدون" لطالما كان ييثر همومه وأحلامه وطموحاته في التغيير و تطوير المنظومة التربوية لأستاذه "أبي اليقظان" من خلال رسائله، لذلك يستطيع أي باحث أن يدرك المشروع الحضاري الذي كان ش"عدون" يحمله ويعمل على تطبيقه⁽¹⁾.

فهذه الرسائل توضح لي الصورة الحقيقية لواقع التعليم، الذي كانت بدايته صعبة جدا، قاسى فيها ش"عدون" ويلات الفقر والحرمان، حتى كاد أن يستسلم لولى علو همته، ففي إحدى رسائله يصور وضع التعليم المزري ، والمؤرخة في : سنة 1935م يقول فيها: (إليكم وصلات الجزائر، ... فأنجدوننا من عندكم، فقد قدّمنا لنحو عشرين طاولة للمدرسة، وليس عندنا شيء نسد به الطلب، والنجار يطالبنا أن نسبق له شيئا، وسنضطر لتأخير قسم حتى تتهيا (الطوابل)،... فالرجاء الإسراع..)(2).

وفي رسالة أخرى مؤرخة في 1939/12/20م، يقول فيها : (... أين مطالبنا فقد مسّت الحاجة إليها، فالمدرسة في أزمة شديدة من جراء الأضواء، فقد كادت تنشف أعين الأولاد من

(1)(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 331 .

(2) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 141.

رداءتها، وكدنا نعطل الدروس من أجل ذلك، ليكن كل ضوء مصحوبا ببلارة أخرى للاحتياط، فقد تكسرت لنا واحدة فلم نجدها هنا ولا في غرداية، فتعطل الضوء، وكذلك بعض المنشورات، لا تنسى اليوميات وبقية المطالب ...⁽¹⁾.

فمن خلال هذه الرسالة أستشف الظروف التاريخية التي كان يعاني منها ش "عدون" وطلبته بالمعهد الحياة مع بداية الحرب العالمية الثانية، وبوادر الأزمة بدأت تلوح في الأفق، كما أنه أشار إلى نقطة مهمة في مجال السياسة، وهي المنشورات واليوميات التي من خلالها يتتبع الأحداث وقضايا العالم العربي والإسلامي، والتي يناقشها مع طلبته في جمعية الشباب فيعمل على تكوينهم سياسيا⁽²⁾. فالشيخ "عدون" يخبرنا من خلال رسائله عن المقررات والكتب التي يرسلها ش "أبي اليقظان" من حين إلى آخر من تونس أو الجزائر العاصمة، كما نجد في هذه الرسائل عناوين الكتب والمجلات التي كان ش "عدون" يطلبها من أستاذه، والتي يعتمد عليها في جمعية الشباب لتكوين الطلبة في شتى المجالات، الخطابة والشعر التحليل السياسي وغيرها⁽³⁾.

وأستشهد في الموضوع بإحدى رسائله المؤرخة في 13 محرم 1359 الموافق 23 / 2 / 1940م حيث يقول: (بلغني كتابكم الكريم وبطيه مقالة (للشباب) الممتاز، فكنتم أول من لبي دعوتنا

(1) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 141.

(2) محمد علي دبور: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المصدر السابق، ج3، صص 119 . 127.

(3) نفسه، صص 119 . 127.

وخير من وفي، فالشباب يشكركم هذه المرة، ويكبر اهتمامكم به ورعايتكم له، ويسجل هذا الشكر على صفحاته، فحياءك الله وبَيَّاك من أب رحيم، وأستاذ مخلص ومرشد نصوح، ... (1).

3. الجانب الإصلاحي : إن الإطار العام لرسائل ش"عدون" يتناول الحركة الإصلاحية في جميع الجوانب ، فكان ش"عودن" يعالج في رسائله التي يبعثها للشيخ " أبي اليقظان" القضايا الشائكة والصراعات التي تحدث بين رواد الحركة الإصلاحية وأنصار الجمود، فتارة يخبره عن أحداث وقعت وتارة يستشيريه في بعض القضايا، وكانت الرسائل متبادلة(2).

وأستشهد بنص لإحدى الرسائل، يشكر فيها ش" عدون" أستاذه ش"أبي اليقظان" على تدخله لحل خلاف وقع بين المشايخ في القرارة، منقذا الحركة الإصلاحية من التصدع والتفكك، في رسالة مؤرخة في يوم : 11 جمادى الأولى 1373 هـ / 27 / 1953/01م، يقول فيها: (... بلغني كتابك بعد الأخير للإخوان بعد غيبة طويلة، وانتظار طويل وقد سر، الإخوان ، وجماعة العزابة بسعيكم المبرور في القضية الشائكة، نسأل الله تعالى أن يمدكم بروح منه ويصل بكم إلى نتيجة مرضية يرتضيها الجميع، تحفظ كيان الإصلاح من التصدع، وتغسل ما علق في القلوب من أدران، ولا شك أن الله تعالى سيصل بنا إلى هذه الغاية ما دام الإخلاص و النية الحسنة رائد الجميع..) (3).

إن الدارس لهذه الرسائل يستخلص جسامة المسؤولية التي كانت على عاتق قادة الحركة الإصلاحية، فقد نذروا أمواهم وأنفسهم من أجل الإصلاح الاجتماعي والتعليمي، وأخذوا بمبدأ

(1) محمد صالح ناصر: مشايخ يكما عرفتهم، المصدر السابق، ص 359 .

(2) المصدر نفسه، ص 334.

(3) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 121.

التنازل عن مصالحهم من أجل وحدة المجتمع والحفاظ على كيانه، فكثيرا ما نجده ش"عدون" يتنازل أمام ش" بيوض" وش" أبي اليقظان"، وذلك إنما هو تكريس لمبدأ احترام المشايخ، وتقديم مصلحة الدين والوطن على المصالح الفردية⁽¹⁾.

كما شملت هذه الرسائل على دروس ش" بيوض" الإصلاحية التي كان ش"عدون" يقوم بتلخيصها من حين إلى آخر، فسجل لنا الأفكار الإصلاحية التي كانت تحي النفوس وتوقد فيهم شعلة الجهاد في سبيل الله والوطن، فكان لزاما على أي دارس لمسيرة ش" بيوض" الإصلاحية أن يعود إلى هذه الرسائل، التي تعتبر مصادر أولية في هذا الموضوع⁽²⁾.

حيث يقول في إحدى رسائله المؤرخة في ماي 1935م، ملخصا إحدى الدروس التي ألقها ش" بيوض" ببريان": (... وألقى عليهم الأستاذ درسا في الإتحاد ووجوب الترابط، وإزاحة كل حاجز يؤثر في هذه الوحدة، ومن ذلك وجوب مراعاة ميزاب حوزة واحدة، و الأخذ بقول من يرها وطنا واحدا، يجب فيه إتمام الصلاة، وبَسَطَ الموضوع بسطا وافيا شارحا كل إشكال، وناعيا على الذين أثاروا الضوضاء من جراء هذه المسألة حسدا من عند أنفسهم، فاقتنع القوم أيما اقتناع بوجهة نظره، آخذين برأيه، عازمين على تطبيقه،...)⁽³⁾.

4. الجانب الديني : لقد كانت رسائل ش"عدون" شمولية، فتجده تطرق فيها إلى جميع المواضيع، و من

أبرز المواضيع الجانب الديني، فكثرا ما نجد في رسائله حوارات ساخنة حول مواضيع دينية، أو بعض

(1) عبد الرزاق قسوم : المصدر السابق، ص ص 298 . 300.

(2) مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . المصدر السابق، ص 5.

(3) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 134.

ملخصات لدروس ش "بيوض" مقيما أفكاره ، ومبرزا رأيه وآراء المعارضة من أنصار الجمود والفكر القديم، حيث يقول في إحدى رسائله المؤرخة في ماي 1935م : (... تعرض الأستاذ في دروسه الأولى في تصحيح العقائد إلى ما يعتقدُه العامة في الأولياء من النفع والضرر، وإلى تمسحهم بالقبور وتقرب بها، و الذبح لغير الله، إلى غير ذلك مما يؤثر في العقيدة، وأنكر على من بيني القباب ومن يخصّصها مستقبلا، وما أكثر ذلك في بريان، وغض النظر عما هو موجود منها، وعن بانيها قائلا: تلك أمة قد خلت،...)(1).

5. جانِب الأدب والنقد : كان ش "عدون" أديب من الدرجة الأولى ويتمتع بملكة ذوق عالية، فتجده في رسائله ، يقيم مقالات الصحفيين ، وقصائد الشعراء إما تعود لتلاميذه، أو لأساتذته أمثال ش "أبي اليقظان" ، أو تعود لبعض شعراء العرب الذين ينشرون شعرهم في جرائد ش "أبي اليقظان" ، إذ نجده يقيمها في المعنى وفي المبنى والصياغة اللغوية، فلا يداري أحدا، ويقول رأيه بصراحة وموضوعية(2).

ففي إحدى رسائله لأستاذه ش "أبي اليقظان" مقيما إحدى قصائده(3) ، حيث يقول : (... جاء جوابكم لأستاذ (الشيخ بيوض) وبطيّة القصيدة، وصادف وجود الأخ عبد الرحمن بكلي هنا،...، وقرأنا القصيدة إذ ذلك قراءة عجلي، ثم أعدنا قراءتها في جمعيتنا نحن بإمعان ونظر،

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 359 .

(2) المصدر نفسه، ص 345 . 349.

(3) وكانت هذه القصيدة تلك التي شارك بها ش "أبي اليقظان" بنادي الترقّي في 12 / 7 / 1939، حين برئت ساحة ش "الطيب العقي" . للمزيد ينظر: محمد ناصر: ديوان أبي اليقظان، طبع المؤسسة الوطنية للطباعة والفنون، ط 2 ، ج 2، الجزائر، سنة 1989م، ص 39 . 41.

فأعجبنا بوقعها الجميل في النفوس، وبإصابتها المحز، وإلمامها بالموضوع، وإحاطتها بكل ما يقتضيه المقام إحاطة حكيمة، حازمة، أبيّة، غير أن روح الشاعرية فيها ضعيفة، على خلاف ما نعهد في شاعرية أبي اليقظان، فهل تراكمت عليها أصداء الإهمال وعدم التعهد بالجلاء والصقل؟...⁽¹⁾.

فألاحظ من خلال هذه الرسالة، مدى جدية ش"عدون" وحزمه في تقييم أستاذه، فلم يمنعه من ذلك أن يبدي رأيه بكل صراحة، دون مجاملة وقال كلمة حق، وتقبلها شيخه وأستاذه بكل اعتزاز، فضرب لنا ش"عدون" وش"أبي اليقظان" مثلاً في الصداقة والمودة التي تجمع بين العلماء والعظماء. وفي مثلاً آخر، يقيم فيها ش"عدون" إحدى قصائد ش"أبي اليقظان" مادحا إياه ومثنيا عليه⁽²⁾، حيث يقول في رسالة مؤرخة في 21 محرم 1355 هـ/ أبريل 1936 م: (... لقد شنفت أسماعنا وأطربتنا بذلك النشيد البديع، معنى ومبنى ولحنا، فجاء كاملا من كل جهة، فلا غرو فقد صاغته قريحة ممتلئة شعورا فياضة غيرة وإحساسا، فذابت فيه نفسه ذوبانا، وامتزجت بحروفه امتزاجا، ولقد وصل من نفوسنا وجالسنا ومحافلنا محلا لا تقا بمكانته السامية، فلا زالت نبعا فياضا للإحساس الوطني، ولا زالت ماء زلالا تسقي النفوس القاحلة من هذا الإحساس، وتُفعم القلوب النابضة من ماء الغيرة ..)⁽³⁾.

إن لغة ش"عدون" لغة راقية جدا، فهي لغة أديب وناقد، حيث تحمل كلماته معاني تدلى على روحه العالية، وعلى نفسيته الكبيرة، وعلى فصاحته لسانه المبين، فكان يقدر اللغة العربية رغم أنه

(1) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 347.

(2) نشرة هذه القصيدة في جريدة الأمة، العدد 68 بتاريخ: 1936/3/31، ص 3، تحت عنوان (هل تشعرين آه يا بلادي)

(3) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 130.

أعجمي (أمازغي) ، وكان يطرب للقصائد الشعرية والنثرية، والأناشيد العربية، أكثر من الأناشيد باللغة المزابية⁽¹⁾.

6. جانب الصداقة والمودة : لقد كان ش " عدون " دائما يهنئ أصدقائه ومشايخه من خلال رسائله، حيث يستغل المناسبات الدينية، والأفراح العائلية، وحتى في الأتراح، فاستغل رسائله من أجل نشر المودة بين الأهل والأقارب، وتقوية الأواصر الاجتماعية، وبناء مجتمع الرحمة، وأستشهد بإحدى رسائله، التي أرسلها لشيخه "أبي اليقظان" يرد عليه بعد أن بعث له هذا الأخير هدية يهنئه فيها على مولوده الجديد والذي سماه "محمد"⁽²⁾، حيث يقول فيها: (كانت هذه الكسوة طالع سعد، وشارة مجده، ودليل يمنه، فافخر بها من خطوة حظي بها في مستهل حياته، وأكرم بها من كرامة واثته منذ حدثته، فسيعرف لها . إذا مدّ الله في عمره . ، شأنها وخطرها ويقدرها حق قدرها، وسيعرف قيمة نفسه ومقامها الممتاز، ويتحقق أنه محل رجاء وأمل عظيمين إذا عقل وعلم أن أبا اليقظان في جلاله وشرفه وزعامته ومركزه الأسمى من الأمة راعى له ذلك، واعتبره وشرفه بهذه الكرامة...)⁽³⁾.

فالشيخ "عدون" جعل من رسائله جسرا يعبر عبره إلى قلوب محبيه خاصة منهم مشايخه، فكان يخاطبهم بأسلوب لبق يثني عليهم ويمدحهم، فتجد رسائله الموجهة لشيخ "أبي اليقظان" تبدأ دائما بكلمة (أستاذي الجليل المجاهد الكبير)⁽⁴⁾، وفي إحدى رسائله يشكر شيخه " أبي اليقظان " قائلا

(1)مصطفى بن صالح باجو: الشيخ عدون . مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص . ، المصدر السابق، ص5.

(2)هو الدكتور محمد بن سعيد شريفني الخطاط الكبير، لقد أشرت إليه في الفصل الثاني.

(3) محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 360.

(4) المصدر نفسه ، ص 337

(... بلغني جوابك الكريم يستحثني على المواظبة على الكتابة، حسن ظن منك بهذا العاجز،
حقق الله ظنك، ولا أراك مني إلا ما يسرك، ويهيج خاطرك ، ..) (1).

إن هذه الرسائل مرآة عاكسة لصاحبها، فإنها تبرز قيمه وأخلاقه المشرفة، فالشيخ "عدون"
صور لنا عصره، وملامح شخصيته وشخصية ش "أبي اليقظان" من خلال هذه الرسائل، فلا تصح
أي دراسة تاريخية لشخصية ش "عدون" أو ش "أبو اليقظان" دون الرجوع إلى هذه الرسائل وتحليلها،
وتفكيك قيمها المعرفية، ولا يتأتى ذلك إلا عبر مخبر ومؤرخ تجتمع فيه صفات الباحثين، لأنه ما
أصعب الدراسات التي تخص الظاهرة الإنسانية، فما بالك حين تكون هذه الدراسة تخص العظماء
والعلماء.

من أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الفصل هي :

❖ لقد تعددت الأدوار القيادية للشيخ "عدون"، بين رئاسة للهيئات العرفية، والجمعيات الرسمية،
وفي جميعها تميز بالإخلاص عمله لوجه الله، لا يرضى الجزاء من العباد، وهذا ما شهد به
معاصروه.

❖ استطاع ش "عدون" أن يباشر عدة مهام ومسؤوليات في زمن واحد رغم جسامته هذه
المسؤوليات، ورغم كبر سنه، فبعد بلوغه الثمانين، تولى رئاسة مجلس عمي سعيد والكرثي ،
ورئاسة جمعية التراث والحياة، ورئاسة وحدة التفتيش والتعليم، وجمعية علماء المسلمين الجزائريين
شرفيا وغيرها.

(1) محمد بن صالح ناصر: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، المقال السابق، ص 122.

❖ استغل ش"عدون" جميع هذه الهيئات لنشر أفكاره التغييرية الإصلاحية، وعمل من خلالها على وحدة المجتمع الجزائري، والرفع من شأن العلم وأصحابه، وتطوير مناهجه، والتمكين الإسلام واللغة العربية في نفوس الجزائريين.

❖ لقد تنوعت المواضيع الصحفية التي تناولها ش"عدون" في جرائد ش"أبي اليقظان"، فكتب في الجانب الإصلاحي والديني والاجتماعي والتربوي والفلسفي ، وغيرها.

❖ لقد أدرك ش"عدون" منذ اللحظة الأولى أن النهوض بالحضارة الإسلامية، في وادي مزاب والجزائر، لا يكون إلا بالتفكير الصحيح وذلك بإعمال العقل وتحريره من قيد الأوهام، فتميزت كتاباته بالتحليل والنقد البناء.

❖ تعد رسائل ش"عدون" التي كان يرسل بها مشايخه وأصدقائه وتلاميذه، أرشيفا تاريخيا، يجب الاعتماد عليه في تأريخ أحداث المنطقة، وذلك لما تحتويه من أخبار ذلك العصر، والتي تم تدوينها من عالما ناقد ، تميزت كتاباته بالموضوعية في كثير من جوانبها.

❖ لقد تنوعت المواضيع التي تناقشها ش"عدون" في رسائله، فشملت على الجانب الإصلاحي والديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي و الأسري وغيرها.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة فإن أبرز النتائج التي نخلص إليها هي:

❖ إن ظهور الحركة الإصلاحية في المشرق الإسلامي، كانت تأثيراتها واضحة على الجزائريين، وذلك

من خلال الأفكار الإصلاحية الحية، التي وفدت إلى الجزائر عبر الكتب المجلات والجرائد والطلبة الذين درسوا هناك، فاستنهضوا الهمم، وحاربوا البدع والجهل الذي كرسه فرنسا .

❖ بعد عودت الطلبة الجزائريين من المشرق، و تشبعهم بالفكر الإصلاحي أمثال ش"عبد الحميد بن

باديس" و ش"البشير الإبراهيمي" وش" الشيخ الطيب العقبي" وش" أبي اليقظان " وغيرهم، أحد

أكبر العوامل وراء ظهور ج م ع ج، وذلك بعد توافق رؤاهم والاتفاق على توحيد الجهود، تحت

إطار جمعية واحدة تقود الأمة الجزائرية لتحرير جغرافية القلب والعقل والأرض سنة 1931.

❖ إن جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب تعود إلى منتصف القرن الثامن عشر (18م)، ومرت

بعده مراحل، وكانت مرحلة ش"الأفضلي هي مرحلة الميلاد و التقعيد ، ومرحلة ش" الثميني " مرحلة

الطفولة والبناء والتنظير، ومحلة ش" محمد أطفيش " ومرحلة تلاميذه.

❖ رغم تطور التعليم في وادي مزاب عبر مراحل له لكنه لم يصل إلى المناهج التعليمية المعمول بها في

المشرق، ولم يتح فرصة لتعم المرأة في مدارس نظامية، رغم وجود علامات فتحن بيوتهن لتعليم.

❖ ما كان لشيخ " عدون" أن يؤسس معهد الحياة، لولى جوهده المشايخ الذين سبقوا حيث هيئوا له

الأرضية وأسسوا للحركة فوجد الركب قائما فتابع القيادة من بعدهم.

❖ لقد عاش ش"عدون" طفولة صعبة، حرمته من التعليم في بدايات حياته، لكن شغفه بالعلم، جعله

يعود إلى مضمار العلم، ويتفوق فيه، حتى صار ينادي بتغيير المناهج وتطوير التعليم.

❖ يعتبر شخصية ش"عدون" أمة في صفاتها ، لما يمتلك من صفات الحزم والعزم، التي أهلتها لكي يكون قائدا ومصلحا، فارتبط اسمه بالتربية والتعليم.

❖ يعتبر التعليم المسجدي والمشخي القاعدة التي انطلقت منه الحركة الإصلاحية في وادي مزاب، رغم ما فيه من نقائص.

❖ لقد كان معهد الحياة ثمرة جهود ش"عدون" ومن معه من رواد الحركة الإصلاحية، والذي سهر على تطوير مناهجه وبرامجه، حتى بلغ صوته القاهرة ودمشق ومكة ونفوسة ومسقط وزنجبار وجربة.

❖ إن إدراك ش"عدون" لقيمة الزمن، جعلته يعمل على تحويل أوقات الفراغ لدى طلبة معهد الحياة إلى إنتاج حضاري، عبر الجمعيات الثقافية التي أسسها، فخرجت كبار الشعراء والأدباء في العالم العربي، أمثال الدكتور "صالح خرفي".

❖ تعتبر مجلة الحياة العلمية، إحدى المعالم الحضارية التي خلفها ش"عدون"، وهي وثيقة تاريخية تؤرخ للإنجازات ش"عدون" ووادي مزاب عبر التاريخ.

❖ تمثل المرأة في المجتمع المزابي شخصيته الحقيقية، لأن أي تغيير في ملامحها ، تتغير شخصية المجتمع تبعاً، وهو السبب الحقيقي، وراء رفض المجتمع لتعليم المرأة، خوفاً من الأفكار الوافدة.

❖ يعتبر ش"عدون" أول عالم في وادي مزاب، نادى بإنشاء مدارس نظامية لتعليم البنات ، وفق برامج ومناهج علمية متطورة، والتي أشرف عليها بنفسه، وللرؤية الاستشرافية التي يتمتع بها جعلته يفكر في إنشاء جامعات للبنات خاصة بها، وقد تحقق ذلك عبر تلاميذه .

❖ لقد تعددت الأدوار القيادية للشيخ "عدون"، بين رئاسة للهيئات العرفية، والجمعيات الرسمية، وفي جميعها تميز بالإخلاص عمله لوجه الله، لا يرضى الجزاء من العباد، وهذا ما شهد به معاصروه، وقد استغل جميع هذه الهيئات لنشر أفكاره التغييرية الإصلاحية.

❖ لقد أدرك ش "عدون" منذ اللحظة الأولى أن النهوض بالحضارة الإسلامية، في وادي مزاب والجزائر، لا يكون إلا بالتفكير الصحيح وذلك بإعمال العقل وتحريره من قيد الأوهام، فتميزت كتاباته بالتحليل والنقد البناء، فكتب في الجانب الإصلاحي والديني والاجتماعي والتربوي والفلسفي، وغيرها.

❖ تعد رسائل ش "عدون" التي كان يرسل بها مشايخه وأصدقائه وتلاميذه، أرشيفا تاريخيا، يجب الاعتماد عليه في تأريخ أحداث المنطقة، وذلك لما تحتويه من أخبار ذلك العصر، والتي تم تدوينها من عالما ناقد، تميزت كتاباته بالموضوعية في كثير من جوانبها.

❖ لو حبذ أن تأخذ الكتابات الصحفية للشيخ "عدون" ورسائله الأدبية كدراسات أكاديمية مستقلة بذاتها عن الجوانب الأخرى في شخصية ش "عدون"، ولأن عدد المقالات والرسائل التي خلفها كبير جدا فبلغ عدد المقالات 123.

❖ لو حبذ أن يؤخذ معهد الحياة نشأته وتطوره، كعمل أكاديمي مستقل بذاته، لأهمية هذا الصرح العلمي، وما حققه من نتائج .

❖ لو حبذ أن يؤخذ دور الجمعيات الثقافية في النهضة العلمية والأدبية في وادي مزاب ما بين 1925م و 2000م كعمل أكاديمي .

الملاحق

الملحق (1):

وادي مزاب: هي بلاد الشبكة والتي تقع على بعد 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة¹، على دائرتي عرض 20 - 32° شمالا وخطي طول 02 - 30° شرقا، والتي شيد المزابيون على هذا الوادي قصور عدة ولكن بقيه منها سبعة وهي : 1. العطف (تاجنينت) حوالي 403 هـ / 1012م، 2. بنورة (آت بُنور) حوالي 438 هـ / 1046 م، 3. غرداية (تَعْرديات) حوالي 445 هـ / 1053م، 4. مليكة (آت فليشت) حوالي 518 هـ / 1124م، 5. بني يسجن (آت إزجن) حوالي 748 هـ / 1347م، القرارة (لَقْرارة) حوالي 1040 هـ / 1630م، 7. بريان (بريان) حوالي 1090 هـ / 1679م⁽²⁾.

لكن وادي مزاب يمر على ضفاف خمسة قصور وهي: العطف، و غرداية . ومليكة، وبني يسجن ، و بنورة ، وأما بريان والقرارة فتقعا شاملي وادي مزاب، وتبعد بريان عن هذا وادي مزاب 40 كلم، والقرارة 180 كلم، ولكن اصطلاحا فإن وادي مزاب يعني القصور السبعة وهذا ما قصدناه في بحثنا هذا وأما أصل كلمة مِزَاب فقد اختلف في أصلها المؤرخون وعلماء اللسانيات، وتنطق على عدة أشكال وهي على هذا النحو: مُزَاب، مُزَاب، نُزَاب، وأصل الكلمة مُصَابٌ و نسبة إلى مصاب من بني واسين وهو أحد بطون قبيلة زناتة الأمازيغية⁽³⁾.

الإصلاح :

1. الإصلاح لغة.

ورد في معجم لسان العرب في حرف الصاد في كلمة "صلح": الإصلاح ضد الفساد ، والإصلاح

⁽¹⁾Salah bafouloulou, Ghardaïa la mysterieuse, imprimerie des oasis, Alger, 2013, p 07.

⁽²⁾محمد بن موسى باباعمي وآخرون: المرجع السابق، ج2، ص ص 951 . 953.

⁽³⁾المرجع نفسه، ص 953.

نقيض الإفساد، أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، الصلح يعنى السلم⁽¹⁾.

2. الإصلاح اصطلاحاً:

هناك عدة آيات تشري إلى الإصلاح لكن سأورد أبرزها والتي تشري إلى الإصلاح الذي أراده الشيخ "عدون" من خلال حركته، فأول آية قوله تعالى: {إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (2). وقوله أيضاً: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...} (3).

فإصلاح الذي أراده الشيخ "عدون"، هو عملية تشمل مراجعة العقيدة والشريعة، و أحداث تغيير ايجابي في المجتمع روحياً وعقلياً وسلوكياً، في إطار رؤية إستشرافية شاملة. وتمس هذه الحركة أو النهضة جميع شرائح المجتمع، تعمل على تغيير الأنفس والمنظومة الاجتماعية بكاملها، وذلك بالتخلص من الأفكار الميتة والقضاء على الأفكار القاتلة، وإحياء الأفكار الحية وتثمينها، وجلب الأفكار الحية من المجتمعات المتحضرة، وتقوم هذه الحركة وفق منهج الله ورسوله، وحتى تستقيم الحياة على طاعة الله وإخلاص العبودية له، وبذلك يتحقق الاستخلاف والتمكين في الأرض، وهذا يتطلب هدف ومنهج واضحين، وقد حددهما ش"عدون" في التربية والتعليم، وذلك بما يتناسب مع الظروف الزمنية والمكانية لعملية التغيير والإصلاح⁽⁴⁾.

(1) محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، ج2، لبنان، 1955م، ص ص 516-517.

(2) سورة هود: الآية 88.

(3) سورة النساء: الآية 114.

(4) قاسم بن احمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 199.

هي مجموعة من الأفكار الميتة التي استحدثها المجتمع في فترة انحطاطه وجهله، فبدأت كعادات لدى بعض الناس ثم أصبحت تقاليد يتمرسها المجتمع بجميع شرائه، ولم يعمل العقل والمنطق في تبنيها، فيوجد بعضها يتنافى مع شريعة الله، وقد أصبحت هذه التقاليد جزء من الدين، في فترة من فترات التاريخ، ومن بين هذه الأفكار (التبرك بالقبور والأولياء)، فحاربتها الحركة الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي مع نهاية القرن 19م، كما حاربتاه الحركة الإصلاحية التي ظهرت في وادي مزاب منذ منتصف القرن 18م¹.

جامع الزيتونة: يعتبر من أبرز المعاهد العلمية التي كان لها دور ريادي في التعليم في إفريقية. تأسس سنة 80هـ/ 649، على يد القائد "حسان بن النعمان"، وفي سنة 116هـ/ 734م، قام القائد الأموي "عبيد الله بن الحباب" بإعادة بنائه وتوسعته لأنه صار لا يتسع لجميع الطلبة والمصلين. وفي عهد الأغلبة قام الأمير الأغلبي "أبو إبراهيم أحمد" بتجديد بنائه، لكن أدركته الوفاة ولم يتم عملية إتمام الجامع، مما أدى بأخيه زياد الله الثاني بإتمام ما قام به أخوه أبو إبراهيم من إصلاح للجامع، وفي سنة 250هـ/ 864م أتمّ تجديد بنائه. كان التعليم في جامع الزيتونة مقتصرًا على الجانب الديني، ثم ليتطور التعليم فيه بتطور العصور وتطور العلوم. وقد كان لجامع الزيتونة دورًا تعليميًا وثقافيًا، حيث تخرجت منه

(1) المرجع نفسه، ص 234.

عدة دفعات من الطلبة الذين أصبحوا علماء وشيوخ ومثقفين كبار أمثال "عبد الرحمان بن خلدون" و"شيخ الإسلام" الطاهر بن عاشور"، و"محمد الخضر حسين"، والشيخ "عبد العزيز الثعالبي"⁽¹⁾.

معهد الخلدونية: يعد من أبرز المعاهد التونسية في القرن العشرين، وكان يمكن للطلبة الزيتونيين مواصلة التعليم الثانوي، فيقول عن هذا المعهد أحد الدارسين قائلا: (ولعل أقدم عمل إصلاحي عرفته الزيتونة هو إنشاء معهد الخلدونية ليكون تابعا لها ومتعاوننا معها على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد، فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة العلوم العصرية من طبيعة وكمياء ورياضيات وتاريخ وجغرافيا ولغات أجنبية تنتهي بالإحراز على شهادة البكالوريا العربية التي تهيء الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق للتخرج في هذا المواد، ومن ثم يمكن إمداد جامع الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الإصلاح المنشود بالزيتونة)⁽²⁾.

قصر بني يزقن: أسس قصر بني يزقن عام 720هـ/1321م، وأصل اسم القصر هو تافيلالت ولا يزال هذا الاسم يطلق على أول أحياء هذا القصر في الجزء العلوي منه. ويتموقع هذا القصر في 2° غربا. كان يبلغ تعداد سكانه في القرن التاسع عشر ما بين 10 و12 ألف ساكن، وتعتبر بن يسجن معقل

(1) بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري. العاشر الميلادي، دار المدار

الإسلامي، ط1، لبنان، 2003م، ص ص 77 . 80. ينظر كذلك: محمد العيد قدح: الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف (1902 . 1982م)، مطبعة ذويب، ط1، الجزائر، 2013م، ص 50.

(2) الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية. رؤية شعبية قومية جديدة. (1830 . 1956م)، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، ب سنة، ص 222..

الحركة الإصلاحية والنهضة العلمية في الفترة الحديثة، بقيادة ش "الأفضلي" وش "الشميني" وش "محمد أطفيش" وغيرهم.⁽¹⁾

قصر القرارة: إحدى القصور السبعة لوادي مزاب، تأسست القرارة (لقرارة) حوالي 1040 هـ/ 1630م، في شمال الشرقي لقصر غرداية، على بعد 180 كلم، وقد سكنه عشيرة من المزابيين وهم أولاد باخة، تعتبر القرارة مدينة الحكمة الإصلاحية، وذلك لبروز علماء قادوا الحركة الإصلاحية في وادي مزاب والجزائر في القرن العشرين، من بينهم ش "بيوض" وش "أبو اليقظان" وش "عدون" وغيرهم.⁽²⁾

قصر بنورة : يقع قصر بنورة على الضفة اليسرى من وادي مزاب، و شمال غرب العطف أو تاجنيت⁽³⁾، ويمر وادي ميزاب من غربها وجنوبها⁽⁴⁾، اسمها بالمزابية آت بنور وتعتبر ثاني قصر من حيث التأسيس، تأسس سنة (438-458هـ/1046-1065م)، شيدتها قبيلة بني مطهر القادمة من وارجلان، وأما عن أصل التسمية فهناك عدة روايات فمنهم من يقول أنها نسبة إلى بنور اسم جد إحدى القبائل الزناتية، وقيل نسبة إلى سيدي بنور وهو اسم أطلق على جبل و مقبرة المزابيين في الجزائر العاصمة⁽⁵⁾.

(1) يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص17. ينظر كذلك:

PAUL SOLEILLET: L'AFRIQUE OCCIDENTALE (ALGERIE; MZAB; TILDIKELT)
;imprimerie de f. Seguin Aine'; 1877; ph70.

(2) يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص79.

(3) أسماوي، المرجع السابق، ص، 613.

(4) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، ص، 163.

(5) صالح أسماوي، المرجع السابق، حل2، ص ص 613-614.

و الذي يقول عن ش "عدون": (كان هذا المعهد - والحمد لله - وريث مدرسة أبي عبيدة قديما، ووارث المدرسة القطبية حديثا، إذ خرّج - ولا يزال - أفواجا تلو أفواج من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، اهتموا وهدوا أمتهم إلى أقوم الطريق، وقادوها وما زالوا يقودونها بحنكة وحكمة في مختلف المجالات الحياة الروحية والمادية، تلك نتائج المعهد في ماضيه وحاضره، فماذا أعددتنا لحياته المقبلة التي نرجو أن تكون أوفى وأسعد وأطيب وأزهر وأن تكون ممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ماذا أعددتنا من أبنائنا إذا أردنا لهم السعادة الحق؟ وماذا أعددتنا من إمكانات إذا أردنا أن نكون مجاهدين في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا؟ فهل نحن على استعداد للتضحية ببعض ما ضحى به سلفنا من المؤسسين والمرابطين في هذا المعهد)⁽¹⁾.

يقول الشيخ "عبد الرحمان شيبان" رئيس ج ع م ج، عن الشيخ "عدون" إثر وفاته: (... تودع فيك الجزائر اليوم عميد أئمتها الأعلام، علما، وتعلّما، وتربية، وإدارة، وإصلاحا، ودعوة إلى التسامح الديني، والوحدة الوطنية، وجهادا في سبيل الحرية والكرامة، لقد أنعم الله عليك بباقة من الشمائل جعلتك منارة للعلماء والعاملين، والصالحين والمصلحين، أهمها: الإصلاح والزهد، والتواضع والتضحية، والتفاني، والتفاني في أداء الأمانة)⁽²⁾

(1) سعيد بن الحاج شريف (الشيخ عدون): المصدر السابق، ص 94 . 95.

(2) محمد صالح ناصر، مشائخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص 299.

الملحق رقم (3): عدد مقالات الشيخ "عدون" 123، لكننا سنورد بعض العناوين ، وذلك حتى لا

يختل حجم البحث، ولمن أراد الإطلاع يعود⁽¹⁾.

الرقم	عنوان المقال	الجريدة	العدد	تاريخ الصدور
1	جولة في وادي ميزاب	وادي ميزاب	7	1926/11/12م
2	نظرة في حالة نظرة في حالة شبابنا المتمدنين	وادي ميزاب	19	1927/02/11م
3	مرحبا بك يا أبا اليقظان	وادي ميزاب	20	1927/02/18م
4	هل نحن مستيقظون؟.	وادي ميزاب	38	1927/07/02م
5	التعاون الاجتماعي	وادي ميزاب	69	1928/02/10م
6	رياض الأدب (اللغة العربية) (الشعر)	المغرب	1	1930/05/26م
7	احتقار النفس	المغرب	29	1930/12/16م
8	المصلحة الشخصية آفة مبيدة للمشاريع	المغرب	32	1931/01/13م
9	دعاة الإصلاح وما يجب عليهم	المغرب	35	1931/03/05م
10	الأفكار المستعبدة بالأوهام والخرافات	النور	14	1931/12/22م
11	المؤتمر الإسلامي بالقدس ونتائجه	النور	19	1931/12/22م
12	الأزمتان الجهل والفقر	النور	20	1932/02/02م
13	الجزائر المسلمة يجب أن يكون لإسلامها صوت مسموع	النور	32	1932/05/10م

(1) أرشيف جرائد أبي اليقظان، نسخة مصورة إلكترونية ، جمعية التراث، القرارة ، الجزائر.

14	جمعية علماء المسلمين بين أمس واليوم	النور	36	1932/06/07م
15	من هم الجناة على العلم	النور	39	1932/06/28م
16	كيف يكون الإصلاح وما هي وسائله؟	النور	65	1933/02/17م
17	دمعة وادي مزاب الحارة	النور	69	1933/02/21م
18	ثلاث ليال بالصحراء، أو درس تطبقي في الأدب العربي.	النبراس	01	1933/07/21م
19	الانتقام السافل (علله وأسبابه ونتائجه)	النبراس	05	1933/08/17م
20	صحافتنا وموقف الأمة إزائها في الحالة الراهنة	الأمة	04	1934/10/09م
21	هل المعارضة من لوازم الإصلاح	الأمة	32	1935/07/09م
22	من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه	الأمة	39	1935/08/27م
23	موقف الأمة إزاء حركة الإصلاح بميزاب	الأمة	55	1935/12/17م
24	على هامش اعتقال الأستاذ العقبي (معيار النضوج الفكري في الأمم)	الأمة	86	1936/08/18م
25	ها هو مسم الدراسة على الأبواب فماذا أعددنا له؟	الأمة	91	1936/09/22م
26	يجب أن يكون الدين أساس كل إصلاح	الأمة	103	1936/12/29م
27	مصر العروبة تحمل لواء العروبة	الأمة	107	1937/01/26م
28	في سبيل الحياة: الاجتماع العام لجمعية الحياة بالقرارة	الأمة	145	1937/11/23م
29	ذكرى الفيلسوف الكبير إسماعيل الجيطالي	الأمة	166	1938/05/10م
30	من المشرق إلى المغرب: من إمام المسلمين بعمان إلى إخوانه الإباضية بالمغرب.	الأمة	169	1938/052/31م



(1) أرشيف جريدة الشباب نسخة مصورة إلكترونية ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر.

الملحق رقم (6) صور للشيخ عدون¹:



يجلس الشيخ "عدون" في الصف الأول على يسار الصورة.

(1) أرشيف صور الأستاذ بكير بن سعيد شريقي (الشيخ عدون).



8. من اليسار إلى اليمين: الشيخ "عدون" والأستاذ "محمد الهادي الحسني" والشيخ "عبد الرحمان شيبان" رئيس ج ع م ج ، و ابن الشيخ "عدون" الدكتور محمد الشرفي الخطاط.



صورة للشيخ "عدون" مع فخامة رئيس الجمهورية "عبد العزيز بوتفليقة" أثناء زيارته للمعهد الحياة 2004م.

(1) أرشيف صور الأستاذ بكير بن سعيد شرفي (الشيخ عدون).





9. صورة لشيخ "عدون" مع تلاميذ المعهد في حفل ذكرى الشيخ "أبي اليقظان".



(1) أرشيف صور معهد الحياة .



صورة للشيخ عدون مع أساتذة المعهد في الستينات من القرن العشرين.



(1) أرشيف صور معهد الحياة .

قائمة المصادر والمراجع

قسمت قائمة المصادر والمراجع على النحو الآتي:

1. القرآن الكريم.
2. المقابلات.
3. الوثائق الأرشيفية.
4. المصادر.
5. المراجع العربية والأجنبية.
6. الدوريات والمقالات.
7. المذكرات والرسائل والأطروحات .
8. القواميس والمعاجم والموسوعات.

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً – الوثائق الأرشيفية :

1. أرشيف جرائد ش " أبي اليقظان " ، نسخة إلكترونية مصورة ، جمعية التراث ،القرارة، الجزائر.
2. أرشيف مجلة الشباب نسخة مصورة إلكترونية ، جمعية التراث ،القرارة، الجزائر.
3. أرشيف صور معهد الحياة.
4. أرشيف صور الأستاذ بكير بن سعيد شريفي (الشيخ عدون).
5. رأسعامة عمر بن إبراهيم: نشأة التعليم مدرسة الإصلاح غرداية، نسخة مرقونة متوفرة بمكتبة الإصلاح بغرداية.
6. السيابي عبد الله بن راشد بن عبد العزيز: رحلتي إلى وادي مزاب وجبل نفوسة سنة 2009، نسخة مرقونة متوفرة بمكتبة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث بغرداية، الجزائر .

ثانياً – المقابلات:

1. مقابلة مع الشيخ باجو صالح ، حول علاقة الشيخ عدون بأساتذة داخل معهد الحياة ، في منزله بالقرارة ولاية غرداية،يوم: 2014/10/13 ، من الساعة 17:00 إلى 19:30 مساء.نسخة فديو موجودة عندي.
2. مقابلة مع الأستاذ بوسعدة حمو بن سليمان حول موضوع أنشطة الحركة الإصلاحية في غرداية ، بمنزله بغرداية الجزائر، يوم 2015/04/19م، من الساعة 20:00 إلى غاية 22:00

3. مقابلة مع الدكتور بن علي طاهر ، حول آليات دراسة شخصية ما تاريخيا، في منزله بغرداية ولاية غرداية، يوم: 2013/3/24 ، من الساعة 9:00 إلى 12:00 صباحا.
4. مقابلة مع الشيخ حدبون صالح ، حول دور الشيخ عدون في تأسيس داخلية الحياة والإشراف عليها، في داخلية الحياة بالقرارة ولاية غرداية، يوم: 2014/6/23 ، من الساعة 9:00 إلى 11:00 صباحا. نسخة فيديو موجودة عندي.
5. مقابلة الحاج مسعود مصطفى حول موضع دور الشيخ عدون في إنشاء مزرعة الحياة بالقرارة، بمنزله يوم 25 مارس سنة 2015م، من الساعة 12:00 إلى 13:00 ، بالقارة ، الجزائر.
6. مقابلة مع الشيخ شريف بلحاج بن سعيد(الشيخ عدون) ، حول حياة الشيخ عدون في منزله بالقرارة ولاية غرداية، يوم: 2014/6/24 ، من الساعة 9:00 إلى 11:00 صباحا. نسخة فيديو موجودة عندي.

رابعا - المصادر:

1. آل الحكيم عمر إسماعيل: مقابلة مع شاهد القرن، بد دار نشر، ط1، الجزائر، سنة 2006م
2. الإبراهيمي أحمد طلب: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، لبنان، سنة 1997م .
3. الإبراهيمي محمد البشير: عيون البصائر، دار المعارف، بد ط، مصر، سنة 1963.
4. أطفيش محمد بن يوسف : الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، تح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مكتبة الضامري لنشر والتوزيع، ط2، عمان، سنة 1998م.

5. أوعوشة بكير الحاج سعيد: أصالة الفكر الإصلاحى للشيوخ حمو بن عمر فخار 1917 .
2005م، بد دار نشر، بد ط، الجزائر، بد سنة.
6. باباعمي محمد: بورصة الصراحة ، . حضور صحفى من عمق وعائنا الحضارى .، نشر مؤسسة
كتابك، ط1، الجزائر سنة 2011 م.
7. باباعمي محمد: البراديم كولن . فتح الله كولن ومشروع الخدمة على نموذج الرشد .، دار النيل
لطباعة والنشر، ط1 ، مصر، سنة 2011م.
8. باجو مصطفى بن صالح: الشيخ عدون - مسيرة قرن من الجهاد والإخلاص - ، جمعية الحياة
وجمعية التراث، بدط، الجزائر، سنة 2009م.
9. بوحجام محمد بن قاسم ناصر: الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه، نشر جمعية التراث، ط1،
الجزائر، سنة 2009م.
10. بوحجام محمد بن قاسم ناصر: مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، نشر جمعية
التراث، ط1، الجزائر، سنة 2011.
11. بكلي عبد الرحمان بن عمر : محاضرات البكري في العلم والعلماء، تق مصطفى صالح
باجو، نشر مكتبة البكري، بدط، الجزائر، سنة 2002م.
12. بكلي عبد الرحمان بن عمر ، فتاوى البكري، المطبعة العربية، ج1، بد ط، الجزائر،
سنة 1982م.
13. بيوض إبراهيم بن عمر: أعمالى فى الثورة، نشر جمعية التراث، ط1 ، الجزائر، بد سنة .

14. الثميني ضياء الدين عبد العزيز: النيل وشفاء العليل، تع بكلي عبد الرحمان بن عمر، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، ط2، ج1، الجزائر، سنة1968م.
15. الخرفي صالح: من أعماق الصحراء، دار الغرب الإسلامي ، بدط، لبنان، 1991م.
16. دبور محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر، عالم المعرفة، ط1، ج2، الجزائر، سنة 2012م.
17. دبور محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ط1 ، ج1 ، ج2، ج3، الجزائر، سنة 2013م.
18. شريفني سعيد بن بالحاج (الشيخ عدون): معهد الحياة نشأته وتطوره، تق محمد صالح ناصر، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، ط2، الجزائر، سنة2009م.
19. الطالبي عمار: آثار بن باديس ،الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، ط3، ج1، الجزائر، سنة 1997م .
20. فخار حمو بن عمر: وقفات ومواقف ، جمعية التراث، بد ط، الجزائر، سنة 2002م.
21. فرصوص أحمد محمد: الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، بد ط، الجزائر ، سنة 1991م.
22. قسوم عبد الرزاق: دمعة حبر جزائرية . مقالات في الفكر والسياسة . ، دار النعمان للطباعة والنشر، بد ط ، الجزائر ، سنة 2013 م.
23. المدني أحمد توفيق: حياتي كفاح، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، بدط، ج1، الجزائر، بد سنة.

24. ناصر محمد صالح: مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، ط2، الجزائر، سنة2008م.
25. ناصر محمد صالح : ذكرياتي ومذكراتي ، دار ناصر، ج1 وج2، ط1، سنة 2014م.
26. ناصر محمد صالح: الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، دار كولوريوم، ط5، الجزائر، 2013م.
27. ناصر محمد صالح: الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا و زعيما، مكتبة الريام ، ط1، الجزائر، دون سنة.
28. ناصر محمد: ديوان أبي اليقطان،، طبع المؤسسة الوطنية للطباعة والفنون، ط2 ، ج2، الجزائر، سنة 1989م.
29. النوري حمو عيسى : دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ، مطبعة البعث ، بد ط ، ج2 الجزائر، بد سنة.
30. الكشافة الإسلامية الجزائرية: دليل الحياة الكشفية ، مطبعة النخلة، بد ط، الجزائر، سنة 1994م.
31. معمر علي يحيى: الإباضية بين الفرق الإسلامية، مر بكير محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث، ط3، الجزائر، سنة2003م.
32. طلاي إبراهيم محمد: مزاب بلد كفاح، مطبعة الأفاق، بد ط ، الجزائر، بد سنة.
33. كعباش محمد إبراهيم سعيد: حديث الشيخ الإمام ، نشر جمعية النهضة، حل1، بد ط، الجزائر، سنة 1992م.

34. وزناجي مراد: حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة

والتاريخ، منشورات الخبر، ط1، الجزائر، سنة 2008م.

35. يحيى إبراهيم الحاج أيوب: الشيخ القراي. آثاره الفكرية، نشر جمعية النضة، ط2،

الجزائر، سنة 2009م.

خامسا - المراجع:

أ. المراجع بالعربية:

1. أبو العلا محمد سليمان: صفحات من الكفاح لمجاهدي القرارة في الثورة التحريرية، جمعية

التراث، ط1، الجزائر، سنة 2006م.

2. أسماوي صالح بن عمر: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الحلقة

الثالثة، ط1، الجزائر، سنة 2008م.

3. إسماعيل عمر: الشيخ عبد العزيز بن الحاج إبراهيم الثمني حياته وآثاره، مطبعة الواحات، بد ط،

الجزائر، سنة 1990م.

4. أوعوش بكير بن سعيد كروم أحمد بن حمو: مسلمات صالحات في روضة الإيمان، المطبعة

العربية، بد ط، الجزائر، بد سنة.

5. بافولولو صالح بن داود يسوف: من لا يعرف الإباضية، مطبعة الواحات، ط2، الجزائر، سنة

2009م.

6. بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة، بد ط، الجزائر، سنة 2013م.
7. بن ساسي إبراهيم: من أعلام الجنوب الجزائري، نشر وزارة الثقافة، بدط، الجزائر، سنة 2011م.
8. بن نبي مالك: شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، ط1، سوريا، سنة 1986م.
9. بن نبي مالك: في مهب المعركة، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، ط4، سورية، سنة 2002م.
10. بن نبي مالك: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، ط2، سورية، سنة 2002م.
11. بن نبي مالك: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، تر عمر مسقاوي، دار الفكر، بد ط ، سورية ، سنة 1981م.
12. بن نبي مالك: ميلاد المجتمع، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط6، سوريا، سنة 2006م.
13. بوحجام محمد ناصر: الحاج إبراهيم الإبريكي الحاج عمر بن يحي رحمهما الله، منشورات جمعية شباب القدماء - القراقة، بد ط، الجزائر، سنة 1979.
14. بوصفصاف عبد الكريم: جمعية علماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931.1945.، نشر دار البعث، ط1، الجزائر، سنة 1981م.

15. بومعقل سليمان بن محمد: الشيخ الحاج عمر بن داوود الوردجلاي 1341 هـ .
- 1923م / 1416 هـ . 1996 جهاده في سبيل الله ، بد دار نشر، بدط ، الجزائر، سنة 1966م.
16. التليسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري . العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003م.
17. تومي ع بد القادر: وجوه الفلسفة، كنوز الحكمة ، الجزائر، ط1 ، سنة 2009.
18. جهلان عدون ، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش 1236 . 1332 هـ / 1818 . 1914 م، جمعية التراث، بدن ط، الجزائر، بدن سنة.
19. الحاج سعيد يوسف بن بكير: تاريخ بني مزاب . دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية . المطبعة العربية، ط2، الجزائر، سنة 2006 م.
20. الحاج موسى بشير بن موسى: الشيخ سعيد بن علي بن يحيى الخيري الجري . حياته ودوره في نهضة ودادي مزاب . ، نشر مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ط2 ، الجزائر، سنة 2006م.
21. حفار زهراء أحمد: خروج الفتاة المزابية للعمل . دوافعه وآثاره . دراسة ميدانية . مطبعة الآفاق، بد ط، الجزائر، سنة 2011م.
22. حواش زينب بنت مسعود: الطريق إلى النجاح، بد دار نشر، بدط ، الجزائر، سنة 2004م
23. الخطيب أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، بد ط، الجزائر، سنة 1985م.

24. دوغان أحمد: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب،
بدط، الجزائر، سنة 1989م.
25. السائحي الأخضر عبد القادر: محمد الأمين العمودي، درا هومة، بدط، الجزائر، سنة
2001م
26. سالم محمد بهي الدين: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، ط1، الجزائر،
1999م.
27. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 . 1930، دار الغرب
الإسلامي، ط4، ج2، لبنان، سنة 1992م.
28. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، ط6، ج3، الجزائر، سنة
2009م.
29. الشباني النافوسي سليمان بن سعيد: سليمان باشا البروني أمة في رجل، أشرف واعتنى
بطبعه بازين إبراهيم بن يوسف، دار الطيف لطباعة، ط2، ليبيا.
30. شرعاتي علي: العودة إلى الذات، تر إبراهيم الدسوقي شتا، الزهراء للإعلام العربي، ط1
، مصر، سنة 1987م .
31. الشيخ بالحاج عيسى بن محمد: معهد الحياة، جمعية التراث، بدط، الجزائر، سنة
2009م.

32. عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية . رؤية شعبية قومية جديدة . (1830 .
1956م)، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، ب سنة.
33. العسلي بسام: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة، دار النفائس، ط2،
لبنان، سنة1983م.
34. قدح محمد العيد: الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي
بتونس ووادي سوف (1902 . 1982م)، مطبعة ذويب، ط1، الجزائر، 2013م.
35. مجموعة من المؤلفين: داخلية الحياة، نشر جمعية التراث وجمعية الحياة، بد ط، الجزائر ،
سنة 2009م.
36. مرموري بشير بن عمر: الفتاة في ميزاب . نشأتها وتعليمها بين الثابت والمتغير، جمعية
التراث، ط1 ، الجزائر، سنة 2005م.
37. مقبل توفيق محمد : من أعلام الحضارة العربية والإسلامية رؤى ثقافية وفكرية، بدون دار
نشر، بدن ط، السعودية، بدون سنة .
38. معمر علي يحيى : الإباضية في موكب التاريخ - الإباضية في الجزائر- ، مطبعة الدوة
الإسلامية، حل 4، ط1، مصر، سنة 1979.
39. الناصر محمد صالح: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، إصدار وزارة الثقافة، ط2، الجزائر،
سنة 2006 .

40. الملي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، إصدار وزارة الثقافة، بدط، الجزائر، سنة

2007م.

41. ناصر محمد: حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، دار النصر لطباعة

الإسلامية، بدط، مصر، سنة 1989م.

42. ناصر محمد صالح: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، مركب المنار للنشر، ط2،

الجزائر، سنة 2013م.

43. هيكل محمد حسين: آفاق الثمانينات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بدط، لبنان،

سنة 1983 م.

44. الواهج يوسف بن الحاج يحيى: المرأة في المجتمع الميزابي، المطبوعات الجميلة، بدط،

الجزائر، سنة 1982م.

ب. المراجع بالأجنبية:

1. Aicha daddi addoun: Sociologue et histoire des algériens ibadites, Imprimerie el ARABIA , Algérie ,1977 .
2. PAUL SOLEILLET: L' AFRIQUE OCCIDENTALE (ALGE'RIE; MZAB; TILDIKELT) ;imprimerie de f. Seguin Aine'; 1877.
3. Salah bafouloulou, Ghardaïa la mysterieuse, imprimerie des oasis, Alger , 2013.

1. أبو العلا محمد بن سليمان: الشيخ عدون وجمعية قدماء التلاميذ، مجلة الحياة، ع 10، طبع المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2006م.
2. أبو اليقظان إبراهيم: (هل تشعرين آه يا بلادي) ، الأمة ، ع 68، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 08 محرم 1355 الموافق ل 31 مارس 1936م.
3. باجو مصطفى بن صالح، الشيخ بن سعيد شريفى (الشيخ عدون) في الخالدين، مجلة الحياة، طبع المطبعة العربية، ع10 ، ط1، الجزائر، سنة 2006
4. بوعصبانة عمر بن حمو لقمان سلمان: الافتتاحية ، مجلة الحياة، ع18، المطبعة العربية ، ط1، الجزائر، سنة 2014 م.
5. بوعصبانة عمر بن حمو لقمان سليمان: نماذج من أسفار الشيخ عدون ورحلاته، مجلة الحياة، عدد 18 ، طبع المطبعة العربية ، المطبعة العربية، الجزائر سنة 2014م.
6. جهلان محمد بن أحمد: الشيخ عدون والكتابة الصحفية . مدخل إلى مقالاته في صحف أبي اليقظان . ، مجلة الحياة، ع 9، طبع المطبعة العربية ، المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2005م.
7. الحاج موسى بن عمر: أضواء على إسهامات الشيخ عدون (1901 - 2004) في الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة والوطنية والثورة أول نوفمبر 1954 ، ع20، بد ط، الجزائر، سنة 2009م.

8. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): جمعية العلماء المسلمين بين الأمس واليوم، النور، ع 36 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 01 صفر 1351 الموافق ل 07 جوان 1932م.
9. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): صحافتنا وموقف الأمة إزاءها في الحالة الراهنة ، الأمة، ع 71 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 29 محرم 1355 الموافق ل 21 أبريل 1936م.
10. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): من منطقتهم تعرفهم - جمود العلماء وأثره في العامة . ، الأمة، ع 11 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 19 شعبان 1353 الموافق ل 27 نوفمبر 1934م.
11. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): من هم حماة الدين ومن هم خاذلوه ، الأمة، ع 39 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 27 جمادى الأولى 1354 الموافق ل 27 أوت 1935م.
12. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): ميزاب يشكو آلاما وينشد آمالا - ويطلب رجاله بيثها فهل هم فاعلون؟ . ، الأمة، ع 114 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 10 محرم 1356 الموافق ل 23 مارس 1937م.
13. (1) سعيد بن بلحاج شرفي (ش عدون): من هم الجناة على العلم؟ ، النور، ع 39 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 22 صفر 1351 الموافق ل 28 جوان 1932م.
14. شرفي سعيد بن بلحاج (ش عدون): ميزاب يشكو آلاما وينشد آمالا - ويطلب رجاله بيثها فهل هم فاعلون؟ . ، الأمة، ع 114 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 10 محرم 1356 الموافق ل 23 مارس 1937م.

15. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): الشعور بالخطر باعث على درئه ، النور، ع 7 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 27 جمادى الثانية 1350 الموافق ل 27 أكتوبر 1931م.
16. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): المتطفلون على موائد العلماء هم أصل الفساد ومنبع الشقاق فيجب إقصاؤهم عنها وإنزالهم منازلهم، الأمة، ع 102 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 1 شوال 1355 الموافق ل 15 ديسمبر 1936م.
17. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): موقف الأمة إزاء حركة الإصلاح بميزاب ، الأمة، ع 55 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 20 رمضان 1354 الموافق ل 17 ديسمبر 1935م.
18. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): إذا لم يكن الإصلاح لدفع الفساد . فتى يكون ولماذا يجب إذا؟ . ، النور، ع 62 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 21 شعبان 1351 الموافق ل 20 ديسمبر 1932م.
19. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): يجب أن يكون الدين أساس كل إصلاح ، الأمة، ع 103 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 14 شوال 1355 الموافق ل 29 ديسمبر 1936م.
20. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): رحلة الأستاذ الجليل الشيخ "بيوض" بعمالة وهران ، النور، ع 44 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 29 ربيع الأول 1351 الموافق ل 2 أوت 1932م.

21. شريفى سعيد بن بلحاج (ش عدون): ذكرى الفيلسوف الكبير الشيخ إسماعيل الجيطالى .
الاحتفال بختم كتاب القناطير. ، الأمة، ع 163 ، نشر أبو اليقظان، الجزائر، الثلاثاء 17 صفر
1357 الموافق ل 19 أفريل 1938م.

22. الشيخ بالحاج عيسى بن محمد: الشيخ عدون فى سطور، مجلة الحياة، طبع المطبعة العربية ، العدد
10 ، ط1، الجزائر، سنة 2006م.

23. فخار حمو بن عمر: مرحبا بالتاريخ يعيد نفسه، مجلة الحياة، ع1، المطبعة العربية ، ط1،
الجزائر، سنة 1997 م.

24. ناصر محمد بن صالح: من رسائل عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، مجلة الحياة، ع 9، طبع
المطبعة العربية ، المطبعة العربية، الجزائر، سنة 2005م.

25. ناصر محمد صالح: الشيخ عدون الأستاذ المربي، مجلة الحياة، ع10 ، طبع المطبعة العربية ط1
، الجزائر، سنة 2006م.

سابعا - الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. قلاعضروس عمر إسماعيل ،الإمام عبد العزيز الثمينى وكتابه:المعالم فى أصول الدين، دراسة مقدمة
لنيل درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية ،المعهد الوطنى لأصول الدين،خروبة جامعة الجزائر
،الجزائر،سنة 1996 . 1997م.

2. لوصيف نور الهدى: الشيخ أحمد حماني وإسهاماته الإصلاحية (1915 . 1998م)،مذكرة لنيل
شهادة الماستر تاريخ معاصر،شعبة التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2013 - 2014.

3. سيوسيو مريم: الأهداف التربوية من تعليم البنات المزابية في المدرسة الحرة، مذكرة تخرج ، قسم التربية والعلوم الإسلامية، معهد الإصلاح للبنات، غرداية، الجزائر ، 1427 هـ / 2006م ، ص 4.
4. فخار سمية: دراسة الفتاة المزابية بين التعليم الحر والرسمي، مذكرة تخرج، قسم التربية والعلوم الإسلامية، معهد الإصلاح للبنات، غرداية، الجزائر ، 1427 هـ / 2006م .

ثامنا - الموسوعات والمعاجم والقواميس:

1. باباعمي محمد بن موسى وآخرون: معجم مصطلحات الإباضية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، ج1، عمان ، سنة2008م.
2. مجاز إبراهيم بن بكير وآخرون: معجم أعلام الإباضية ، نشر جمعية التراث، ط1، ج4، الجزائر، سنة1999م.
3. نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض لثقافة، ط2، لبنان، سنة1980م.
4. بوسنينة المنجي وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمون، دار الجيل، ط1، لبنان، سنة2007م.
5. ابن منظور محمد ابن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، ط1، ج2، لبنان، 1955م .

الفهرس

العنوان	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
قائمة المختصرات	
المقدمة.....	14_1
<u>الفصل الأول: الحركة الإصلاحية في الجزائر</u>	61_15
المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....	29_17
أولاً: عوامل ظهور جمعية علماء المسلمين الجزائريين.....	22_17
ثانياً: جمعية علماء المسلمين الجزائريين تأسيسها وأهدافها.....	25_22
ثالثاً: أبرز أهداف و مبادئ الجمعية.....	27_25
رابعاً: وسائل جمعية علماء المسلمين الجزائريين.....	29_27
المبحث الثاني: جذور الحركة الإصلاحية في وادي مزاب.....	44_30
أولاً: مرحلة الشيخين "الأفضلي" و "الثميني".....	37_31
ثانياً: مرحلة الشيخ محمد أطفيش.....	41_37
ثالثاً: مرحلة تلاميذ الشيخ أطفيش بالقرارة.....	44_42
المبحث الثالث: معالم شخصية الشيخ عدون.....	61_45
أولاً: مولده ونشأته.....	48_45
ثانياً: الشيخ عدون ودعوته لتغيير مناهج التعليم.....	54_48

59 - 54	ثالثا: صفات الشيخ عدون
108 - 62	الفصل الثاني : جهود الشيخ عدون في التربية والتعليم
78 - 64	المبحث الأول: الشيخ عدون و معهد الحياة
66 - 64	أولا: نظم التعليم في واد مزاب قبل ظهور معهد الحياة
69 - 66	ثانيا : دور المشرق في النهضة العلمية بوادي مزاب
71 - 69	ثالثا: معهد الحياة تأسيسه وأهدافه وشروط الانضمام إليه
76 - 71	رابعا : نظام معهد الحياة ومناهجه
79 - 76	خامسا : علاقة الشيخ "عدون" بالأساتذة المعهد وتلاميذه
94 - 80	المبحث الثاني: الشيخ عدون وتأسيسه للجمعيات الثقافية التربوية
83 - 80	أولا: جمعية الشباب (جمعية الحياة)
84 - 83	ثانيا: جريدة الشباب (مجلة الحياة)
87 - 85	ثالثا: داخلية الحياة
88 - 87	رابعا: مكتبة معهد الحياة
91 - 88	خامسا: جمعية قدماء التلاميذ
94 - 92	سادسا :جمعية الكشافة
95 - 94	سابعا: تأسيس جمعية حفظ التراث
107 - 96	المبحث الثالث: الشيخ عدون ودعوته لتعليم المرأة
97 - 96	أولا : واقع تعليم المرأة في الجزائر
99 - 97	ثانيا : مكانة المرأة في المجتمع المزابي الإباضي

102_ 99	ثالثا: واقع التعليم لدى المرأة المزابية
105 _ 102	رابعا: دعوة ش "عدون" لإقامة مدارس نظامية لتعليم البنات
107 _ 105	خامسا: الأهداف التي أسس من أجلها المدارس الحرة
149 _ 109	الفصل الثالث : الشيخ عدون أدواره وإنتاجه الفكري
121 _ 111.....	المبحث الأول: الشيخ عدون أدواره القيادية
113 _ 111.....	أولا: ترأسه حلقة العزابة بالقرارة
114 _ 113	ثانيا: رئاسة الشيخ عدون للمجلس عمي سعيد
115 _ 114	ثالثا: رئاسة الشيخ عدون للمجلس الكرتي
117 _ 115.....	ثالثا: رئاسة الشيخ عدون للوحدة التعليم والتفتيش للمدارس الحرة المزابية على مستوى الجزائر
119 _ 117.....	رابعا: رئيس الشيخ عدون الشرفية لجمعية علماء المسلمين
120 _ 119....	خامسا : الشيخ عدون وقيادته للعمل الفدائي بالقرارة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية
121 _ 120.....	سادسا: الشيخ عدون وحملات جمع التبرعات
134 _ 122.....	المبحث الثاني: الكتابات الصحفية للشيخ عدون
125 _ 124.....	أولا: كتاباته في جانب التربية
127 _ 126.....	ثانيا : كتاباته في جانب التعليم
130 _ 128.....	ثالثا: كتاباته في جانب الإصلاح الاجتماعي
132 _ 130.....	رابعا: كتاباته في جانب إصلاح الدين
133 _ 132.....	خامسا : دور كتابات الشيخ عدون في تأريخ الأحداث

134 _ 133	سادسا : مكانة العقل في كتابات الصحفية لشيخ عدون.....
146 _135	المبحث الثالث: الشيخ عدون اهتماماته باللغة العربية و مراسلاته
138 _ 135	أولا : اهتمامه باللغة العربية.....
148 _ 138	ثانيا: رائد أدب الرسالة.....
153 _ 150	<u>خاتمة</u>
169 _154	<u>الملاحق</u>
186 _ 170	<u>قائمة المصادر والمراجع</u>
191 _ 187	<u>فهرس الموضوعات</u>